

عبد الله بن أبي السلافة المحمد بن نصر

الاستخبارات العسكرية

في الإسلام



مؤسسة الرسالة

عنوان کتاب: الاستخبارات العسكرية في الاسلام

پدیدآور[ان]: مناصره، عبدالله علی سلامه محمد

نام ناشر: مؤسسة الرسالة

جلد[ها]: 1

منبع: noorlib.ir کتابخانه دیجیتال نور

تعداد صفحات دانلود شده: 359

"کاربر گرامی، فایل دانلود شده فقط برای استفاده شخصی است، از نشر آن خودداری فرمایید."
محتوای پایگاه از جمله کتب عرضه شده یا منابع صوتی، تصویری، لوگوها و آرم های اختصاصی این مرکز و هر نوع اطلاعات دیگر که در پایگاه از آن ها استفاده شده است را نمی توان بدون اجازه و تأیید کتبی «نور» و صاحبان آثار (مطابق با قوانین مالکیت معنوی) به صورت کامل، ناقص، بر خط (Online) یا برون خط (Offline) به صورت رایگان یا غیر رایگان ویرایش، ترجمه یا منتشر کرد.
برای اطلاع از سایر قوانین و مقررات به صفحه قوانین و مقررات پایگاه مراجعه نمایید.

الاستخبارات لجسديته
في الاستعلام

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صدي وصالحه
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧١٦٠ بريقاً : بيوتران



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستخبارات العسكرية في الإسلام

مؤسسة الرسالة



الاهداء

إلى الذين أضأوا لنا الطريق بعلمهم أو بعملهم .

إلى من حرص على تثقيفي بالإسلام، واجتهد في عمله ليزودني بالمال من أجل مواصلة تحصيلي العلمي، إلى والدي العزيز أمد الله بعمره، وإلى والدتي الغالية التي ربنتني بأشواقها وحنينها.

إلى زوجتي التي سهرت الليالي أثناء إعداد هذا البحث العلمي وإلى أطفالي الأحباب، إلى إخواني جميعاً الذين أمدوني بالمال والتشجيع لا سيما الأخ الفاضل عبدالنبي علي سلامة وأحمد علي سلامة.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الكتاب راجياً من الله التوفيق والعون والهداية والمغفرة، آمين.

المؤلف

عبدالله مناصره

شكر وتقدير

الحمد لله الذي كفاني مؤونة هذا البحث، ويسر لي الجهد والوقت لإنجازه إنه على كل شيء قدير.

وإنني لأتقدم من أعماقي بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور يوسف علي محمود، المشرف على هذه الرسالة، والذي أحاطها بعنايته وجهوده منذ بدايتها، وقد قدم لي الكثير من التوجيهات والاقتراحات والملاحظات البناءة مما كان له عظيم الأثر في إكمال هذا البحث.

وأشكر أيضاً عميد كلية الشريعة الفاضل والإخوة الأساتذة الذين لم يخلوا عليّ قط في إرشاداتهم وتوجيهاتهم فجزاهم الله كل خير، ولا يفوتني أن أشكر زملائي الضباط وكل الذين منحوني التشجيع والمثابرة من أصدقاء وزملاء.

هذا وبالله التوفيق
الباحث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ولي المؤمنين والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وخاتم النبيين وآله وصحبه الغر الميامين .

إن التخطيط السليم للمعركة يتوقف إلى حد كبير على معرفة نوايا العدو وأسراره، وإن الاستخبارات هي التي تمد القائد بالأسس التي يبنى عليها قراراته .

ونظراً لأهمية الاستخبارات العسكرية وشمولها نجد أن أعمال وأنشطة الاستخبارات العسكرية كانت موجودة مع الإنسان منذ القدم ولكنها أصبحت في هذه الأيام أكثر استخداماً ودقة وتركيزاً، ولما كان الأمر كذلك اخترت هذا الموضوع عنواناً لرسالتي حتى نبين حكم الإسلام فيه . أما الأهداف والدوافع الأخرى لاختيار هذا الموضوع فأجملها بما يلي :

١ - حساسية هذا الموضوع وخطورته وأهميته بالنسبة للدولة الإسلامية إذا ما عرف حكمه في الشرع والطريق الصحيح الذي يجب أن يتبع فيه وبيان أهمية الاستخبارات العسكرية في مجال الأمن ومقاومة الجاسوسية .

٢ - إنني بعد البحث والاستقصاء في الكتب الفقهية ورسائل الماجستير والدكتوراه المقدمة لم أجد من أفرد هذا الموضوع في البحث أو تناوله بشكل مفصل، فلذلك كانت لي الرغبة في الكتابة فيه وتفصيل أقسامه ومجالاته وأشكاله المختلفة أملاً من ذلك أن يصبح مرجعاً أساسياً للتدريس

في الكليات والمدارس التي ما زالت تعتمد غالباً على مجرد نشرات صغيرة
أو كتيبات مترجمة.

٣- إنني أعمل في القوات المسلحة الأردنية، ولذا أحببت بشوق أن يكون
موضوع رسالتي من الواقع العملي والتطبيقي في هذا المجال.



البَابُ الْأَوَّلُ التَّهْيِئَةُ

تَارِيخُ الْإِسْتِخْبَارَاتِ ، أَهْمِيَّةُ الْإِسْتِخْبَارَاتِ

الفصل الأول: تاريخ الاستخبارات.

الفصل الثاني: أهمية الاستخبارات.

الفصل الأول

تاريخ الاستخبارات

- المطلب الأول: قدم نشاط الاستخبارات في الحصول على المعلومات.
- المطلب الثاني: الاستخبارات قبل الميلاد.
- المطلب الثالث: الاستخبارات عند العرب قبل الإسلام.
- المطلب الرابع: الاستخبارات الإسلامية.
- الفرع الأول: اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم وقادة الإسلام بالاستخبارات.
- الفرع الثاني: منهج استخبارات الرسول صلى الله عليه وسلم.
- الفرع الثالث: استخبارات الإستطلاع.
- الفرع الرابع: عظمة استخبارات المسلمين.
- المطلب الخامس: استخبارات الأعداء على المسلمين.
- المطلب السادس: الاستخبارات الحديثة (منذ العصور الوسطى إلى يومنا هذا). نماذج لأهم الاستخبارات العالمية الحديثة.
- ١ - الاستخبارات السوفياتية.
 - ٢ - الاستخبارات البريطانية.
 - ٣ - الاستخبارات الأمريكية.
 - ٤ - الاستخبارات الإسرائيلية.
 - ٥ - الاستخبارات العربية.

المطلب الأول

قدم نشاط الاستخبارات في الحصول على المعلومات

إن الرغبة في الحصول على المعلومات مقدماً متأصلة من أجل البقاء للإنسان والحيوان والطير، فالكثير من الحيوانات تستكشف الغاب لتبحث عن المأكّل والمشرب، وترى أنواعاً من الطير تهاجر آلاف الأميال حيث تجد المكان المناسب لتضع بيضها.

أما الإنسان فإننا نلاحظ منذ بداية التاريخ أن حياته على الأرض تتطلب منه استفسارات مقدماً عن موقعه ومستقبله وحياته كعضو في الجماعة التي يعيش فيها.

كانت مصادر المعلومات قديماً تتشكل من الكهنة والسحرة والعرافين، وصار رجال الدين مصدراً للتنبؤات التي تستهدف حل مشاكل الإنسان^(١).

ومن جهة نظر الاستخبارات نجد أن الإنسان البدائي كان يمارس نشاط الاستخبارات في صورة بدائية وبسيطة جداً إلا أنها في الحقيقة تمثل جوهر نشاط الاستخبارات الحديثة بأبعادها المختلفة.

وهكذا نجد أن أعمال وأنشطة الاستخبارات كانت موجودة مع الإنسان منذ

(١) انظر: صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، الوطن العربي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، لبنان، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٠، سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة. الجنرال فكتور فرنر: الحرب العالمية الثانية، ص ١٦٣.

القدم، مارسها في سبيل تحقيق احتياجه، وفي سبيل تحقيق حماية نفسه وقوته^(١).

لقد بذل الحكام منذ عصور عريقة في القدم جهوداً كبيرة للحصول على معلومات عن البلاد المنافسة التي تقف أمامها موقف الخصم أو المزاحم، وكانت جيوشها حريصة على التعرف على معلومات عن الجيوش المنافسة وعن مسارح العمليات الحربية المحتملة أو المتوقعة.

كان من الميسور الحصول على معلومات عسكرية في أثناء الحملات العسكرية أو قبل خوض المعركة من السكان المحليين، كما استخدم الجواسيس والعملاء، والخونة والرحالة المتنقلين بين البلاد، كما استخدمت الخيالة كدوريات استطلاع للحصول على المعلومات^(٢).

يقول آلان دالاس الرئيس السابق للمخابرات المركزية الأمريكية:

«تاريخ نشاط الاستخبارات قديم قدم المنافسة بين المجتمعات والأمم، وما دامت قد وجدت حاجة ملحة لحماية المصالح الحاسمة الأهمية لحاكم أو دولة أو حكومة، كانت هناك حاجة ملحة للاستخبارات، وهكذا كان من الممكن أن نجد في أقدم التسجيلات لحوادث التاريخ أقدم صور الاستخدام للاستخبارات»^(٣).

إن الاستخبارات كانت في العصور القديمة والحديثة عنصراً أساسياً في تمويل الحكومة والدولة بالمعرفة عن نوايا العدو وعن استعداداته^(٤).

(١) انظر: أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٤ م، ص ٣٢. هيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، عدد الأجزاء ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٧ م، ج ١، ص ٦٢.

(٢) صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٠، ١١.

(٣) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٣٢.

(٤) انظر: هيثم الأيوبي ورفقائه، الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢.

ومن ذلك ما ذكره الشاعر هوميروس^(١) عن قصة حصان طروادة^(٢)، هذه القصة توضح مدى الدور الذي لعبته الاستخبارات في تحقيق ما لم يستطع تحقيقه جيش كبير.

استمر سينون في حصاره لمدينة طروادة عشر سنوات ولم يستطع دخولها إلا بعد أن نجح في إقناع ملك طروادة وشعبها بإدخال الحصان الذي اختفى فيه جند الإغريق، الذين انتهزوا فرصة انهماك شعب طروادة في الإحتفال بالنصر الزائف ومكنوا جيوشهم التي كانت تختفي في وسط البحر من دخول طروادة بعد صبر دام عشر سنوات، حيث صُنِعَ هذا الحصان من الخشب واقفاً على قاعدة وكان جوفه خالياً يتسع لعشرات من الجنود، وقد حُمِلَ هذا إلى قلب المدينة، ومن ثم خرج الجنود ليلاً وقضوا على حاميتها.

وتمشياً مع مفهوم الاستخبارات فإن القصة التي استخدمها سينون في إقناع ملك طروادة قد تم اختلاقها بمهارة، إذ كانت محبوكَة الأطراف وتدلّ على

صالح نصر: الحرب الخفية، الوطن العربي للنشر والتوزيع، مطبعة دار الكتب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٠ م، ص ١٢. حافظ إبراهيم خير الله: عالم الاستخبارات، ص ٦.

(١) هوميروس: أعظم شعراء اليونان ومعلمهم ونبيهم، نظم الإلياذة والأوديسا، وما زالتا تعتبران المثل الأعلى لشعر الملاحم، لامتيازهما بالروعة والفخامة وسمو الأسلوب، ولذا ترجمتا إلى معظم اللغات الحية، وترجم البستاني الإلياذة شعراً باللغة العربية.

انظر: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة: القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٩٢١.

(٢) طروادة: مدينة قديمة في الأناضول على مسافة ١,٢ كم شرقي مدخل الدردنيل من ناحية بحر ايجه، يعرف موقعها اليوم حصارليك، اهتدى هانيرينغ شليمان باشعار هوميروس في التعرف على موقع طرواده، وقام هناك بحفريات متتابعة (١٨٧١ - ١٨٨٢) كشفت عن بقايا تسع مدن اقيمت كل منها فوق أطلال الأخرى منذ أوائل عصر البرونز حتى العصر الروماني، أثبتت حفريات جامعة منسباتي أن المدينة السابعة كانت مدينة بريام لأن حريقاً خرب هذه المدينة وقع حوالي التاريخ التقليدي لحرب طروادة، وتدلّ مخلفات طروادة أنها كانت من أهم مراكز الحضارة الإيجية. انظر: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة. ص ١١٥٨.

الحنكة والدهاء، وأنها كانت متقنة إلى الدرجة التي دفعت أهل المدينة إلى هدم الجدران لإدخال الحصان الذي كان حجمه لا يسمح بإدخاله من الأبواب دون هدم أجزاء منها^(١).



(١) انظر: سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ص ١١.
أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٣٣.

المطلب الثاني

الاستخبارات قبل الميلاد

إن نشاط الاستخبارات مارسه شعوب كثيرة قبل الميلاد ولقد أبدع المصريون القدماء في هذا المجال، إذ يشير رونالد سيث: إلى أن سجلات قدامى المصريين احتوت على ما يفيد قيامهم بأعمال عظيمة في مجال الاستخبارات، ففي سنة ٣٦٠٠ قبل الميلاد - ٣٤٠٠ ق. م استطاع أحد ضباط الاستخبارات المصرية القدامى ويدعى توت أن يرسل مائتي جندي مسلحين ضمن أكياس القمح على ظهر مركب إلى مدينة يافا التي كانت محاصرة من قبلهم، ولما استقر المركب في الميناء خرج الجنود واستولوا على المدينة ثم قاموا بتسليمها إلى الجيش المصري المرابط حولها، ولم يكن من المستطاع لهذا الجيش أن يدخل المدينة لولا جهود رجال الاستخبارات الذين تمكنوا من دخولها وهم مختفون داخل أكياس الدقيق^(١).

إن التوجيهات التي أعطاها - حورمحب - القائد المصري القديم إلى سنوحي الطبيب المصري بعد عودتهما إلى أورشليم من المعركة التأديبية التي شنها حورمحب ضد العبريين في عهد «امحتب الرابع»، تعد من أقدم نشاطات الاستخبارات التي عرفها التاريخ في تشغيل الجواسيس.

لقد وجه حورمحب الحديث إلى «سنوحي» قائلاً: «وأنت يا سنوحي تأمل بلادك في خدماتك، وأنت أكثر من غيرك إحاطة بالأمور، وأوسع علماً بأحوال

(١) انظر: سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، ص ١٠، ١١. أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٣٤. الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢.

البلدان، وفي وسعك وأنت تتنقل من مدينة إلى أخرى وتكشف خفايا شؤونها، ولو كان لي مثل حريتك ونشاطك لما ونيت ولا كفت عن الرحيل إلى سائر الممالك والأقطار مستزيداً من المعرفة والإطلاع كنت أتجه إلى بلادي ميتاني وبابل وأتعرّف على العجلات الحربية التي يستخدمها الحيثيون^(١)، وأنقّب عن وسائل تدريب جنودهم كما كنت أقصدُ إلى الجزر في البحر لأرى السفن الكبيرة التي تتناثر علينا أنباؤها غير الدقيقة، إنني وآسفاه لا أستطيع القيام بذلك لأن إسمي معروف في كل أنحاء سوريا، وحركاتي تقترون بشهرتي، وهذا يقيدني ولا يهيء لي فرصة التجوال والإرتحال.

ثم يقول: «أنت تتدثر في ملابس السوريين وتحسن الحديث معهم بلغتهم ولسانهم وتجد فوق ذلك لغة أخرى يعرفها المتعلمون في سائر أقطار الدنيا، ثم إنك فوق هذا طبيبٌ وقلما يخطر بذهن أحد أنك تعني بشيء مما يدور حولك غير ما يقع في نطاق مهنتك، وحديثك يجري مع الناس هيناً يستميلهم ولا يريبهم منك، وقلبك بعيد الغور يختزن الأسرار والملاحظات ولا يفشيها.

ويضيف قوله: أتمنى أن تذهب إلى تلك البلاد مزوداً مني بمقدارٍ من الذهب فتباشر بها أعمالك كطبيب وهناك سيكون لك بقدرتك الفنية كيانٌ مرموق وشهرة بعيدة في علاج المرضى وشفائهم فيقبل الناس عليك ويطمئنون إليك ويمهد هذا لك سبيلَ الإتصال بالأغنياء وأصحاب النفوذ والملوك، وهؤلاء في أغلب الأحوال أكثر طلباً للأطباء المهرة وعندئذ تستطيع أن تنال مودتهم وثقتهم

(١) الحيثيون: شعب قديم بآسيا الصغرى وشمال سورية، يرجع نسبه إلى قبيلة من قبائل الأناضول تعرف باسم حتى، وكانوا يسمون بلادهم باسم خاطي أو حاطي، شملت مملكتهم الأناضول وجزءاً كبيراً من العراق وسورية.

انظر: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٥ م، ص ٧٤٦.

فينكشفون لك وتعرف من حيث لا يشعرون دخائلهم وأسرارهم ، فإذا ما عدت إلى مصر أفضيت إلي «بها»^(١).

هذه التوجيهات وإن كانت تبدو بسيطة في ظاهرها إلا أنها عميقة الهدف تكمن فيها دروس بالغة الأهمية لمن يعمل في حقل التخابر والمعلومات، إذا ذهب واستطاع أن يعرف قوة الجيش بدقة، وأن يحصل على عينة من المعدن الذي اكتشفه الحثيون والذي يصنعون منه أسلحتهم الحديثة.

وهناك مثال آخر حدث في معركة «قادش»^(٢) أيام «رمسيس الثاني»، وقد كان الحثيون قد تزعموا الحلف المعادي لمصر، وأخذوا يثيرون الفتن في سوريا وفلسطين^(٣)، فاضطر رمسيس الثاني سنة ١٨٩٤ ق. م إلى الخروج على رأس جيش كبير حتى دخل إثنان منه إلى مشارف مدينة قادش التي اتخذها العدو مركزاً للفتن والمؤامرات، وظهر فجأة في أحد المعسكرات المصرية بدويان من أهل المنطقة ادعيا أنهما تشردا من جيش العدو وأن ملك الحثيين قد تفهقر

(١) صلاح نصر: الحرب الخفية، ص ١٣، ١٨.

(٢) قادش: كادش، بالاسبانية، مدينة (١٠٠٢٤٩ نسمة)، عاصمة مقاطعة قادس، ميناء على المحيط الأطلنطي، وقاعدة بحرية محصنة أنشأها الفينيقيون (ح ١١٠٠ ق. م) باسم غادير، استولت عليها قرطاجة ح ٥٠٠ ق. م، ظلت مزدهرة في عهد الرومان الذين استولوا عليها في القرن ٣ ق. م، وسموها جادس، من معالمها كاتدرائية ترجع للقرن ١٨. انظر: الموسوعة العربية الميسرة: محمد شفيق غربال، ص ١٣٦٠.

(٣) فلسطين: اسم يطلق على الاقليم الجغرافي الذي يقع بين جنوب سوريا ولبنان في الشمال وصحراء سيناء المصرية في الجنوب، وكان هذا الاقليم حتى الغزو البريطاني الذي قاده الجنرال اللنبي عام ١٩١٦ يعتبر جزءاً من ولاية الشام التي كانت تحت السيادة العثمانية، وكانت فلسطين من الناحية الإدارية تتبع لواء القدس وولاية بيروت ولم يكن هناك فاصل سياسي يقسم هذه الأقاليم التي كانت تعرف مجتمعه باسم الشام، انظر: أحمد عطية الله، القاموس السياسي، دار النهضة العربية، دار مطابع الشعب، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٨٧٤. شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، عدد الأجزاء ٥، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م، ج ٤، ص ٢٧٤. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الحموي: معجم البلدان.

بجيشه شمالاً إلى مدينة حلب خوفاً من الجيش المصري، وظل المصريون في شك من هذا حتى قاموا بضرب البدوين ضرباً مبرحاً ليعترفوا بالحقيقة، ولكنهما أصرّا على أقوالهما، وهنا تقدم الجيش المصري دون حذر لتصديقه أخبار الحثيين، وفجأة انقض عليهم جنود العدو الذين كانوا مختبئين وراء مشارف قادش وأحاطوا بهم من كل مكان^(١).

هذه الحادثة تبين مدى نجاح استخبارات الحثيين في تضليل العدو وكتمان الأسرار والصبر على التعذيب في سبيل مصلحة بلدهم.

في العهد القديم تشير قصة موسى عليه السلام إلى مهمة رجال الاستخبارات، «إن الرب قال لموسى ابعث برجالك يفحصون أرض كنعان التي أعطيتها لبني إسرائيل، وابعث من كل قبيلة رجلاً يكون حاكماً في موقعه، وبعث موسى باثني عشر رجلاً من بينهم يوشع بن نون من قبيلة أفرايم، وبعث بهم موسى ليتجسّسوا على أرض كنعان، وقال لهم اسلكوا هذه الطريق للجنوب واقصدوا الجبال وارقبوا الأرض». وكان ذلك حوالي ١٤٨٠ ق. م^(٢).

وهذا نوع آخر من عمليات الاستخبارات التي يحرص فيها على جمع المعلومات، عندما كان موسى عليه السلام في البرية مع بني إسرائيل ألهمه الرب أن يوفد رئيس كل قبيلة من قبائل بني إسرائيل ليتجسس على أرض كنعان، وقام موسى بتزويدهم بالمعلومات وطلب منهم أن يروا الأرض ويتعرفوا فيها ويعرفوا سكانها وما إذا كانوا أقوياء أو ضعفاء، قلة أو كثرة^(٣).

(١) صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، الطبعة الثانية، ١٩٦٧ م، ص ٥٦، ٥٧.

(٢) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٣٤.

(٣) انظر: عفيف عبدالفتاح طيارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، الطبعة الحادية عشرة، بيروت، ١٩٨٢ م، ص ٢٤٨.

الكتاب المقدس، كتب العهد القديم والعهد الجديد، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، سفر التثنية، الأصحاح الثالث عشر والرابع عشر، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١١، ١٢.

وعندما أمر الرب يوشع بن نون، ليقود بني إسرائيل عبر الأردن إلى كنعان انتفع يوشع من تجاربه مع موسى وأرسل رجلين ليتجسسا على أريحا لمعرفة مدى قوة العدو وغير ذلك مما يجدر بالقائد أن يعرفه قبل مهاجمة الأعداء، وعاونت سيدة ساقطة تدعى رحاب الرحالين في أداء مهمتهما وخروجهما من المدينة دون أن يستطيع رجال ملك أريحا اكتشافهما^(١).

وهذه من الحوادث التاريخية التي تشير إلى اشتراك امرأة في أعمال الاستخبارات. وقد استخدم سليمان عليه السلام الهدد لاستقصاء أخبار ملكة سبأ^(٢) وقومها الذين كانوا يسجدون للشمس من دون الله^(٣).

وقبل الميلاد كان للنتائج التي حققتها أعمال الاستخبارات شأن كبير في

(١) الكتاب المقدس، سفر التثنية (يوشع)، الاصحاح الثاني، ص ٣٣٨، ٣٤١.

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٣٥.

(٢) سبأ: هي أرض باليمن، ومدينتها مارب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، سميت هذه الأرض بهذا الاسم لأمور:

أ - لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن فحطان. ٢ - وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبى السبي من ملوك العرب وأدخل إلى اليمن السبابا. ٣ - وذكر أنه بنى مدينة مارب وعندما حدث السيل العرم في مارب تفرق أهل هذه الأرض في البلاد، وسارت كل طائفة منهم إلى جهة فضرب العرب بهم المثل في تفرقهم، فقبل ذهب أيدي سبأ وأيادي سبأ.

ب - جاء ذكر سبأ في العهد القديم باسم شبا، وأنها مركز تجاري هام، وأن تجارها كانوا يتاجرون مع العبرانيين، وعرفت بثروتها ووجود الذهب فيها.

ج - وفي العهد القديم قصة زيارة قامت بها ملكة سبأ لسليمان فأتت اورشليم بموكب عظيم جداً، حاملة أطياباً وذهباً كثيراً وحجارة كريمة.

د - يذهب أهل الحبشة إلى أن الأسرة المالكة هي من سلالة سليمان وزوجته ملكة شبا أي سبأ، ويدعونها (ماقده)، وذكر المفسرون أنها بلقيس، وأنها من بنات التبابعة.

انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ١٨١. النيسابوري: غرائب القرآن، ج ١٩، ص ٩٦، ابن كثير: تفسير ج ٣، ص ٣٦٠. جاد المولى: قصص القرآن، ص ١٦٨، ١٦٩.

(٣) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ). البداية =

مجريات الأحداث في تلك الفترة، فكان القائد الروماني «سيوا» الإفريقي يستعد ليقود حملة ضد سيفاكس ملك «نوميديا» الغربية وحليف هانيبال القرطاجي، فأرسل (سفيراً)^(١) ليناقل أمر هدنة بين الجيشين، ولكنه في الواقع يبعث بسفيره هذا ليتعرف على قدرة ملك نوميديا وقواته على القتال، واختار لهذه السفارة أحد كبار قواده (لالوس) وبعث معه ضباطه متخفين في ثياب الرقيق ورغم ما صادفه لالوس ومن معه من متاعب بسبب التحصينات التي أقامها سيفاكس لحماية معسكره، إلا أن لالوس استطاع الوصول إلى هذه التحصينات بأن أطلق رجاله أحد جيادهم وراحوا يطاردونه بطريقة جعلته يسرع في الإقتراب من معسكر سيفاكس وأسرعوا خلفه يطاردونه حول المعسكر، بل وفي داخله، وعندما أمكن القبض على الحصان كان الرجال قد عرفوا أوضاع التحصينات ومدى قوتها^(٢).

كان اعتماد (هانيبال) القائد القرطاجي الشهير (٢٤٧ - ١٨٣ ق. م) الذي عبر الألب لغزو إيطاليا في الحرب البونية الثانية، على أعمال الاستخبارات في حروبه التي تحقق له النصر في غزواته على صقلية^(٣) لعدة شهور، بعث بعميل له داخل المدينة، فأخذ يتجول فيها ويدرس تحصيناتها دون إثارة شك الغير فيه،

والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، مصر ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م، ج ٢، ص ٢١.

سيد قطب: في ظلال القرآن، الطبعة السابعة، بيروت، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م، ص ١٨، ٢٧١.

(١) السفير: هو أعلى مراتب السلك الدبلوماسي، وهو رئيس بعثة دبلوماسية تعرف بالسفارة، ويليه في المرتبة الوزير المفوض، وتعرف البعثة الدبلوماسية التي يرأسها هذا الأخير باسم المفوضية، يتميز السفراء عن غيرهم من الممثلين الدبلوماسيين بأنهم يعتمدون مباشرة لدى رئيس الدولة الموفدين إليها، راجع أحمد عطيه الله، القاموس السياسي، ص ٦٢٤.

(٢) صلاح نصر: الحرب الخفية، ص ٢٠، ٢١.

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٣٦.

(٣) صقلية: جزيرة واقليم متمتع بالحكم الذاتي، (مساحتها ٢٥٨١٥ كم^٢. سكانها ٤٠٠٠٠٧٨٠) تتبع إيطاليا، عاصمتها بالرمو وصقلية أكبر جزر البحر المتوسط وأكثرها =

وكانت وسيلة الإشارة بينه وبين (هانيبال) هي الدخان المتصاعد من نيران يوقدها لطهي طعامه فوق تل بالمدينة بعد إخماد أهل المدينة لنيرانهم.

ولما كانت الفيلة سلاح هانيبال في هذا العهد جاهد استخبارات أعدائه كثيراً ليعرفوا طريقة للتغلب عليها، إذ تمكنت استخبارات القائد الروماني «سيبيو» من الاختلاط بسياس الفيلة إلى أن علموا منهم أن نقطة الضعف بالنسبة للفيلة هي إزعاجها بواسطة الأصوات المدوية مما جعل سيبيو يقوم بإحداث ضجة كبيرة من استخدام الطبول في مواجهة الفيلة التي سادها الذعر والارتباك وتحقق له النصر بما تحقق له معرفته عن الفيلة^(١).

ويذكر (صن تزو) أسس جمع المعلومات التي كانت تمارس بواسطة (الصينيين)^(٢) في عام ٤٠٠ ق. م إذ يقول: وهناك خمسة أنواع من العملاء: الوطنيون، والأجانب، والمزدوجون والمموهون والأحياء. فالنوعان الأول والثاني هما ما يطلق عليه في الوقت الحاضر عملاء المنطقة حيث يقومون بالتجسس على دولة لحساب أخرى. والمزدوجون تعبير يطلق على عميل من عملاء العدو تم القبض عليه وإرساله بواسطة أسريه ليتجسس على بلاده. أما

سكاناً تقع بين بحر إيجه والبحر التريني ويبعد ١٦٥ كم ش أفريقيا، ش مدينة صقلية القديمة الفينيقيون (بالرمز) والقرطاجيون والأغريق، ملك العرب الجزيرة سنة ٨٧٨، وسقطت الجزيرة في يد الحلفاء عام ١٩٤٣، وحصلت على الحكم الذاتي ١٩٤٧.

راجع: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ص ١١٢٦ - ١١٢٧.

الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٨.

(١) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٣٦.

صلاح نصر: الحرب الخفية، ص ١٩.

(٢) الصين: سميت بذلك لأن صين بن بغد بن كماد أول من حلها وسكنها، بلاد في بحر الشرق، مائلة إلى الجنوب، وشمالها الترك.

راجع: الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٤٠.

العملاء المموهون: فهم الذين يُفشون المعلومات الكاذبة بين الأعداء ثم يعودون إلى بلادهم^(١).

وهو يوضح أن الاستخبارات الممتازة هي التي تستخدم كل الأنواع الخمسة من العملاء في نفس الوقت ويشبه هذه العملية بشبكة لصيد السمك مكونة من حبل واحد يضم خمسة أنواع من الشباك.



(١) ص ٦٧: فن الحرب، ص ١٥٠ وما بعدها.
صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٣، ١٤.

المطلب الثالث

الاستخباراتُ عند العرب قبل الإسلام

عرف العرب قبل الإسلام استخدامَ العيون والعملاء لجمع المعلومات في حروبهم مع بعضهم البعض ومع أعدائهم، إذ كان القادة يستعينون قبل الدخول في القتال بمخبرين يرسلونهم إلى العدو للحصول على معلومات عن قواتهم وعن مواقعهم وعن مدى استعدادهم للحرب، وكذلك كان للقبائل ولأهل المدن مخبرون يُرسلونهم لاستطلاع الأحوال ولتحذيرهم من احتمال وقوع غزو مفاجيء عليهم، ويقال للواحد منهم منذرٌ لأنه ينذر قومه وينبئهم بقرُب وقوع حادث عليهم^(١). ويقال للشخص الذي يتسقط أخبار العدو ويبحث عن مواضع ضعفه وعن حركاته «العين» و«الربىء» و«الجاسوس» إذ كانوا يتكفرون ويستترون ليحصلوا على ما يحتاجونه من معلومات في ترتيب خططهم الحربية^(٢).

روي أن عمر بن سفيان الكلابي جاء بني خزاعة^(٣) في زي رجلٍ من بني

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٠، ج ٥، ص ٤٠٨، ٤٠٩. سيشار لهذا المرجع عند وروده فيما بعد هكذا: جواد علي: المفصل. المقدم الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢.

(٢) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني عن طبعة بولاق الأصلية، مؤسسة عبدالساتر اخوان، بيروت، ج ٩، ص ٧. سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الأصبهاني، الأغاني.

(٣) خزاعة: من بني عمرو بن لحي، من مزقياء، من الأزد، من قحطان: جد جاهلي أو لقب جد، من بني عمرو بن لحي، اختلف الناسون في اسمه. وقيل: خزاعة اسم قبائل من

هلال مظهراً الرغبة في جبريتهم، إذ كانوا قد غزوا قومه وساقوا إبلهم، فقبلوا إيوانه وبقي عندهم أمداً حتى جمع المعلومات عنهم، وعاد بها إلى قومه فاستفادوا منها في غزو القوم والانتصار عليهم^(١).

كان لكليب عين في تغلب يتجسس له ويرسل الأخبار عن هذه القبيلة «تغلب». إن عمر بن ربيعة أرسل سروس بن شيبان وصليح بن عبد غنم إلى معسكر زياد ملك الشام ليتجسسا عليه ويأتيا له بالأخبار^(٢).

إن الأمثلة من هذا النوع كثيرة، إذ تتحدث عن عيون القبائل التي كانت ترسل إلى القبائل المعادية لتأتي بالأخبار عنها وبنواياها العدوانية وعن خططها في الغزو. يذكر الإخباريون في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد، أن سبب وقوع يوم السلان: هو أن عامر بن صعصعة وقومه كانوا متشددين ويدينون للملوك، وكان من عادة النعمان بن المنذر أنه يجهز في كل عام لطيمة «تجارة لتباع بعكاظ» فتعرض لها بنو عامر، فغضب النعمان وبعث إليهم وبرة وتميماً وانضم إليه ضرار بن عمرو وأولاده وهم فرسان شجعان، وطلب منهم أن يقصدوا بني عامر بنواحي السلان إذا انسلخت الأشهر الحرم، فعلمت بخططهم قريش وأرسل عبد الله بن جدعان^(٣) من أخبر بني عامر بغرض القوم، فحذروا

نسل عمرو بن لحي، وفي الناس من يجعلهم عدنانيين من مضر، والأكثر على أنهم قحطانيون، كانت منازلهم الأيواء (بين مكة والمدينة). قال المسعودي: كانت ولاية البيت الحرام في خزاعة ثلاثمائة سنة. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام الأجزاء ٨، دار العلم للملايين، ط ٦، بيروت، ١٩٨٤، ج ٢، ص ٣٠٤.

(١) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٤٣٦.

(٢) الأصبهاني: الأغاني، ج ١٠، ص ٣٦ وما بعدها. جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٤٣٦.

(٣) عبد الله بن جدعان التيمي القرشي: من المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي ﷺ قبل النبوة، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب، فوقع فيها صبي ففرق، وهو الذي خاطبه أمية بن أبي الصلت بأبيات أشهرها:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياة إن شيمتك الحياء
الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٧٦.

وتهيأوا للحرب ووضعوا العيون^(١).

كان القادة يستعينون بالأدلاء^(٢) والعيون ليقدّموا لهم المعلومات التي يريدونها عن الطرق الموصلة إلى العدو، أو للسير في مقدمة الجيش للوصول إلى المكان المطلوب إذ كان لهم أهمية كبيرة في القتال. وقد يكون الرجل بين قوم فيسمع بخبر عزمهم على غزو قومه فيرسل رسالة رمزية ليحذّر قومه وقد يكون المنذر أسيراً فيعمد إلى الشيفرة^(٣) وإلى الرموز والكتابات والتعابير التي يفهم قومه بمراده فيحتاطون للأمر ويستعدون للقتال.

في يوم شعب جيلة كان كرب بن كعب بن زيد مناة وهو من بني تميم وقد علم بخطط أعداء قومه وكانوا قد أخذوا عليه العهد والميثاق ألا يخبر قومه عن عزمهم، فعمد إلى الرمز والشفرة والإشارة، بأن وضع تراباً في صرة وشوكاً قد كسرت رؤوسه، فلما رأى القوم ذلك علموا أنه يقول لهم إن القوم كالتراب

(١) ابن الأثير: الكامل ج ١، ص ٦٤٠.

جواد علي: المفصل، ج ١، ص ٣٥١.

(٢) دليل: شخص: غالباً ما يكون من السكان المحليين في منطقة ما أو من العارفين بها، يدخل في تشكيل دورية قتالية أو استطلاعية في أرض تلك المنطقة، ويشترط في هذا الشخص الإلمام الكامل بطبيعة الأرض المذكورة الجغرافية والسكانية، سواء كانت منطقة مدنية أو ريفية، بحيث تستطيع قيادة الدورية فيها تنفيذ المهمة العسكرية الموكلة إليها بأقصى درجات الأمن.

راجع: الهيثم الأيوبي، الموسوعة العسكرية، ج ٢، ص ٤٤٢. يقال للدليل «دليل» و«دلول» والجمع أدلاء، ويقال: العين الذي يذهب يرباً أهله الربيثة والطليلة، وهو الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم العدو، والربيثة لا تكون إلا على مرباً من الأرض، أي على جبل أو على شرف ينظر منه. راجع جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٤٣٨.

(٣) الشيفرة: لغة إصطلاحية تستخدم في نقل الرسائل في نطاق من السرية وذلك لمنع تسرب محتوياتها إلى الغير، والشيفرة السرية تستخدم في ثلاثة ميادين هامة، الأول: في الرسائل الدبلوماسية، والثاني: في الرسائل العسكرية أبان الحروب، والثالث: يشمل أعمال الجاسوسية.

راجع: أحمد عطيه الله: القاموس السياسي، ص ٦٨٧، ٦٨٨.

عدداً، لكن شوكتهم قليلة، وأنهم قريبون منهم، فاحتاطوا للأمر^(١).

وقد استعمل المخبرون التراب أو الرمل للدلالة على كثرة العدو واستعملوا الشوك للدلالة على القوة، وعلى شوكه العدو وعبروا بالشوك الذي تكسر رؤوسه بشوكه العدو، إلا أنه عدو لا يُخشى جانبه، وقد استحدثت القبائل هذه الرموز من محيطها الذي عاشت فيه، فاتخذتها أدوات للتحذير والإنذار.

وكانت الدولة الرومانية حريصة على معرفة أخبار العرب واستطلاع أحوالهم إذ كانت لها بيوت تجارية في مكة تستخدمها للشؤون التجارية والتجسس على أحوال العرب^(٢).



(١) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٤٣٧.

(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٠، ١٩٦٩ م، ص ١٣.

المطلب الرابع

الاستخبارات الإسلامية

الفرع الأول

اهتمام الرسول وقادة الإسلام بالاستخبارات

إن معرفة أخبار العدو لازمة لكل جيش، سواء أكان ذلك قبل الاشتباك الحربي أم في خلال الحرب، بها يعرف القائد نيات الأعداء ويحصل على معلومات تفيده في وضع خطته، وهي مهمة عند الأمم كلها، والمسلمون عرفوا قيمة ذلك في حروبهم.

فالرسول ﷺ، استخدم استخباراته في غزوة بدر^(١) وفي غزوة الخندق^(٢) وكان يحب أن يعرف عن عدوه أكبر قدر ممكن من المعلومات، ويحرص على

(١) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة، ويقال: أنه ينسب إلى بدر بن بخلد بن النضر بن كنانة، وقيل: بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه، وبهذا الموضع كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة، وقد نسب إلى بدر جميع من شهدا من الصحابة الكرام. راجع الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٥٧، ٣٥٨.

محمد حسنين هيكل: حياة محمد، مكتبة النهضة المصرية، ط ١٢، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٥٩.

(٢) الخندق: كلمة فارسية معربة، وهو حفير يشق حول مدينة أو قلعة، والخندق في التاريخ الإسلامي يشير إلى الخندق الذي حفره المسلمون حول المدينة في السنة الخامسة للهجرة ضد غزو القبائل التي تحالفت على حرب المسلمين، إذ لم يكن لعرب الحجاز سابق علم بهذه الوسيلة التي تمت بإشارة من سلمان الفارسي.

راجع: أحمد عطيه الله، القاموس الإسلامي، عدد الأجزاء ٥، مكتبة النهضة المصرية، =

عدم تسرب معلومات جيشه إلى عدوه^(١)، لذا أمر زيد بن ثابت^(٢) أن يتعلم لغة اليهود فتعلمها^(٣).

أما خلفاء الرسول ﷺ فقد ملئت وصاياهم إلى قادتهم بنصائح كثيرة تحض على معرفة أسرار العدو وأهمها وصية أبي بكر الصديق لعمر بن العاص عندما وجهه إلى أرض فلسطين.

١٣٩٩ هـ، ج ٢، ص ٢٨٩، ٢٩٠. سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: أحمد عطيه الله: القاموس الإسلامي. محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠، ٨٤٤ م) الطبقات الكبرى، ٩ م دار صادر، بيروت، ج ٣، ص ٩٠ وما بعدها. سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: ابن سعد، الطبقات الكبرى.

عبد الملك بن هشام المعافري (ت: ٢١٨) السيرة النبوية، تحقيق عبدالرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، ج ٣، ص ١٢٧ وما بعدها. سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: ابن هشام، سيرة.

(١) انظر: عبدالرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١، ص ٢١٣.

محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود وشرح سنن أبي داود، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، ضبط وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الناشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية، مطبعة المجد، ط ٢، المدينة المنورة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، ص ٢٧٦. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: آبادي، عون المعبود. أحمد شلبي: الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي، مكتبة النهضة العربية المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٤ م، ص ٨١. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد: أحمد شلبي، الجهاد والنظم.

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج.

(٢) زيد بن ثابت، الأنصاري: (ت: ٦٧٤) من كبار الصحابة ولد قبل الهجرة بنحو عشر سنين، اتصل بالنبي ﷺ بمجرد وصوله إلى المدينة، لم يشهد بدرأ ولا أحداً لصغر سنه، أحسن الكتابة بالعبرية، كما أحسن العبرية والسريانية، فاتخذ الرسول كاتباً له وللوحي، وبقي كاتباً للخلفاء الثلاثة من بعده، ومنظماً لبيت المال، ورئيساً للديوان، فاستحق هذا الوصف أفرضكم زيد، حفظ القرآن وأتقنه، وكتبه في صحف في عهد أبي بكر، واشترك في جمعه في مصاحف في عهد عثمان. راجع: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص ٩٣٧.

ووصية عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص^(١)، وهذه الوصايا مشهورة ومدونة في كتب التاريخ^(٢) وسيأتي ذكرها إن شاء الله.

(٣) = عبدالرؤف عون، الفن الحربي، ص ١٢٣، أحمد شلبي، الجهاد والنظم، ص ٨٩، أحمد أمين، فجر الإسلام، ط ١٠، ص ١٤٢.

محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ / ١٩٤٥ م) تاريخ الرسل والملوك، الأجزاء ١٠، ١٣ م.

تحقيق أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٩ م، م ٣، ص ٤٢. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الطبري، تاريخ.

أبو داود: حديث رقم ٣٦٤٥، ج ٣، ص ٣١٨.

(١) سعد بن أبي وقاص: (ت ٥٥ هـ - ٦٧٥ م) مالك بن وهيب بن عبد مناف القرشي الزهري الصحابي، فاتح العراق، أسلم وهو ابن ١٧ سنة، وأول من رمى سهماً في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وافتتح القادسية، نزل أرض الكوفة وظل والياً عليها مدة عمر بن الخطاب، وأقره عثمان زماناً ثم عزله، فعاد إلى المدينة. راجع: أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأجزاء ١٠، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٢ هـ، ج ١، ص ٩٢ - ٩٥ سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الأصبهاني، حلية الأولياء.

شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ، ١٤٤٨ م): تهذيب التهذيب، ١٠ م، مطبعة دائرة المعارف النظامية في الهند، ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م، ج ٣، ص ٤٨٣.

سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب. ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، ج ٣، ص ١٣٧ - ١٤٠.

(٢) محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، دار المعرفة، بيروت، م ٢، ج ٢، ص ١١٠. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتب النهضة المصرية، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٦٤ م، ج ١، ص ٤١١، ٤٨٢. أبو عبد الله بن عمر الواقدي، فتوح الشام، دار الجيل للنشر والتوزيع، ص ١٥، ١٦. محمود شيت خطاب، عمر بن الخطاب الفاروق القائد، منشورات دار مكتبة الحياة، مطابع بيلوس الحديثة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٥ هـ، ١٩١٦ م، ص ٩٥، أحمد شلبي، الجهاد والنظم، ص ٨٩. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨ هـ، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، ج ١، ص ٩٢ - ٩٤.

لقد تتبع المسلمون ما خطاه الرسول ﷺ فاهتموا باستقصاء أخبار الأعداء في جميع أطوار حياتهم^(١)، وقد عني بها العباسيون عناية خاصة، فشكّلوا دوائر استخبارات متعددة، شكّلوا دوائر خاصة دعيت بالأخبار والبريد خاصة بالعيون الداخلية، وشكّلوا دائرة أخرى دائرة خاصة بالتجسس الخارجي، كما شكّلوا دائرة ثالثة خاصة بمكافحة جاسوسية العدو في البلاد الداخلية^(٢). وكان صلاح الدين^(٣) يرسل سراياه لكشف أخبار عدوه من الزنكيين الذين استعدوا لطرده من دمشق^(٤)، سنة ١١٧٦، وعرف أن الحلبيين ومن معهم قد

= أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم، الخراج، المطبعة السلفية، ط ٢، القاهرة، ١٣٥٢ هـ، ص ١٤٦.

حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج ١، ص ٤٨١، ٤٨٢.

(١) محمود أبو ليل، أسس العلاقات الدولية في الإسلام، دار المصطفى للنسخ والطبع، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م، ص ٣٥٢.

أحمد شلبي، الجهاد والنظم، ص ٩٠، عبدالرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٢١٦.

المهيم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢.

الكاندهلوي: حياة الصحابة، ج ٢، ص ١١٠.

(٢) محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، طبعها ونشرها كلية الحقوق في الجامعة السورية، رمضان ١٣٧٧ هـ، آذار (مارس ١٩٥٨ م)، ص ٣٣٠، ٣٣١.

(٣) صلاح الدين الأيوبي: مقاتل وبطل مسلم مؤسس الأسرة الأيوبية بمصر، والخصم الأكبر للصليبيين، ولد في تكريت من أصل كردي، عاش عشر سنوات في دمشق، في بلاط نور الدين سلطان السلاجقة، حيث عني بدراسة المذهب السني، بدأ أعماله بفتح اليمن وفلسطين واستولى على دمشق والموصل وحلب سنة ١١٧٤، هزم الصليبيين في معركة حطين سنة ١١٨٧ فسقطت بيت المقدس في يده، كان صلاح الدين رجلاً مثقفاً يحب العلم ويشجع العلماء، عمر المساجد وأصلح الري، وبنى القلعة وبعض أسوار القاهرة، مات بدمشق ودفن بها سنة ١١٩٣ م.

راجع: أحمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، دار صادر، عدد الأجزاء ٨، ج ٦، ص ١٣٩، ١٦٠.

(٤) دمشق: قيل سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا، وقيل: سميت دمشق =

بلغوا ٢٠,٠٠٠ فارس، وعرف استعداد ريتشارد الصليبي من السير إلى بيت المقدس سنة ١١٩٢، وقد قويت مناصحة أمير طرابلس الصليبي إلى صلاح الدين والمسلمين، الأمر الذي دفعه إلى بعث عيونه وجواسيسه لاستطلاع أخبار بلادهم للمسلمين^(١).

وكان عيون الاستخبارات لا يظهرون أنفسهم، فكان منهم الرجل والمرأة والشيخ والولد والزمن وابن السبيل والأحدب والكسيح وغيره، كانوا يرحلون إلى البلاد المجاورة متنكرين في زي التجار والأطباء والفلاحين، يجمعون الأخبار، ويرسلون بها إلى مراكز كانت مثورة في أطراف بلاد العدو، وكانت هذه المراكز توحد الأخبار بعد تنقيتها ثم ترسل بها إلى مراكز الدولة وعاصمة الخلافة^(٢).

وقد استخدم في هذه الدوائر أهل الذمة، فكان اليهود يتجسسون لحساب المسلمين في الجزيرة العربية، وكان النصارى العرب أكثر الناس حبا بالجاسوسية لحساب المسلمين^(٣).

بدمشق بن قاني بن مالك بن أرغند بن سام بن نوح، فتحها المسلمون في رجب سنة ١٤ بعد حصار ومنازلة زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

راجع: أحمد عطيه الله، القاموس السياسي، ص ٥٣٠. الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٣، ٤٧٠.

(١) الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، ص ١١٩، ١٧٦، ٢٥٩.

(٢) انظر: الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبدالرؤف عون، مراجعة الدكتور مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، القاهرة، ص ٢٣، ٢٤.

محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١.

(٣) انظر: محمد جمال الدين محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦ م، ص ١٥٤.

محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، دولة قطر، الدوحة، محرم ١٤٠٠ هـ، ص ١٦٩.

محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٩.

الفرع الثاني

منهاج استخبارات الرسول ﷺ

وضع الرسول منهاجاً لاستخباراته يعد من أحدث المناهج الاستخبارية في زماننا، ذلك أنه نهى استخباراته عند خرجهم أن يحدث أحدهم حديثاً يدل عليه، لأن فوز الاستخبارات بالمعلومات النافعة أهم في نظر القيادات الحكيمة من قتل عدة فوارس.

ففي يوم الخندق أرسل الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان^(١) عيناً على قريش^(٢)، ونهاه أن يحدث حديثاً حتى يعلم علمهم ويأتيه من أخبارهم ففعل^(٣). وسار الرسول ﷺ في حروبه على هذا المنهج، فتراه في غزوة بدر يأمر أصحابه بأن يقطعوا الأجراس من أعناق الإبل حتى يكون سيرهم خفية، وفي غزوة الفتح كتم الرسول بأمره، وقال لعائشة^(٤): جهزي ولا تعلمي بذلك

(١) حذيفة بن اليمان (١٠٠ - ٣٦ هـ = ٦٥٦ - ٦٠٠ م).

حذيفة بن عسيل بن جابر العيصي أبو عبدالله، واليمان لقب عسيل: صحابي، كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين، ولاه عمر على المدائن (بفارس) هاجم نهاوند سنة (٢٢ هـ)، فصالحه صاحبها على مال يؤديه في كل سنة، توفي في المدائن، له في كتب الحديث ٢٢٥ حديثاً، الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٧١.

(٢) قريش بن بدر بن النضر بن كنانة، من عدنان: جاهلي، من أهل مكة، كان دليل بني كنانة في تجارتهم، فإذا أقبل في القافلة يقال قدمت غير قريش، فغلب لفظ قريش على من كان في عهده من بني النضر بن كنانة، وللنسايب خلاف طويل في قريش، فقائل أنه لقب للنضر بن كنانة، وقائل أنه لقب لفهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقائل أن بني النضر بن كنانة سمو قريشاً لتقرشهم أي تجمعهم في أيام قصي بن كلاب بن النضر الكناني. راجع الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ١٩٥.

(٣) عبدالرؤوف عون: الفن الحربي في الإسلام، ص ١٢١.

أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ٩٠.

(٤) عائشة أم المؤمنين (٩ ق هـ - ٥٨ هـ = ٦١٣ - ٦٧٨ م).

عائشة بنت أبي بكر الصديق عبدالله بن عثمان، من قريش، تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة، توفيت في المدينة، روي عنها ٢٢١٠ أحاديث، وكانت أحب نساء =

أحداً، ولما سار بأصحابه سألهم عن وجهته، فأجابوه بقوله حيث شاء الله^(١).

نهج أصحاب الرسول ﷺ نهجه، فكان عمر بن الخطاب ينهى الأعاجم عن دخول المدينة خشية التجسس على المسلمين، وكان عمر يمنعهم أن يحدوا حدو المسلمين في المدينة حتى لا يلتبس الأمر على الناس^(٢).

وقد تشدد عمر بن عبدالعزيز^(٣) في تنفيذ قانون الفاروق^(٤) على الأعاجم، وكان يتهم المتساهل فيه بالضعف.

=

النبى له، وأكثرهن رواية للحديث عنه. انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٢٤٠.

(١) أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ٩٢.

(٢) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الأجزاء ٢، وثق الطبعة بوسع أسعد داغر، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣ م، ج ١، ص ٦٣.

(٣) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين، ولي الخلافة سنة ٩٩ هـ، ومدة خلافته ستان ونصف، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة، وكان يدعى أشجع بني أمية، انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٥٠.

(٤) الفاروق: عمر بن الخطاب (ت ٢٣ هـ، ٦٤٤) ثاني الخلفاء الراشدين، من بني عدي أحد بطون قريش، أسلم قبل الهجرة بأربع سنوات، لقبه الرسول ﷺ بالفاروق، تولى الخلافة ١٣ هـ/ ٦٣٤ م واصلت الجيوش الإسلامية في عهده الفتوحات وتمكن من إكمال فتح الشام والعراق وغالبية فارس والإستيلاء على مصر، كان يلقب بخليفة خليفة رسول الله ثم بأمير المؤمنين، أمر بإنشاء معسكرات للجند، أصبحت فيما بعد مدن زاهرة منها: البصرة، والكوفة والفسطاط، وهو أول من اتخذ ديواناً لضبط المال، وعمل احصاء للمسلمين، طعنه أبو لؤلؤة فيروز، موسى المغيرة بن شعبه في المسجد.

راجع: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٢٣٦، ١٢٣٧.

الأصبهاني: حلية الأولياء، مكتبة السعادة، مصر، ج ١، ص ٣٨.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ٤ م، مطبعة السعادة، بمصر، ١٣٢٨ هـ، طبعه ١، ج ٢، ص ٥١٨، ٥١٩. وسيشار إليه هكذا: ابن حجر: الإصابة.

وكان عمرو بن العاص^(١) في حروبه مع الروم يحتفظ بطائفة من استخباراته يتكلمون الرومية فكان يرسلهم إلى الروم متنكرين بينهم دون أن يحدثوا حديثاً، ويعودون إليه بأخبارهم^(٢). ثم صار القادة يهتمون باستخباراته اهتمام رسول الله ﷺ وخلفائه من بعده بحيث لا يعرف بعض استخباراتهم بعضاً إلا إذا اقتضى الأمر ذلك.

الفرع الثالث

استخبارات الاستكشاف «الإستطلاع»^(٣)

ليس المقصود من بعث السرايا الإستخبارية القتال فقط، بل تارة يكون

(١) عمرو بن العاص (ت ٤٣ هـ - ٦٦٤ م)، بن وائل السهمي القرشي أبو عبدالله فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم، كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، أسلم في هدنة الحديبية، وكان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام، ولاه عمر فلسطين فافتتحها، وعزله عثمان، ولاه معاوية مصر سنة ٣٨ هـ - ٦٥٨ م.

انظر: محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ - ٨٤٤ م)، الطبقات الكبرى، ٩ م، دار صادر، بيروت، ج ٤، ص ٢٥٤ - ٢٦١، ويشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا: ابن سعد: الطبقات الكبرى.

الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق الأرنؤوط وحسين الأسد، ١٥ م، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠١ هـ، ١٩٨١)، طبعة ١، ج ٣، ص ٥٤ - ٧٧. ويشار إليه: الذهبي: سير أعلام النبلاء.

أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ، ١٠٧٠ م)، الإستيعاب في أسماء الأصحاب، ٤ م مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨ هـ، ١٩١٠ م، ج ٢، ص ٤٩٣ - ٤٩٥. يشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: يوسف بن عبدالبر: الإستيعاب.

(٢) عبدالرؤف عون: الفن الحربي في الإسلام، ص ٢١٤، ٢١٥.

(٣) الاستطلاع: مجموعة التدابير المتخذة لجمع المعلومات الدقيقة عن تحركات العدو، واكتشاف مواقعه المتقدمة والخلفية، بغية مساعدة القائد على اتخاذ قرار سليم بناء على معلومات دقيقة ما أمكن، وتعرض القوات الصديقة للحد الأدنى من المفاجآت. راجع: الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٧٠، ٧١.

المقصود أن تستطلع خبر الأعداء فتأتي بما عزموا عليه، وتمكن الواحد من الدخول بينهم لتحصيل هذا المقصود أظهر من تمكن الثلاثة، وقد يكون المقصود من بعث السرية أن يأتيه أحدهما بالخبر ويمكث أحدهما بين الأعداء ليقف على ما يرمونه من رأي بعد ما ينفصل عنهم الواحد، وهذا يتم بالمشي، وقد يكون المقصود القتال أو القتل غيلة وبالثلاثة فصاعداً يحصل هذا، ولهذا كان الرأي فيه لأمير المسلمين يعمل بما فيه مصلحتهم^(١)، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في قتل كعب بن الأشرف^(٢)، وقتل ابن أبي الحقيق^(٣).

إن الاستخبارات الاستطلاعية من أُلزم الأمور للجيش المحارب إذا نزل بأرض العدو، إذ عليه أن يقدم بعض استخباراته ليختبر له أرض المعركة ويعرف مواقع العدو، ويجمع المعلومات الممكنة عنه، وهذا هو عمل الاستخبارات الاستطلاعية في العصور القديمة والحديثة، فهي تقوم بعمل العيون تقريباً، ولكن في ميدان المعركة غالباً، حيث تباشر القتال إذا لزم الحال.

وكان الوضع عند المسلمين أنهم يختارون استخباراتهم ممن عرفوا بالثبات والذكاء وسرعة التصرف والشجاعة والنجدة، ويحملونهم على سوابق

(١) أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، ج ٧، ص ٧٠. محمد رضا: محمد صلى الله عليه وسلم، ص ٢٣٢.

(٢) كعب بن الأشرف (ت: ٣ هـ/٦٢٥ م): شاعر جاهلي من طي، وأمه من يهود بني النضير، كان يحرض قريشاً على المسلمين بعد بدر، ثم عاد من مكة إلى المدينة، فسب المسلمات، فتواعد نفر من الأنصار على قتله، وقتله محمد بن مسلمة. راجع: المنجد في اللغة والاعلام، دار المشرق، التوزيع المكتبة الشرقية، المنجد في اللغة، الطبعة الثانية والعشرون، المنجد في الاعلام، الطبعة الثانية، بيروت، المنجد في الاعلام، ص ٥٩٠.

(٣) عبدالله بن أبي الحقيق ولقبه أبو رافع. لما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت الخزرج والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً، فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر فقتلوه.

وليد الأعظمي: الرسول في قلوب أصحابه، مطبعة الوطن العربي، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م، ص ٤٩، ١٢٦.

الخيـل ، جـيـدة الحـوافـر والـضـمـور وـيرـسـلـونـهـم مـتـخـفـفـيـن مـن كـل ثـقـل يـعـيـقـهـم لـتـحـقـيـقـي خـفـة الحـركـة لـهـم^(١).

وقـد عـمـل الرـسـول صـلى اللـه عـلـيـه وـسـلـم بـهـذا المـبـدأ ، فـكـان يـخـتـار لـاسـتـخـبـارـاتـه خـالـداً^(٢) وأـمـثـالـه مـمـن عـرـفـوا بـالشـجـاعـة وـالنـجـدة ، ثـم صـارـت تـلك عـادـة المـسـلـمـيـن دـائـماً .

كـان خـالـد بـن الـولـيـد يـوفـد اسـتـخـبـارـاتـه أـمـام جـيـشـه لـلـاسـتـطـلـاع ، وقـد عـرف عـن عـلـي بـن أـبـي طـالـب رـضـي اللـه عـنـه قـولـه : «واعـلـمـوا أن مـقـدـمـة القـوم عـيـونـهـم ، وعـيـون المـقـدـمـة طـلائـعـهـم»^(٣).

وقـد اتـبـع قـادـة المـسـلـمـيـن ذـلك النـظـام جـريـاً عـلى عـادـتـهـم مـن الحـذر وـالإحـتـراس أـثـنـاء المـسـير ، فـكـانـوا لا يـنـزـلـون مـنـزلاً إـلا بـعد إـذـكـاء اسـتـخـبـارـاتـهـم ، ومـعـرفـة المـكـان كـما يـعـرفـه أهـلـه ، وكـان الجـيـش لا يـتـقـدم إـلى مـوقـع آخـر إـلا إـذا

(١) عـبـدالرؤف عـون : الفـن الحـرـبـي فـي صـدـر الإـسـلام ، ص ٢١٨ . عـمـد رـضـا : مـحـمـد صـلى اللـه عـلـيـه وـسـلـم ، ص ٣٢٧ .

(٢) خـالـد بـن الـولـيـد : (ت : ٢١ هـ - ٦٤٢ م) ، ابن المـغـيرة المـخـزومـي القـرشي ، سـيـف اللـه الفـاتـح ، الصـحـابـي ، كـان مـن أشـراف قـريش فـي الجـاهـليـة ، أسـلم قـبـل فـتـح مـكـة سـنة ٧ هـ ، فـسـر بـه رـسـول اللـه صـلى اللـه عـلـيـه وـسـلـم وولـاه الخـيـل ، ووجـهـه لـقـتـال مـسـيـلـمة وـمـن ارـتـد مـن أـعـراب نـجـد ، ثـم سـير إـلى العـراق سـنة ١٢ هـ ، فـفـتـح الحـيـرة ، وحـول إـلى الشـام ، وجـعـل أـمـير مـن فـيـها مـن الأـمـراء ، فـلـما ولى عـمـر عـزله ، وولى أبو عـبـيـدة ، وقـال أبا بـكر : عـجـزت النـسـاء أن يـلـدن مـثـل خـالـد .

راجـع : ابن حـجـر : الإصـابة ، مطـبـعة السـعـادـة ، جـ ١ ، ص ٤١٣ ، ٤١٥ .

(٣) عـبـدالرؤف عـون : الفـن الحـرـبـي فـي صـدـر الإـسـلام ، ص ٢١٨ . حـسـن ابراهـيـم حـسـن : تـارـيـخ الإـسـلام السـياسـي ، جـ ١ ، ص ٤٨٢ .

صـحـيـح مـسـلم بـشـرح النـووي ، عـدد الأـجـزاء ١٨ ، دار إحياء التـراث العـربـي ، الطـبـعة الثـانـية ، بـيـروت ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، جـ ١٢ ، ص ١٣٤ - ١٣٦ .

مـحـمـود شـيـت خـطـاب : قـادـة فـتـح العـراق وـالجـزـيـرة ، دار الفـكـر ، الطـبـعة الثـالثـة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٣١٩ .

مـحـمـد المـعـراوي : شـريـعة الحـرـب فـي الإـسـلام ، ص ٣٢٥ .

جاء الخبر من الطليعة^(١) الاستخبارية بسلامة المنطقة التي سيرحل ويتقدم إليها^(٢).
أما عدد الطليعة الاستخبارية فقد أشار إليه الهرثمي، إذ نصح ألا تقل الطليعة عن ثلاثة أحدهم يأتي بالخبر واثنان يتقدمان إلى العدو، بحيث يكون بينهما مسافة ميل في تقدمهم ليحفظ كل واحد منهما ظهر صاحبه، ونصح لهم بأن يكون تطلّعهم على المرتفعات وألا يُجرّوا خيلهم في الأرض التي يشور غبارها، وألا يدخلوا أكثر من ثلثي الطريق بينهم وبين عدوهم^(٣).

وهذه ظاهرة تطورت مع حروب الفتوحات الإسلامية، وهي تشبه في جوهرها استخبارات الإستطلاع والإستكشاف التي كانت في عهد نابليون، إذ لم يعرف عن قائد حديث أنه كان يعنى بالإستطلاع والإستدلال عناية نابليون الذي أخذ وتعلم درساً قاسياً من خلال حروبه، وهو ضرورة تنظيم جهاز استخبارات فعال كفوء^(٤).

بل إن عمرو بن العاص دخل أحد الحصون في فلسطين متخفياً على أساس أنه رسول عمرو بن العاص إلى القائد البيزنطي أرطوبون بقصد استكشافه

(١) الطليعة : القوم يبعثون لمطالعة خبر العدو، والواحد والجمع فيه سواء، وطلليعة الجيش الذي يطلع من الجيش يبعث ليطلع طلع العدو.

راجع: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، ١٥ م، دار صادر، بيروت، ج ٨، ص ٢٣٧. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: ابن منظور: لسان العرب.

(٢) ظافر القاسمي: الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٢ م، ص ٣٠٣.

(٣) الهرثمي صاحب المأمون، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبدالرؤوف عون، مراجعة الدكتور مصطفى زياد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة، مطبعة مصر، القاهرة، ص ٢٤.

(٤) منير شفيق: علم الحرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢١٠.

واستطلاع نفسه، وهذا يشبه ما اشتهر عن نابليون الذي كان يمسح أرض المعركة بنفسه قبل خوضها^(١).

هكذا كان عليه الصلاة والسلام يهتم بأمر استخباراته الاستطلاعية إذ كان يعول في استطلاع أخبار كل مكان على أهله وأقرب الناس إلى العلم بفجائه ودروبه، ويعقد ما يسمى اليوم بمجلس الحرب قبل أن يبدأ بالقتال فيستمع من كل فيما هو خبير به من فنون أو دلائل استطلاع^(٢).

وفي العصور الحديثة نجد الدول كثيراً ما تهتم بأمر الاستخبارات الاستطلاعية سواء الجوية أو البحرية أو البرية بواسطة الأقمار الصناعية والطائرات والسفن ووسائل العصر الحديثة بغية الحصول على معلومات عن الدول الأخرى.

الفرع الرابع

عظمة استخبارات المسلمين

كان المسلمون يحرصون كل الحرص على أسرار الجيش الإسلامي، ويقدمون الأرواح دون ذلك، فقد وقع عبدالله بن حذافة أسيراً في أيدي الروم، فلما مثل عبدالله أمام ملك الروم لم ينحن له، ولم يكثرث له، فحاول الملك أن يرده عن الإسلام فسخر منه عبدالله، فسأله الملك عن بعض أسرار الجيش الإسلامي لينجوه بحياته من موت محقق فأجاب: أنعم بها من شهادة ما للخيانة من سبيل، فأمر به الملك فوضع في مكان يوضع فيه من يوشك أن يقتل وأمر الملك الرماة أن يرموا بسهامهم قريباً من بدنه لإخافته وإرهابه ولكنه ظل يبتسم وهو يظن أنه يستقبل الموت، فأمر الملك أن يحل وثاقه إعجاباً وتقديراً، وأدرك الملك سر الانتصارات التي يحققها المسلمون^(٣).

(١) منير شفيق علم الحرب، ص ٢١١.

(٢) سعيد حوى، الرسول، عدد الأجزاء ٢، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م، ج ١، ص ٢٥٤، ٢٦١.

(٣) أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ١١٦.

إن الترك^(١) حاصرت مدينة بردعة^(٢) من أعمال أذربيجان في أيام هشام بن عبد الملك حصاراً شديداً واستضعفتها وكادت تملكها، فتوجه لمعونتها سعيد الحرشي من قبل هشام بن عبد الملك في جيوش كثيفة، فعلم الترك بقربه منهم، وأرسل سعيد واحداً من قبله إلى أهل بردعة سرّاً يعرفهم وصوله، ويأمرهم بالصبر خوفاً من أن لا يدركهم فساد الرجل فلقية قوم من الترك فأخذوه، وسأله عن حاله، فعذبوه، فأخبرهم وصدقهم فقالوا: إن فعلت ما نأمرك به أطلقناك وإلا قتلناك. فقال: ما تريدون؟ قالوا: أنت عارف بأصحابك ببردعة وهم يعرفونك، فإذا وصلت تحت السور فنادهم إنه ليس خلفي مدد ولا من يكشف ما بكم، وإنما بُعِثْتُ عينا، فأجابهم إلى ذلك، فلما صار تحت السور، وقف حيث يسمع أهلها كلامه، وقال لهم: أتعرفونني؟ قالوا: نعم، أنت فلان، قال: إن سعيداً الحرشي قد وصل إلى مكان كذا في مئة ألف سيف وهو يأمركم بالصبر وحفظ البلد وهو مصبحكم أو ممسيكم، فرفع أهل بردعة أصواتهم بالتكبير، وقتلت الترك ذلك الرجل، ورحلوا عنها، ووصل سعيد فوجد أبواب المدينة مفتوحة وأهلها سالمين وهكذا كانوا رضي الله عنهم في حفظ دينهم وأسرار جيوشهم^(٣).

(١) الترك: اصطلاح يطلق في معناه الواسع على الشعوب التي تتكلم اللغة التركية في تركيا، وروسيا السوفيتية، وتركستان الصينية، وشرقي إيران، ويبلغ عدد سكان هذه الجهات من الناطقين بالتركية نحو ٢٥٠٠٠٠٠٠، وأكبر الظن أن الترك الأصليين عاشوا أولاً في ج سيبيريا، وفي تركستان، وتوسعوا جنوباً وغرباً، وأقاموا إمبراطوريات عدة في آسيا كإمبراطوريتي الأتراك السلاجقة والأتراك العثمانيين، وظهر الترك السلاجقة (القرن العاشر) في إيران، وبانتصارهم على الإمبراطورية البيزنطية (١٠٧١) في مزيكرت أقاموا إمبراطورية فنية، ولكنها سقطت في القرن ١٢، اكتسح التترالدويلات التي خلفتها، ولكن أقام الأتراك العثمانيون بقيادة عثمان الأول (القرن الرابع عشر) الإمبراطورية العثمانية المترامية الأطراف، ويدعى شعب تركيا الحديثة: الأتراك العثمانيين.

راجع: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص ٥٠٤، ٥٠٥.

(٢) بردعة: بلد في أقصى أذربيجان، معناه بالفارسية موضع السبي، وذكر أن بردعة هي مدينة آرآن، وهي آخر حدود أذربيجان.

راجع: الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٩.

(٣) أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ١٢٨.

المطلب الخامس

استخبارات الأعداء على المسلمين

إن أعداء الإسلام قد عنوا بمعرفة أخبار المسلمين، فبعثوا باستخباراتهم لاستطلاع أخبار المسلمين.

عن سلمة بن الأكوع^(١) قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم عين «من استخبارات المشركين وهو في سفر فجلس عند بعض أصحابه يتحدث ثم انسل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اطلبوه فاقتلوه»^(٢) فسبقتهم إليه فقتلته فنفلني سلبه^(٣).

قال الوليد بن مسلم بسنده عن رجلين من نصارى نجران قالوا:

لما نزل المسلمون بناحية الأردن تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا

(١) سلمة بن الأكوع: (١٠٠ - ٧٤ هـ = ٦٩٣ - ٦٠٠ م).

سلمة بن الأكوع بن سنان الأكوع الأسلمي: صحابي من الذين بايعوا تحت الشجرة، غزا مع النبي سبع غزوات، منها الحديبية وخيبر وحنين، غزا إفريقية أيام عثمان، له ٧٧ حديثاً، توفي في المدينة المنورة. راجع: الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ١١٣.

(٢) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ، سنن أبي داود، راجعه محمد محي الدين عبد الحميد، ٤ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حديث رقم ٢٦٥٣، ٢٦٥٤، ج ٣، ص ٤٨، ٤٩. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: أبو داود: سنن.

(٣) انظر: محمد محمود الراميني: الجهاد في الإسلام، منشورات دار مكتبة الحياة، مطبعة النجوى، بيروت، ١٩٦٧ م، ص ١٢٧، ١٢٨.

عبد قدوري، الحرب والسلام في الإسلام، الدار المتحدة للنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٣ م، ص ١٤٨، ١٤٩. محمد رضا: محمد صلى الله عليه وسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥/١٩٧٥، ص ٣٢٧.

نتسوق منها قبل ذلك، فبينما نحن فيها إذ أرسل إلينا بطريقها فجئناها، فقال: أنتما من العرب؟ قلنا نعم، قال: وعلى النصرانية؟ قلنا نعم، فقال ليذهب أحدكم فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم وليثبت الآخر على متاع صاحبه، ففعل ذلك أحدهما، فلبث ملياً ثم جاءه، فقال للبطريق: جئتك من عند رجال دقائق يركبون الخيل العتاق، أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، لو حدثت جليستك حديثاً ما فهمه عنك لما علت أصواتهم بالقرآن والذكر^(١).

وكان الفرس يعيشون باستخباراتهم ليتجسسوا على المسلمين، ففي القادسية^(٢) دخل المسلمون حصن العذيب، الذي لم يجدوا فيه أحداً من الجند إلا رجلاً من استخبارات الفرس كان يظهر لهم على البرج وبين الشرف^(٣) ليخدعهم وينقل أخبارهم إلى الفرس، وعرف زهرة بن الحوية ذلك فتبعه ولحق به وهو يقول: إن أفلت الربّي أتاهم الخبر، فأدركه بخندق سابور فقتله، فلم ير المسلمون عين قوم قط أثبت ولا أربط جاشاً منه، ولولا بعد قصده ما أدركوه^(٤). قال الواقدي^(٥):

كانت الساقطة تنزل المدينة في الجاهلية والإسلام، يقدمون بالبر والشعير

-
- (١) الراميني: الجهاد في الإسلام، ص ١٤٨.
- (٢) القادسية: القادس السفينة العظيمة، وقيل: كانت القادسية تسمى قديساً، وبهذا الموضع كانت القادسية بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص وبين الفرس في أيام عمر بن الخطاب، (سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م)، وكان النصر فيها للمسلمين.
- راجع: الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩١، ٢٩٢.
- (٣) شرف: بالتحريك، وهو المكان العالي.
- راجع: الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٣٦.
- (٤) انظر: أحمد عادل كمال، القادسية، دار النفائس، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ص ٤٦، ٤٧. الطبري: تاريخ ج ٤، ص ١٦٥، ١٦٦.
- (٥) الواقدي، محمد بن عمر (٧٤٧ - ٨٢٢)، من أقدم المؤرخين في الإسلام، ولد بالمدينة، وأقام ببغداد، حيث تولى قضاؤها وفيها توفي، اتصل بخالد البرمكي، فأجزل عليه عطاياه، وقربه من الخليفة، من مؤلفاته (المغازي)، (فتح إفريقية)، (فتح مصر والإسكندرية)، (فتوح الشام)، أشهر من روى عنه كاتبه ابن سعد. راجع: المنجد في الأعلام، ط ٨، ص ٧٤٠.

والزيت والقماش وما يكون في الشام، فقدم بعض الساقطة إلى المدينة وأبو بكر ينفذ الجيوش، وسمعوا كلام أبي بكر لعمر بن العاص وهو يقول: عليك بفلسطين وإيلياء^(١) قال: فساروا بالخبر إلى هِرَقْل^(٢)، وأمر هرقل أن يؤتى برجل من المتنصرة ممن قدم عليه بالأخبار، فقال له الملك: كم عهدك؟، قال: منذ خمسة وعشرين يوماً، فقال فمن المتولي عليهم؟ قال له: رجل يقال له أبو بكر الصديق وجه جيوشه إلى بلدك، قال: هل رأيت أبا بكر؟ قال: نعم، وأنه أخذ مني شملة بأربعة دراهم وجعلها على كتفه، وهو كواحد منهم، يأخذ الحق من القوي للضعيف. قال هرقل: وحق ديني هو صاحب أحمد الذي كنا نجد في كتبنا، أنه يقوم بالأمر من بعده، ونجد في كتبنا أيضاً بعد هذا الرجل رجلاً آخر طويل كالأسد يكون على يديه الجلاء، قال: فشقق المتنصر من قول هرقل، وقال: إن هذا الذي وصفته لي رأيتُه معه لا يفارقه^(٣).

(١) إيلياء: بكسر أوله واللام، اسم مدينة بيت المقدس، قيل: معناه بيت الله، وقيل: إنما سميت إيلياء باسم بانيها وهو إيلياء بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام.
راجع: الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٩٣.

(٢) هرقل: بكسر الهاء، وفتح الراء، وهو قيصر الروم، وقائد جيشهم في بلاد الشام في أكثر من موقعة، بقي في الشام إلى أن افتتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب، فر إلى الرها، ثم علا على نشز من الأرض والتفت إلى الشام وقال: السلام عليك يا سوريا سلام لا اجتماع بعده، ولا يعود إليك رومي بعدها إلا خائفاً.

انظر: أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري (ت: ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م)، فتوح البلدان، م ١، راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨/١٩٧٨ م، ص ١٢٠ - ١٣٠. سيشار إلى هذا المصدر فيما بعد عند وروده هكذا: البلاذري: فتوح الشام.

أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م، م ١٤، ج ٥، ص ٣٩٧. سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: القلقشندي: صبح الأعشى.

(٣) انظر: الرازي: فتوح الشام، ص ١٨.

المطلب السادس

الاستخبارات الحديثة (منذ العصور الوسطى إلى يومنا هذا)

كشفت الاستخبارات الحديثة أن إمبراطورية جنكيزخان^(١) أثبتت انتفاعها بأعمال الاستخبارات، وقد استخدم جنكيزخان بعض استخبارات العدو كوسيلة لإرهاب جنود العدو أنفسهم، وعندما كان يستعمل جواسيس العدو إلى جانبه كان يلقنهم الشائعات التي يثيرونها بين قواتهم، إن جنكيزخان أطلق استخباراته، وجعلها كخلية النمل على ملك خوارزم المسلم^(٢).

كان التجار المتجولون أهم أنواع الجواسيس وأكثرهم عدداً، وكانوا يختارون من بين مختلف الجنسيات على أن يتميزوا بالذكاء وقوة الملاحظة، وهؤلاء التجار الجواسيس يمثلون العدد الأكبر من استخبارات جنكيزخان، كانوا

(١) جنكيزخان: (١١٦٧ - ١٢٢٧) فاتح مغولي، اسمه الأصلي تيموجين، خلف أباه يقوصاي رئيساً للتحالف المغولي، اتخذ تيموجين لقبه ١٢٠٦ بعد إتمام فتح منغوليا، وتأسس عاصمة له في قرقورم، هاجم إمبراطورية الشان شمال الصين سنة ١٢١٣، وفي سنة ١٢١٥ كان قد استولى على غالبية أراضيها بما فيها العاصمة ينشنج (بينسخ الحالية)، فتح سنة (١٢١٨ - ١٢٢٤) تركستان وبلاد أفغانستان، وأغار على فارس، والدول الواقعة حالياً في جنوب روسيا، توفي في أثناء حربه ضد الشان، وقسمت مملكته بين أولاده الثلاثة، عرفت حروب جنكيزخان بالخداع الرهيبة، ولكنه كان حاكماً بارعاً، وبقيت إمبراطوريته قائمة حتى ١٢٦٨، تحدر منه تيمورلنك.

. راجع: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص ٦٥٠.

(٢) أحمد الشتاوي ورفقائه، دائرة المعارف الإسلامية، تراجعها وزارة المعارف، م ١٢، ص ٣٨٦ - ٣٩٢. صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٥، ١٦. حافظ إبراهيم خير الله، ملف السبعينات في عالم الاستخبارات، ص ٣.

ينتشرون في مقدّمة الجيوش الجنكيزية، وأثناء قيامهم بمهمتهم مع التجار المظمثين إليهم في البلدان، يتطلعون فيما حولهم، ويكتبون مذكراتهم ثم يرسلون المعلومات اللازمة إلى جنكيزخان الذي يقون بالغزو والإستيلاء على البلاد^(١).

يقول لاديس فارجو: لقد أقدم الصليبيون^(٢) على مغامرتهم دون أن تكون لهم إدارة استخبارات منظمة ومن ثمّ لا قوا شر الجزاء، ولو أنشأوا إدارة استخبارات منظمة لحصلوا على نتيجة أفضل^(٣).

ومنذ أيام القرون الوسطى إلى عصر النهضة كانت الدبلوماسية^(٤) والاستخبارات مرتبطتين معاً إرتباطاً وثيقاً إلى حد أن السفراء الأجانب كانوا يعتبرون أحياناً أفضل من الجواسيس، ولقد أقامت جمهوريّة البندقية سفارات

(١) حافظ ابراهيم خير الله: عالم الاستخبارات. ص ٤٠، أحمد الشتاوي، دائرة المعارف الإسلامية، م ١٢، ص ٣٩٠. أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٤٠.

(٢) الحروب الصليبية: سلسلة حروب شنها المسيحيون الأوروبيون بين القرنين ١١، ١٤ لاستعادة الأراضي المقدسة، وبخاصة القدس من المسلمين، وكان السلاجقة قد ظهروا على مسرح الأحداث في الشرق الأدنى في أواخر الثلث الثاني منذ القرن ١١، وأخذوا يتوسعون على حساب الدولتين الفاطمية والبيزنطية، وفي ١٠٧١ هزم السلاجقة البيزنطيين في معركة ملاذكرو وأسروا الامبراطور رومانوس ويوجنيس، فوجه البيزنطيون نداءات عديدة للغرب كان آخرها الذي وجهه الامبراطور الكسيوس، وكان هدف الحروب الصليبية تخليص القبر المقدس من المسلمين، كما استهدف النبلاء الغنائم وتأسيس الإمارات وكان للنورمان أهداف توسعية على حساب البيزنطيين والمسلمين على السواء. راجع: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص ٧٠٩.

(٣) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٤١.

(٤) دبلوماسية: كلمة يونانية الأصل، استخدمت منذ عهد الامبراطورية الرومانية، وكانت تعني مهمة حفظ الوثائق التي تتضمن الاتفاقات الخارجية، وكانت تلك الوثيقة تعرف بإسم «الدبلوما» وعرف القائم عليها بإسم الدبلوماس (الدبلوماسي)، ثم تطور مفهوم اللفظ حتى شمل معان عدة.

راجع: أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ٥١٨.

وهيئات دبلوماسية خارج بلادها، وكانت تتسلم ما يمكن تسميته في أيامنا هذه بتقارير الإستخبارات من السفراء والعملاء^(١).

في القرن الخامس عشر أسهم الإيطاليون إسهاماً هاماً في عملية جمع المعلومات عندما أنشأوا السفارات الدائمة لهم في الخارج، وكان مبعوثو البندقية يتمتعون بمهارات خاصة في جميع المعلومات، إذ كانت تقارير استخباراتهم على درجة عالية من الدقة والإتقان، ولم يكن يبدأ القرن السادس عشر حتى كانت معظم الحكومات الأوروبية قد نهجت ما نهجته الولايات الإيطالية^(٢).

ولما كان رسم الخرائط فناً غير معروف في الأزمنة القديمة، فقد أصبحت المعلومات الخاصة بالجغرافيا المحلية عنصراً هاماً من عناصر الإستخبارات، إن اكتشاف طريق في جبل يمكن أن يمهّد الطريق للمرور عبر موقع منيع للعدو، وإن معرفة مخاضة للنهر قد تساعد الجيش على أن ينجو من التطويق، وبالإمكان حث السكان المحليين على إعطاء مثل هذه المعلومات بأنواع من المغريات.

فمثلاً منح لويس التاسع الفرنسي بدوياً مصرياً مكافأة بعد أن أرشده إلى مخاضة في أحد فروع النيل يعبر من خلالها إلى الجيش المصري في المنصورة، وبهذه الطريقة عاونه على شن هجوم غير متوقع على جيش بلده^(٣).

وفي بريطانيا نظم السير فرنسيس ولسنجام عام ١٥٧٣ م جهاز استخبارات للحصول على المعلومات اللازمة^(٤)، إذ كان يرسل الموهوبين من طلبة أكسفورد

(١) صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٦.

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٤١.

(٢) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٤٢. صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٦.

(٣) صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٧.

(٤) سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ص ١٨٠، ١٨١.

وكمبريدج للدراسة في فرنسا والتغلغل في البلاد لكي يتعرفوا على نواياها ضد إنجلترا^(١).

وفي أيام ولسنجام المتوفى سنة ١٥٩٠ م أصبح في استطاعة وزير الخارجية أن يراقب المراسلات الخارجية والمحلية، فيفتح المراسلات والخطابات ويطلع عليها ثم يعيد غلفها وإرسالها، وكان في خدمته خبير في الكتابة السرية وحل الشفرة هو توماس فيليب الذي كان يبتكر الرموز لرسائل ولسنجام السرية^(٢).

كما أن السويد في القرن السابع عشر وجد بها أدق نظام استخبارات في أوروبا ويعترف وزير روسي بذلك إذ يقول:

إن السويديين يعرفون عنا أكثر مما نعرف نحن عن أنفسنا^(٣).

وفي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بدأت التفرقة الحادة بين عمل الأمن الداخلي وجمع المعلومات الخارجية، وفي الدول العظمى بدأت أجهزة مستقلة تعمل تحت إمرة خبراء مستقلين لتقوم بتولي المهام المختلفة في الجهازين.

ويشير آلان دالاس إلى أعظم خدمات الاستخبارات في أوروبا في القرن التاسع عشر لا تتولاها الحكومات بل كان يتولاها بيت روتشلد اليهودي، فلكي يمكنه العمل لصالح أصحاب رأس المال، كان بيت روتشلد يحصل على معلومات هامة قبل أن تحصل عليها الحكومات^(٤).

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٤٢.

صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٧.

(١) حافظ إبراهيم خير الله: عالم الاستخبارات، ص ٧.

(٢) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٤٣.

صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٨.

(٣) انظر: صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٩.

وكان على رجال شتير سنة ١٨٧٠ م إلى جانب حصولهم على كافة المعلومات عن النمسا وفرنسا أن يمنعوا الجواسيس من الحصول على معلومات عسكرية عن بروسيا، فأنشأ شتير دائرة استخبارات لمكافحة التجسس^(١).

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر اتسع نشاط دائرة الاستخبارات حيث اتجهت الدول العظمى إلى تنظيم أجهزة استخباراتها وأخذت تتوسع في حجمها وفي مقدراتها وخاصة بعد تطور صناعة الطائرات، واستخدام الاتصالات السلكية واللاسلكية، مما قوى مركز الاستخبارات بصفة عامة.

كما ساعدت الظروف التي صحبت الحرب العالمية الأولى^(٢) على ممارسة نشاط الاستخبارات وخاصة الدول المحايدة التي كانت تحيط بالدول المتحاربة^(٣).

وخلال الفترة من ١٩١٤ - ١٩١٨ نالت الاستخبارات البريطانية شهرة كبيرة، إذ اتخذت الإجراءات الوقائية لتأمين أسرارها بإلقاء القبض على جميع

(٤) انظر: أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٤٤.

صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ٢٢.

(١) صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ٣٨٥.

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٤٤. حرب الاستخبارات، ص ٣٢.

الحرب العالمية الثالثة، ص ٤٠.

(٢) انظر: الحرب العالمية الأولى: الحرب العظمى، اسم أطلق على الحرب الأوروبية التي

نشبت ما بين عام ١٩١٤ - ١٩١٨ ثم عرفت باسم الحرب العالمية الأولى تمييزاً لها عن

الحرب العالمية الثانية التي اندلعت بين عام ١٩٣٩ - ١٩٤٥، وقد مهدت لهذه الحرب عدة

عوامل تمثل الصراع بين الدول الأوروبية الكبرى لأسباب قومية أو استعمارية.

راجع: أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ٤٥١.

(٣) انظر: الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢.

حافظ إبراهيم خير الله: عالم الاستخبارات، ص ٥.

أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ١١٦٢.

العملاء والجواسيس داخل بلادها، وأخذت ترسل استخباراتها داخل البلاد وخارجها^(١).

وفي عام ١٩٣٩ لم تعد منظمة الاستخبارات تُعنى بالحصول على المعلومات العسكرية والدبلوماسية بل وعلى المعلومات الصناعية والعلمية الخاصة بالعدو^(٢)، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية^(٣) ازدادت عمليات التجسس والتسلل وكان من نتيجة ذلك أن ازداد اهتمام الاستخبارات بالأمور الأمنية حتى تضع العراقيل والعوائق أمام العملاء، وتجعل مهمتهم أكثر صعوبة^(٤).

ومن خلالها طوينا السريع حول نشاط الاستخبارات في التاريخ نصبح على يقين من أنه مهما اختلفت تنظيمات الاستخبارات ووسائلها ومهما تعددت ألوان نشاطها إلا أنها تهتم جميعها بنشاط إيجابي وآخر وقائي^(٥).



(١) انظر: سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، ص ١٨٠ وما بعدها.

(٢) انظر: حافظ ابراهيم خير الله: عالم الاستخبارات، ص ٥.

(٣) انظر: حرب عالمية ثانية: (١٩٣٩ م - ١٩٤٥)، كانت السياسة العدائية التي اتبعتها قوات المحور (ألمانيا، إيطاليا، اليابان)، أهم الأحداث السياسية التي أدت إلى اشتعالها، وبلغت الذروة باستيلاء الألمان على بوهيميا ومورافيا (مارس ١٩٣٩)، وبعد إتباع الدولتين الغربيتين (فرنسا وبريطانيا) سياسة التهدئة (١٩٣٨)، جدتا في إعادة التسلح وضمنتا سلامة الدول التي تخشى عليها وبخاصة بولندا. وأهم نتائج الحرب: إنشاء هيئة الأمم المتحدة.

راجع: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص ٧٠٠، ٧٠١.

(٤) انظر: صن تزو: فن الحرب، ص ١٥١.

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٥١، ٥٢.

(٥) محمد جمال الدين محفوظ: المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦، ص ١٤٩. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: محمد جمال: المدخل إلى العقيدة.

نماذج لأهم الاستخبارات العالمية

الاستخبارات السوفيتية^(١)

الاستخبارات السوفيتية مشابهة لدائرة حماية الدولة أي الشرطة السرية للقيصر، التي تأسست عام ١٨٨١ م، وفي عام ١٩١٧ تأسست المفوضية فوق العادة لمكافحة أعداء الثورة والقضاء على التخريب، ومقر الاستخبارات العسكرية في موسكو، وهي أهم كلية حربية لدى الجيش تدرس إلى جانب المواضيع العادية: الكتابة السرية، والتصوير على الأفلام الصغيرة جداً، وكيفية التعامل مع العملاء.

الاستخبارات البريطانية^(٢)

الاستخبارات البريطانية أسسها عام ١٥٧٣ م «السير فرنسيس ولسنجام» وزير الدولة والمستشار لدى الملكة اليزابيث الأولى، وأهم فروع الاستخبارات البريطانية الحديثة (ام. اي - ٦) تهتم بجمع المعلومات الخارجية غالباً واستخبارات (ام. اي - ٥) لا علاقة لها بالخارج، وهي مسؤولة عن الأمن الداخلي ومكافحة التجسس.

الاستخبارات الأمريكية^(٣)

بتاريخ ١٨/٩/١٩٤٧ م أمر الرئيس الأمريكي هاري ترومن بإنشاء وكالة للاستخبارات المركزية الأمريكية «C. I. A» الذي يعمل بالتعاون مع جهاز «F. B. I».

(١) انظر: حافظ إبراهيم خير الله: عالم الاستخبارات، ص ٦. سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، ص ١٣٧ وما بعدها. حرب الاستخبارات، ص ٧١ وما بعدها.

(٢) انظر: أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ١١٦٢. الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢.

(٣) انظر: سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، ص ٢٣٧ وما بعدها. حرب الاستخبارات، ص ٥٣ وما بعدها.

الاستخبارات الألمانية الغربية^(١)

منذ عام ١٩٤٥ م وحتى اليوم قامت فوق أرض ألمانيا الغربية مؤسسات للاستخبارات الداخلية والخارجية والعسكرية ذات مهام متشعبة، والاستخبارات العسكرية تابعة لوزارة الدفاع، وواجبها الأساسي تأمين سلامة القوات المسلحة داخلياً وخارجياً.

الاستخبارات الفرنسية^(٢)

يعتبر «جوزف فوشيه» وزير الشرطة في عهد نابليون بونابرت عام ١٨١٥ هو مؤسس الاستخبارات الفرنسية، لأنه أول رئيس للاستخبارات لدى الإمبراطور نابليون وفي عام ١٧٩٥ م دخل في خدمة الجنرال باراس، وكان نافعا في التجسس وتدريب المخبرين، وقد شكلت فرنسا خلال الحرب ١٩٤٣ م جهاز استخبارات أطلقت عليه المكتب المركزي للاستخبارات والعمل (B. C. R. A).

الاستخبارات الإسرائيلية^(٣)

إن المؤسسين للدولة إسرائيل اهتموا منذ البدء بضرورة الحفاظ على استخبارات قوية وفعالة، ولذا اهتم دافيد بن غوريون بإنشاء مصلحة

(١) انظر: حافظ إبراهيم خير الله: عالم الاستخبارات، ص ٤٥. أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ١١٦٢.

(٢) انظر: الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢.

حافظ إبراهيم خير الله، عالم الاستخبارات، ص ٢٨، ٤٩.

(٣) انظر: ترجمة إيلي لاندو ورفقائه: الموساد جهاز المخابرات الإسرائيلية السرية، دار الجيل للنشر، الطبعة الثانية، عمان، ١٩٨٣، ص ٦، ٧.

سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، ص ٤٢٢. الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة

العسكرية، ج ١، ص ٦٣ وما بعدها. صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ٣٨٠.

حافظ إبراهيم خير الله: عالم الاستخبارات، ص ٢٨ - ٤٩.

الاستخبارات وإنشاء خمسة فروع للاستخبارات الإسرائيلية كان منها:
الفرع الأول: فرع شاي وهو القسم التابع للهاغاناه وهو الجيش السري الذي أقامه المستوطنون اليهود في فلسطين، وحتى بعد اندماج الهاغاناه بالجيش الإسرائيلي الرسمي بقيت استخبارات شاي تقوم بجمع المعلومات وتحليلها دون تغيير في طبيعتها.

الفرع الثاني: فرع ش. ب (الشين بيت)، الذي كان مسؤولاً بصفة رسمية عن الأمن الداخلي.

الفرع الثالث: فرع علياه بيت، الذي أقيم في عهد الإنتداب البريطاني لتهريب المهاجرين غير الشرعيين إلى فلسطين.

الفرع الرابع للاستخبارات: هدفه وغايته عقد الصلات مع موظفي الاستخبارات في البلاد الأخرى.

الفرع الخامس: اقتصر على شؤون البوليس.

وفي عام ١٩٥١ أعاد بن غوريون تنظيم الاستخبارات لتتلاقى المنافسة والحسد بينها فأبقى على فرع علياه بيت وقوة استخبارات البوليس واستخبارات ش. ب، وأقام فرعاً للاستخبارات العسكرية أطلق عليه اسم أمان.

وأعطيت للفرع الكبير من فروع الاستخبارات مسؤوليات أوسع، وأطلق عليه لقب الموساد، وغاية الموساد الأساسية هي جمع المعلومات من الخارج وتحليلها، واليوم يعتبر الموساد من أنشط أربع وكالات استخبارية في العالم، وهي: الاستخبارات السوفياتية (ك، ج، ب) والاستخبارات الأمريكية (سي. آي. إيه) والاستخبارات الإنجليزية (دي ١٦)، وهي استخبارات تفوق الاستخبارات الإسرائيلية عدداً ومالاً.

الاستخباراتُ العربيةُ^(١)

يوجد في عدد من البلاد العربية جهازان رئيسيان للاستخبارات هما:
«الاستخباراتُ العسكريةُ والمخابراتُ العامةُ»، وترتبطُ المخابراتُ العامةُ
بأعلى سلطةٍ سياسيةٍ في الدولة، وتهتمُ بجمع المعلوماتِ السياسيةِ والإقتصاديةِ
والنفسيةِ عن العدو، كما تهتمُ بحمايةِ أمنِ الدولة، ومكافحةِ التجسس، وتهتمُ
الاستخباراتُ العسكريةُ غالباً بجمع المعلوماتِ ذاتِ الطابعِ العسكري، وحمايةِ
أمنِ القطاعاتِ ومسارحِ العملياتِ، وترتبطُ برئيس الأركان العامة.



(١) انظر: الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢.
حافظ إبراهيم خيرالله: عالم الاستخبارات، ص ٢٨ - ٤٩.

الفصل الثاني

أهمية الاستخبارات

المطلب الأول : أهمية الأجهزة الاستخبارية .

المطلب الثاني : أهمية المعلومات الاستخبارية .

المطلب الثالث : مدى حاجة الدولة إلى الاستخبارات .

المطلب الرابع : شمول الاستخبارات .

المطلب الخامس : التخصص في مواضيع الاستخبارات .

الفرع الأول : التخصص النوعي للاستخبارات .

الفرع الثاني : التخصص الموضوعي

للاستخبارات .

المطلب الأول

أهمية الأجهزة الاستخبارية

إن أجهزة الاستخبارات هي التي تُمدُّ القائد بالأسس التي يبنى عليها قراراته، وكثيراً ما ترجع أهمية الأجهزة الاستخبارية إلى حاجة الدولة أو القائد إلى معرفة ما يخبئه له عدوه^(١).

عبر العصور قلما تغيرت فنون التجسس الأساسية كما بقي الجاسوس القاعدة لجمع المعلومات، وإذا كان التجسس قديماً، فإن جهاز الاستخبارات الحديث والمنظم والممول يعتبر ظاهرة فريدة في أيامنا الحاضرة^(٢).

وصف الكاتب هاتسون بولدوين أجهزة الاستخبارات الحديثة كما يلي :

«إن نظام الأجهزة الاستخبارية الصحيح عبارة عن منشآت ذات إمكانيات هائلة بكل من الخير والشر، ويجب أن تستخدم الرجال والنساء وكل الوسائل، فهي رقيقة وشرسة، تتعامل مع الأبطال والخونة، وهي ترشي وتغدر وتختطف وأحياناً تقتل، إنها تستغل أسرى وأدنى العواطف، وتستخدم في الوقت نفسه

(١) انظر: محمد بن الحسن الشيباني: شرح كتاب السير الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٧١ م، ج ١، ص ٤٩.
صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ٤. سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، ص ١٠.

(٢) انظر: حافظ إبراهيم خيرالله، عالم الاستخبارات، ص ٥.

الوطنية في أعظم معانيها، والنزوات حتى أحط مداركها، وهي تبرر الوسائل التي تحقق أغراضها حتى القتل»^(١).

إن فن الاستخبارات قديم (التجسس) فالمصريون كان لهم نظام تجسس منذ حوالي خمسة آلاف عام، وكانوا يعتبرون التجسس على أعدائهم فناً رفيعاً، ولونا من ألوان العلم الحربي، كما أن المؤرخ توليوس الذي عاش بين ٢٠١ - ١٢٠ ق. م قال:

«إن القائد يجب أن يواظب على دراسة ميول واتجاهات وشخصية ومواطن ضعف وقوة خصمه»^(٢).

وفي عام ١٩٣٧ قال ستالين في خطابه أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي «من أجل كسب أحد المعارك يلزمنا عدد كبير من فيالق الجيش الأحمر، ولكن لكي يفوت العدو علينا النصر يكفي أن يكون لديه عدة جواسيس في رئاسة أركان الجيش أو إحدى الفرق، ولكي نبني جسراً كبيراً لأحد الخطوط الحديدية يلزمنا آلاف الرجال، ولكن تدميرة لا يحتاج إلا لرجل واحد»^(٣).

قال إيزنهاور في حفل وضع حجر الأساس لمبنى الاستخبارات الجديد في الولايات المتحدة يوم ٣ من نوفمبر سنة ١٩٥٩ م.

«إنه ليس هناك في سياسة الولايات المتحدة ما هو أهم من جمع المعلومات بواسطة الاستخبارات»^(٤) وجاء في تقرير لجنة الشيوخ الأمريكي، الذي رفع لمجلس الشيوخ عن الأمن القومي يوم ١٤ يونيو عام ١٩٦٠.

(١) انظر: سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، ص ١٢.

(٢) انظر: سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، ص ١١. صن تزو: فن الحرب، ١٥٤.

(٣) انظر: تعريب المقدم الركن أحمد عبدالكريم، المبادئ الأساسية للعقيدة العسكرية السوفياتية، دمشق، ١٩٥٧/١١/٢٧ م، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٤) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٦٢.

«إن الاستخبارات لا تقل عن القوات المسلحة من حيث الأهمية، وإن عمليات الاستخبارات هي الوسائل التي تُنفَّذ بها السياسة القومية»^(١).
ويعبر هنري ستمسون عن نظام الاستخبارات بقوله: ^(٢).

«إنها كالحارس اليقظ في أداء واجبه».

من هذا المنطلق يمكن القول بأن الأجهزة الاستخبارية الواسعة التي تطورت بصفة خاصة خلال الحرب العالمية الثانية استمرت قائمة وأدخلت عليها التعديلات والتطورات اللازمة لتبقى جاهزة للعمل خلال الحرب الباردة أيضاً.
الأجهزة الاستخبارية الحديثة تمثل خط الدفاع الأول في العصر الذري، إنها تؤكد من نفسها أنها العنصر الأساسي في المحافظة على السلم والهدوء، لأنها هي التي تمول حكومتها بالمعرفة المسبقة عن نوايا العدو وعن استعداداته^(٣).

إن التخطيط السليم للمعركة يتوقف إلى حد كبير على معرفة نوايا وأسرار العدو^(٤)، لذا فإن الجاسوس الجيد قد يغني عن فعل عشرات الطائرات النفاثة، ومئات الصواريخ^(٥).

(١) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٦٤.

(٢) انظر: حافظ إبراهيم خيرالله: عالم الاستخبارات، ص ٥.

أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، نشرة المطبعة السلفية لمحب الدين الخطيب، الطبعة الثانية، ١٣٥٢ هـ، ص ١٩٠.

(٣) انظر: أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ١٦٢.

محمود أحمد عبدالله أبو ليل: أسس العلاقات الدولية في الإسلام، دار المصطفى للنسخ والطبع، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨، ص ٣٥١.

(٤) محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٤.

(٥) وهبة الزحيلي: العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة مع القانون الدولي الحديث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١ هـ/١٩٨١، ج ١، ص ٦٥، سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الزحيلي، العلاقات الدولية.

منذ بداية القرن العشرين صار للأجهزة الاستخبارية شأن هام وكبير، لا سيما بعد ظهور القطار والسيارة، والطائرة، ثم تطورت الوسائل إلى حد استعمال التصوير الجوي والآلات الإلكترونية، فضلاً عن استخدام الأجرام الاصطناعية التي تدور حالياً في الأجواء ناقلة كل حركة وكل همس^(١).

إن الأجهزة الاستخبارية هي التي تكشف عورة الأعداء وتكافح التجسس لذا اهتم بها المسلمون حتى لم يخل مكان من صاحب خبر وبريد حتى تعرف المسلمون على أخبار أعدائهم مما ساعد على تحقيق انتصاراتهم فيما بعد^(٢).



(١) انظر: حافظ إبراهيم خير الله: عالم الاستخبارات، ص ٣. أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ط ٣، ص ١١٦٢ وما بعدها.

(٢) إبراهيم مصطفى محمود: الحرب عند العرب، دار الكلمة للنشر، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٨١، ص ٣٨٣، ٣٧٣.

أحمد شلبي، الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٤ م، ص ٩٠.

علي بن أبي بكر الهروي، التذكرة الهروية في الحيل، منشورات الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص ١٩ - ٢٣.

المطلب الثاني

أهمية المعلومات الاستخبارية

إن كلمة معلومات تعني مجموعة المعارف المتعلقة بالعدو وببلاده، فهي الأساس الذي تبنى عليه الخطط، ولذا تؤكد جميع الأنظمة العسكرية أن علينا أن لا نثق إلا بالمعلومات الأكيدة، وأن نتمسك دائماً بالحذر التام^(١).

إن المعرفة تحمل في طياتها القوة، ولذلك يمكن للمعرفة السرية أن تصبح قوة سرية، إن جهازاً سرياً للاستخبارات عنده معلومات من مصادر خفية يمكن له أن يساهم بقسط كبير في عملية رسم السياسة أو في العمليات السياسية في البلاد الأخرى^(٢). إن المعلومات هي عين القيادة وأذنها، إذ بها توضع الخطط السليمة.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهتم بمعرفة خبر الأقوام المعادية، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرص على الوصول إلى المعلومات من الوافدين، وكان يطلب من قادته إطلاعه على تفاصيل المعلومات عن العدو وعن الأرض التي يقاتلون عليها.

كتب إلى سعد بن أبي وقاص قبل القادسية يقول:

اكتب لنا أين بلغ جمعهم، ومن يلي مصادمتكم، فإنه قد منعني من بعض

(١) انظر: الهيثم الأيوبي ورفقائه: الوجيز في الحرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٣٠. ١٣١.

(٢) انظر: محمد جمال محفوظ: المدخل إلى العقيدة، ص ١٥١. صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ٤٦.

ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه، والذي استقر عليه أمرُ غدوكم،
فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني انظر
إليها، واجعلني من أمركم على الجلية^(١).

هكذا كان عمرُ حريصاً على تفاصيل ودقائق المعلومات عن جيشه، وعن
جيش عدوه وعن طبيعة الأرض فكان يصدر قراراته العسكرية على هدى
وبصيرة.

كتب صن تزو.

إذا عرفت العدو وعرفت نفسك، فليس هناك ما يدعو إلى أن تخاف نتائج
مئة معركة، وإذا عرفت نفسك ولم تعرف العدو فإنك تقاسي من هزيمة مقابل
كل انتصار، وإذا لم تعرف نفسك ولم تعرف العدو فإنك أحمق وسوف تواجه
الهزيمة في كل معركة^(٢).

إن أفضل المعلومات للكتائب والوحدات المقاتلة هي المعلومات التي
تصل إليها قبل الهجوم على العدو، وهي أكثر فائدة من خريطة كاملة لجميع
مواقع العدو تنشر بعد الهجوم^(٣).

إن مواجهة العدو تتطلب إعداداً خاصاً، وهذا الإعداد يقوم أساساً على
حجم المعلومات التي تكون تحت بصر وفكر القائد، وحجم المعلومات يتوقف
على حجم الجهد الذي يبذل في جمعها، فبمقدار حجم المعلومات وصدقها
تكون دراسة القائد للموقف وتقديره ووضع خطته، ولهذا اهتم الرسول
صلى الله عليه وسلم من خلال اهتمامه بالمعلومات باختيار الشخص الموثوق به

(١) انظر: محمود شيت خطاب: قادة فتح بلاد فارس (إيران)، دار الفكر، الطبعة الثالثة،
١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م، ص ٣٠٩. محمود شيت خطاب. عمر بن الخطاب الفاروق
القائد، ص ٥١.

(٢) انظر: صلاح نصر: الحرب النفسية، ص ٥٠. صن تزو: فن الحرب، ص ١٥٠.

(٣) صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ٥٠، ٥١.

لجمعها^(١)، ويشترط أن تكون المعلومات بالغة الدقة، وأن تصل في وقت مبكر بقدر الإمكان، لتسع الفرصة للتأكد من صحتها واستكمال معالمها، ثم تصنيفها وتحليلها واستنباط ركائز الخطة العامة للعمل إذ أن أمن الأمة يتوقف على مدى المعرفة التي تتوفر لديها، وتوفر المعرفة المبكرة ضرورة لتجنب المفاجأة، ولمباشرة وضع الخطط على أسس سليمة^(٢).

إن الاستخبارات معرفة وتنظيم وعمل^(٣).

إن الحصول على المعلومات يحقق هدفين، هدفاً مباشراً وهو وضع خطة ضد العدو وهدفاً غير مباشر وهو توفير الأمن لجيشنا ضد تحركات العدو وخطته^(٤).

ذكر مؤرخ يوناني عاش ٢٠١ - ١٢٠ ق. م يسمى يوليوس: أنه يجب على القائد أن يؤمن إيماناً راسخاً بوجود معرفة كل شيء عن خصمه، ومن أهم ما يجب أن ينال عنايته، هو أن يكون على علم سابق بنوايا عدوه وتحركاته حتى يستطيع أن يتخذ اللازم من إجراءات لإفساد خطته^(٥).

(١) محمد فرج: العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول، دار الفكر العربي، مطبعة المدني، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٧٧ م، ص ٢٥٤.

(٢) انظر: الرائد خالد الخب وكفاية الإستخبارات، المجلة العسكرية، ٨٤/١١/٢٧ م العدد ١٩٨، ص ١٢٦، مدينة المطابع العسكرية، عمان. مجلة الأقصى، العدد ٦٢٠، ص ٣٢.

محمد جمال: المدخل إلى العقيدة، ص ١٤٩.

(٣) انظر: محمود شيت خطاب: قادة فتح العراق والجزيرة، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م، ص ٢٦٤.

صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ٤.

(٤) انظر: محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري في عهد النبي، عني بنشره وطبعه خادم العلم عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، مطابع قطر الوطنية، الدوحة، ١٤٠٠ هـ، ص ٢٥٦.

(٥) محمد فرج: العبقريّة العسكرية في غزوات النبي، ص ٤٧١.

إن الاستخبارات السوفياتية تقول^(١):

إن المعلومات هي عين القيادة وأذنّها ولا يمكن القيام بخطوة دون معلومات.

لا تزال كتب التاريخ تشدّد على الإشارة إلى رئيس أركان نابليون الماريشال لويس الكسندر برتیه، الذي كان لا يخوض المعارك إلا بعد جمع المعلومات الكافية عن جيوش الأعداء.

في جيوش نابليون برز إسمان: جوزف فوشيه، ورينه سافاري، إذ كانا بارعين في شبكة التزود بالأخبار عن الأعداء، وفي إقامة شبكة منظمة من الجواسيس أو الكشافين العسكريين، وبالشكل الذي جعل من شبكة كهذه دائرة استخبارات قائمة بذاتها^(٢).

يتضح أن للمعلومات العسكرية التي تجمعها الاستخبارات أثناء الحروب أهمية كبيرة، وأثراً كبيراً على سير المعارك^(٣) ويمكننا القول بإيجاز أن المعرفة في لغة الاستخبارات تحقق غرضين^(٤).

١ - إنها تستعمل لغرض وقائي أو دفاعي لأنها تنبّئنا مسبقاً بما قد تدبره الدول الأخرى للإضرار بالمصالح الوطنية.

٢ - إنها تصلح للإستعمال الإيجابي لأنها تمهد الطريق لسياستنا الخارجية أو استراتيجتنا العظمى.

(١) أحمد عبد الكريم: المبادئ الأساسية للعقيدة السوفياتية، ص ١١٠.

(٢) حافظ إبراهيم خير الله: عالم الإستخبارات، ص ٧.

(٣) صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٨٠.

(٤) انظر: محمد جمال: المدخل إلى العقيدة، ص ١٤٩.

صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ٣٩.

المطلب الثالث

مدى حاجة الدولة إلى الاستخبارات

إن مستقبل أي أمة أو دولة أحياناً يتوقف على دقة وكمال المعلومات التي تصل إليها الاستخبارات والتي تنير الطريق أمام القرارات العليا للدولة^(١).
روي عن أبي جعفر المنصور^(٢) أنه قال لأصحابه^(٣):

«ما أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون أعف منهم، وهم أركان الدولة ولا يصلح الملك إلا بهم، أما أحدهم فقاوض لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية، ثم عض على أصبعه ثلاث مرات وهو يقول

(١) انظر: الجنرال كارل فون كلاوز فيتز، تعريب المقدم الهيثم الأيوبي، في الحرب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ج ١، ص ١٤٠. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: كارل فون: في الحرب.
محمد جمال الدين محفوظ: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص ١٤٩.

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٥٨.

(٢) أبو جعفر المنصور (٢٥٨ هـ - ٧٧٥ م) عبدالله بن علي بن العباس، ثاني خلفاء بني العباس، أول من عني بالعلوم من ملوك العرب، كان عارفاً بالفقه والأدب، وهو باني مدينة بغداد، وفي زمنه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، توفي وهو محرم بالحج. راجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، ج ٥، ٤٦١، ٥٥٧، ٥٧٣.
الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤٩ هـ، ج ١٠، ص ٥٣ - ٦١.

(٣) انظر: محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٣٣.

في كل مرة آه، آه، فليل ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصلحة».

ومن أقوال الجنرال إيزنهاور عن الحاجة للإستخبارات:

«لو كان هناك نقص محسوس في الخطط الإنشائية، لكان هو الحاجة الأساسية للإستخبارات»^(١) وقد ورد في تقرير لجنة هوفر سنة ١٩٥٥ م:

لقد كان الهجوم المفاجيء على بيرل هاربر هو الذي خلق إدارة استخبارات، كما أن التحقيق الذي جاء بعد الحرب أثبت انعدام وجود استخبارات قوية كان هو السبب في الفشل الذي منيت به القوات المسلحة، من حيث عدم حصولها على إنذار مبكر حاسم وسريع تستطيع به عرقلة الهجوم الياباني.

وقال الجنرال إيزنهاور عام ١٩٥٩:

ليس في سياسة الولايات المتحدة ما هو أهم من جمع المعلومات بواسطة الإستخبارات^(٢) إن الولايات المتحدة تنفق ملايين الدولارات على أعمال الإستخبارات، والتقصي لجمع المعلومات وإطلاق البالونات في الأجواء، والهيمنة على الإذاعات، ورشوة الأجانب لجمع المعلومات والتقاط الصور الفوتوغرافية لأرض الدول الإشتراكية، وتنظيم الرحلات الجوية للتجسس والإستطلاع وفك الرموز، والشفرة الخاصة بالدول الأخرى^(٣).

وهكذا يصبح من الضروري أن يكون لكل دولة إدارة للإستخبارات كأحدى المؤسسات الهامة فيها، وتهتم معظم الدول بتنظيمها وتوفير الإمكانيات اللازمة لها، وتعمل على تطويرها حتى تتوفر لها القدرة على تحقيق أهدافها على

(١) انظر: أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٥٩ - ٦٢.

(٢) انظر: محمد جمال: المدخل إلى العقيدة، ص ١٥٠.

(٣) انظر: أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٦٢.

أكمل وجه، وترتبط إدارة الاستخبارات بسياسة وأهداف الدولة التابعة لها، وتتفاوت الواجبات والمسؤوليات الملقة على عاتق إدارة الاستخبارات تبعاً لمكانة الدولة وعلاقاتها بأعضاء المجتمع الدولي^(١).

وغالباً ما تهيب الدول وقواتها المسلحة أحسن ما عندها من إمكانيات بشرية ومادية لدعم الأجهزة الاستخبارية فيها لأنها العينُ المبصرةُ التي تلقي بأضوائها في جميع الأوقات وعلى جميع الإتجاهات على الأعداء والأعداء المحتملين، وبنفس القدر فهي الفكرُ الذي يحلُّ المواقفَ المحيطةَ والبعيدة خيراً أم شراً، ويقدمها للمسؤولين لاتخاذ قرار ما^(٢).



(١) انظر: الهيثم الأيوبي: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢.

محمد جمال: المدخل إلى العقيدة، ص ١٥٠ وما بعدها.

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٦٨.

(٢) انظر: أحمد محمود: أسرار العسكرية الإسرائيلية، دار الميسرة، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤٥٣.

العقيد الركن عيسى إبراهيم: مميزات رجال الاستخبارات، مجلة الأقصى، (٢٢ جمادى الأولى، ١٤٠٢ هـ، الموافق ١٧ آذار ١٩٨٢)، العدد ٦٢٠، ص ٣٢، ٣٣، مديرية التوجيه المعنوي، عمان.

أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ١١٦٢.

المطلب الرابع

شمول الاستخبارات

إن الإختراعات الحديثة، وتطور وسائل النقل والاتصال، جعلت أجهزة الاستخبارات تعمل على نطاق أوسع وأشمل مما كانت عليه، إن الاستخبارات كانت في الأساس عسكرية، إذ كانت تهتم بالإستطلاع قبل المعركة، لكن بعد الحرب العالمية الأولى والثانية شملت الاستخبارات أكثر حقول الحياة، إذ صارت تهتم بالإختراعات الجديدة، وبتمديدات المياه، وبشق الطرقات، وبمواقع مولدات الكهرباء، وباسم النقيب الجديد لهذه الفئة، وبطريقة انتخاب هذا النائب أو ذاك، وباختصار صارت الاستخبارات تريد أن تعرف كل شيء عن كل الناس في كل ظرف وتاريخ^(١).

اتسعت مهمة مصلحة الإستخبارات لاتساع حقل نشاطها ليشمل جمع المعلومات عن كل طاقات الأمة، أو الأمم المعادية، أو التي يحتمل الدخول معها في صراع مقبل، أو المحايدة، ولقد جاء هذا الإتساع من اتساع مفهوم الحرب الشاملة التي تؤثر على كل خلية من خلايا المجتمع، وتتأثر بكل نشاط تمارسه هذه الخلية على مختلف الأصعدة، وهنا لم تعد مصلحة الإستخبارات مرتبطة برئيس الأركان العامة بل برئيس مجلس الوزراء أحياناً^(٢).

(١) انظر: حافظ ابراهيم خيرالله: عالم الإستخبارات، ص ٢٣.

(٢) انظر: الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ط ١ ج ١، ص ٦٢.

عبد الوهاب الكيالي ورفقائه: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٩، ج ١، ص ١٦٩ - ١٧١.

أخذت مصلحة الاستخبارات أهمية وشمولية خاصة في مطلع القرن العشرين، وغدت مرتبطة بالقيادات العليا، وشملت مهماتها تفصيلات عن النظريات العسكرية، وعن البناء الحربي للعدو، وخططه الحربية، وما يطلق عليه تنظيم القوات للمعركة التي بدورها تشمل المعلومات العامة عن أماكن الوحدات البرية والبحرية والجوية والبيانات الفرعية كأسماء الضباط ورتبهم والإشارات المميزة للوحدات^(١).

إن الاستخبارات تشكل عنصراً هاماً من عناصر تشكيل قوات الدفاع، في جميع الدول يوضع جزء هام من الاستخبارات في أيدي القوات المسلحة، ومرد ذلك أن الغالبية من أسرار الدولة التي ينبغي حمايتها من التجسس أو المعرضة للتجسس، لها ثمة علاقة مع الدولة، على أن القول بأن الاستخبارات منظمة خاصة بالقوات المسلحة لا يعني وجوب أن يكون أعضاء الاستخبارات من العسكريين، ولكن إذا ما كان الأمر يتعلق بأفراد مراكز الخدمة فإن هؤلاء يتكونون من جنود وموظفين حكوميين يعملون في القوات المسلحة، ومن موظفين مدنيين يعملون في هذه القوات، ولكن يخضع هؤلاء جميعاً لسلطة القيادة العليا خضوعاً كاملاً أو إلى حد بعيد^(٢).

(١) انظر: صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٧٢. الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢.

(٢) انظر: أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ١١٦٢.
صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ٨٠، ٨١.

المطلب الخامس

التخصص في مواضيع الاستخبارات

الفرع الأول

التخصص النوعي للاستخبارات

الاستخبارات الإيجابية - الهجومية^(١) -

هي النشاط الذي يهدف إلى الحصول على جميع المعلومات التي يجب أن نعرفها عن العدو، حتى يكون القادة على علم بما سيواجههم به العدو قبل وقوعه، ويشمل نشاطها أيضاً أعمال التخريب، والأعمال السياسية والمظاهرات، والدعايات، وحرب الشائعات، وكل ما يتطلب بخطط إيجابية، لتنفيذ أغراض معينة، للمساعدة في التغلب على العدو في أي ميدان من ميادين الحياة العسكرية، أو السياسية أو الإقتصادية... إلخ.

الاستخبارات الوقائية - المضادة^(٢) -

هي اصطلاح شامل لجميع الإجراءات والعمليات التي تقوم بها الدولة لتحقيق أمنها ووقاية أسرارها من نشاط الجواسيس والتخريب من أجل المحافظة

(١) انظر: أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ١١٦٣.

محمد جمال: المدخل إلى العقيدة، ص ١٤٩.

صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٢٨.

(٢) انظر: عبدالوهاب الكيالي ورفقائه: موسوعة السياسة، ج ١، ص ١٦٩، ١٧١.

حافظ ابراهيم خيرالله: عالم الاستخبارات، ص ٢٣.

على أسرار الدولة في الداخل والخارج، ويطلق عليها أحياناً اسم الاستخبارات المضادة.

وتشمل الاستخبارات الوقائية العناصر التالية:

- ١ - استخبارات الأمن، ومسؤولياتها: مكافحة التخريب المادي والفكري، مكافحة التمرد والتآمر والنشاط الهدام، والأمن بمفهومه الشامل من أمن الشخص وأفراد ومنشآت ومعلومات... إلخ.
- ٢ - مقاومة التجسس.

ويعتبر نشاط الاستخبارات الإيجابي مُكملاً للوقائي، فكل منهما مكمل للآخر، فإذا فرضنا أن دولة ما أقامت في بلادنا تنظيمًا للتجسس، كانت متابعة هذا التنظيم من صميم اختصاص فرع مقاومة الجاسوسية التابع للاستخبارات الوقائية «المضادة».

ولو فرضنا أن استخباراتنا نجحت في التسلل إلى شبكة تجسس العدو، وتمكنت من الوصول إلى مركز يمكنها من قراءة المراسلات والتوجيهات التي ترد إلى منظمة الجاسوسية، فإن هذه الوثائق لن تكون مجرد وثائق تبين نشاط العدو، إنما من المحتمل أن تكشف عن قَدْر كبير من نشاطه العام وسياسيته وخططه، وقد تحوي معلومات هامة. ظلت الاستخبارات الإيجابية في حاجة إليها وقتاً طويلاً^(١).

(١) انظر: محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٧٤.

محمد جمال: المدخل إلى العقيدة، ص ١٤٩، ١٥٧.

صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٣٠.

الفرع الثاني

التخصص الموضوعي للاستخبارات

١ - الاستخبارات الإستراتيجية^(١)

تهتم بجمع المعلومات الخاصة بنوايا وإمكانات الدول الأجنبية، وكذا المعلومات الخاصة بنقاط الضعف فيها، وهذه المعلومات يحتاج إليها واضعو السياسة والتخطيط لرسم سياسة الأمن اللازمة للدولة في وقت السلم، كما تكون أساساً لتخطيط للعمليات العسكرية في وقت الحرب.

والعناصر الأساسية للاستخبارات الإستراتيجية تشمل مواضيع عسكرية واقتصادية وجغرافية، وتاريخية، واجتماعية... إلخ.

٢ - الاستخبارات التكتيكية^(٢)

تسمى أحياناً الاستخبارات الخاصة بالقتال، فهي تعنى عادة بالمعلومات اللازمة بقيادة الميدان الذين يشتركون في عمليات تكتيكية.

ولكي نفرق بين الاستخبارات الإستراتيجية والتكتيكية، نذكر حرب السويس عام ١٩٥٦ م فإن المعلومات التي كان لها أثرها على قرار بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بالقيام بعمليات تعرضية ضد مصر يمكن أن تسمى استراتيجية أما المعلومات التي استخدمت في تحضير الحملة اللازمة للغزو والخطط التي استخدمت في التنفيذ فهي تكتيكية.

(١) انظر: الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢.

عبد الوهاب الكيالي ورفقائه: موسوعة السياسة، ج ١، ص ١٦٩.

محمد جمال: المدخل إلى العقيدة، ص ١٥٠.

محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٦.

(٢) انظر: الهيثم الأيوبي: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٣.

محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٦.

محمد جمال: المدخل إلى العقيدة، ص ١٥١.

البَابُ الثَّانِي

تَعْرِيفُ الْإِسْتِخْبَارَاتِ حُكْمُ الْإِسْتِخْبَارَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ صِفَاتُ مُوْظِفِ الْإِسْتِخْبَارَاتِ

الفصل الأول: تعريف الاستخبارات.

الفصل الثاني: حكم الاستخبارات العسكرية الإيجابية.

الفصل الثالث: حكم الاستخبارات العسكرية الوقائية - المضادة.

الفصل الرابع: صفات موظف الاستخبارات العسكرية.

الفصل الأول

تعريف الاستخبارات

المبحث الأول: تعريف الاستخبارات لغة.

المبحث الثاني: تعريف الاستخبارات اصطلاحاً.



المبحث الأول

الاستخبارات لغة

الاستخبارُ والتخبرُ: السؤال عن الخبر.
استخبره: سأله عن الخبر، وطلب أن يُخبره كتخبره.
يقالُ تخبرتُ الخبرَ واستخبرته، ومثله تضعفتُ الرجلَ واستضعفته،
وتخبرتُ الخبرَ واستخبرته.

يقالُ: تخبرَ الخبرَ واستخبرَ إذا سأل عن الأخبار ليُعرفها.
وخبره تخبيراً أخبره، يقال استخبرته فأخبرني وخبرني^(١).

الاستخبار: عند أهل اللغة هو الإستفهام وطلب الفهم، وقيل الاستخبار
ما سبق أولاً لهم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً^(٢).

(١) راجع: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفرقي المصري، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م، ج ٤، ص ٢٢٧.
سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: ابن منظور: لسان العرب. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ج ٢، ص ٦٤١. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الصحاح: الجوهري.
محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م، ج ١١، ص ١٣٢. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الزبيدي: تاج العروس.

(٢) راجع: محمد أعلى بن علي التهانوي، موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون، شركة خياط للكتاب والنشر، بيروت، ج ٨، ص ٤١٠ - ٤١٤.

سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون.

الخَبْرُ محرّكةٌ: النُّبَأُ، والخبرُ ما أتاك من نبيٍّ عَمَّنْ تَسْتَخْبِرُ، وقيل: إن النُّبَأَ خبرٌ مقيّدٌ بكونه عن أمرٍ عظيم^(١).

والخبرُ: النُّبَأُ، والجمع أخبارٌ، وجمع الجمع أخبارٌ^(٢).

والخبرُ: ما أخبر به، وهو اسم لما ينقل ويُتحدَّث به. أخبر بالشَّيء وخبر به تحدَّث وخبر فلاناً: أخبره. وتخبَّر واستخبره: سأله أن يخبره. وأخبره خُبوراً: أخبره بما عنده. وخَبَّر الأمر يخبره خَبْراً وخُبْراً وخبرة ومخبرة: علمه وعرف حقيقته^(٣).

والخبرُ: ما ينقل عن الغير، وزاد فيه أهل العربية، واحتمل الصدق والكذب لذاته^(٤).

والمحدثون استعملوه بمعنى الحديث، أو الحديث ما نقل عن النبي ﷺ والخبر ما نقل عن غيره^(٥).

وقيل أن الخبر: هو كل شيء يحدث، وقيل: أي شيء لم تكن تعلمه أمس. وقيل: أنه ما يتحدَّث عنه الناس، وما يريدون معرفته. وقيل: إنه ما يشعر

(١) الزبيدي: تاج العروس، ج ١١، ص ١٢٥.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، م ٤، ص ٢٢٧.

أحمد الشنتاوي وفقائه: دائرة المعارف الإسلامية، م ٨، ص ٢١١.

جمال الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة فن الطباعة، مصر، ج ٢، ص ١٧.

(٣) انظر: عبدالفتاح الصعيدي وفقائه، الإفصاح في فقه اللغة، دار الفكر العربي، مطبعة المدني، الطبعة الثانية، ج ١، ص ٢٣٤، سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: الصعيدي: الإفصاح.

(٤) مجدي وهبة كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ص ٨٨.

(٥) الزبيدي: تاج العروس، ج ١١، ص ١٢٥.

الصحفي بالرضى عن كتابته، أو هو ما يقنع المندوب بضرورة كتابته^(١).

الخُبْرُ: ^(٢) مَخْبَرَةُ الإنسان. وقال بعضهم: الخُبْرُ بالضم: العلم بالباطن الخفيّ لاحتياج العلم به للاختبار. والخبر بالضم، العلم بالشيء. يقال: ما لي به خبر، والتجربة والاختبار، وعليه قولهم: صدّق الخبرُ الخبرُ. ومعناه: أن الاختبار بالمشاهدة أثبت الخبر المسموع.

قال أبو الطيب المتنبّي:

وأستكبرُ الأخبارَ قبلَ لقائِهِ فلما التقينا صغرَ الخبرُ الخبرُ

ويقال: رجلٌ خبرٌ مثل (حُجْر)، أي عالم به، أي بالخبر.

الخِبْرُ ^(٣): الخِبْرُ والخَبْرُ والخِبرَةُ والمَخْبَرَةُ بفتح الموحدة، والمَخْبَرَةُ بضمّها: العلم بالشيء.

تقول: لي به خُبْرٌ وخِبرَةٌ، كالاختبار والتَّخْبِيرِ.

وقد خَبَرَهُ يَخْبِرُ خُبْرًا وخِبرَةً وخِبرًا واختَبَرَهُ وتَخَبَّرَهُ.

(١) إبراهيم وهبي، الخبر الإذاعي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٦٩.

(٢) انظر: عبدالله البستاني، الوافي، معجم وسيط اللغة العربية، مكتبة لبنان، ص ١٦١. سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، مطبعة مرسلية، بيروت، ١٨٨٩ م، ج ١، ص ٢٥٤، سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: سعيد الخوري: أقرب الموارد. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق عبدالسلام سرحان، مطابع سجل العرب، القاهرة، ج ٧، ص ٣٦٠ - ٣٦٥. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٧.

(٣) راجع: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين، مطبعة الواعظ، مصر، ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م، م ٣، ص ٦٨٣. الزبيدي: تاج العروس، ج ١١، ص ١٢٥.

سعيد الخوري: أقرب الموارد، ج ١، ص ٢٥٤. البستاني: الوافي، ص ١٦١.

يقال: من أين خَبَرْتُ هذا الأمر، أي من أين عَلِمْتُ^(١).

وقولهم: لَاخْبِرُنْ خَبَرَكَ: أي لَاعْلَمُنْ عِلْمَكَ^(٢).

الخَبْرَةُ: العلم بالظاهر والباطن، وقيل: بالخفايا الباطنة ويلزمها معرفة الأمور الظاهرة. وقيل الاختبار، وَخَبَرْتُ الرجل أَخْبَرُهُ خُبْرًا وَخُبْرَةً^(٣).

المُخْبِر والمُخْبِر: صاحب الخبر، وهو اللقب الذي يطلق على أحد عمال السلطان في حواضر الأقاليم، وكانت مهمته إبلاغ السلطان جميع الأحوال الجديدة، وأخبار البريد في كثير من الأحيان^(٤).

المُخْبِر: المجرب العالم بالشيء على حقيقته، والذي يُخْبِر بعلمه^(٥).

ورجل مُخْبِرَانِي: ذو مَخْبَرَةٍ، كما قالوا: منظرَانِي، أي ذو نَظَرٍ^(٦).

(١) راجع: ابن منظور: لسان العرب، م ٤، ص ٢٢٧.

(٢) انظر: الحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني المتوفى سنة ٦٥٠ هـ، التكملة والذيل والصلة بكتاب تاج اللغة والصحاح، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١، ج ٢، ص ٤٨٧. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الصنعاني: التكملة والذيل والصلة. المعلم بطرس البستاني: كتب قطر المحيط، ج ١، ص ٤٩٣. أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، دار الفكر، ط ٣، ج ٢، ص ٦، ٧. عبدالله البستاني اللبناني، فاكهة البستان وهو معجم لغوي، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٣٠، ص ٣٧٣. أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨، ج ٢، ص ٢١٧، ٢١٨.

(٣) انظر: عبدالله البستاني: الوافي، ص ١٦١. الزبيدي: تاج العروس، ج ١١، ص ١٢٦. أحمد الزاوي: ترتيب القاموس، ج ٣، ص ٦. ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٢٢٧. أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، ج ٢، ص ٢١٧، ٢١٨.

(٤) انظر: أحمد الشنتاوي: دائرة المعارف الإسلامية، ج ٨، ص ٢١١. رينهارت روزي: تكملة المعاجم العربية، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨١، ج ٤، ص ١٣ - ١٤.

(٥) أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، ج ٢، ص ٢١٩.

(٦) ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٢٢٧.

والمختبراني: ذو الخبر، الحسن الخبرة^(١).

الخَيْر^(٢): جمعه خُبراء وهو العارف بالخبر. والخير: العالم. والخَيْرُ: الذي يَخْبُرُ الشيء بعلمه. والخير: اسم من أسماء الله تعالى. وَخَبِرْتُ بالأمر: أي علمته، وَخَبِرْتُ الأمر أَخْبَرُهُ: إذا عرفتَه على حقيقته.

الخَابِرُ^(٣): المختبرُ المجربُ، ورجل خابر وخبير: عالم بالخبر.



(١) أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، ج ٢، ص ٢١٩.

(٢) راجع: ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٢٢٧.

بطرس البستاني: قطر المحيط، ج ١، ص ٤٩٤.

سعيد الخوري: أقرب الموارد، ج ١، ص ٢٥٤.

الزبيدي: تاج العروس، ج ١١، ص ١٢٨، ١٣٤.

رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ج ٤، ص ١٤.

عبدالله اللبناني: فاكهة البستان، ص ٣٧٣.

(٣) انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج ١١، ص ١٣٢.

ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٢٢٧.

المبحث الثاني

الاستخبارات اصطلاحاً

الاستخبارات، أو مصلحة الاستخبارات، أو أجهزة الاستخبارات، أو المخابرات.

والاستخبارات تسمى في بعض الدول المخابرات أو الشعبة الثانية أو المكتب الثاني. إذ تختلف التعريفات والتفسيرات التي تتناول كلمة الاستخبارات (Intelligence) فقد وردت بعض هذه التعريفات محددةً والأخرى مطولةً ومشملةً على بعض كلمات مرتبة تحتاج هي الأخرى إلى تفسير أو تحديد. وتُستخدم كلمة الاستخبارات مزدوجاً، فهي أحياناً تعني «عمليات الاستخبارات» وأحياناً تعني «نتائج وثمار هذه العملية» أي حصيلة المعلومات التي تحصل عليها الاستخبارات^(١).

الاستخبارات أو مصلحة الاستخبارات أو أجهزة الاستخبارات أو المخابرات هي: مجموعة الأجهزة والتشكيلات والوسائل المستخدمة لجمع المعلومات السياسية والنفسية والإقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها، والعملية في الوقت نفسه على مكافحة عمليات التجسس أو التخريب المعادية،

(١) راجع: المهيم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، جـ ١، ص ٦٢.

سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، ص ٩.

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٢١.

كامل أحمد: الإستخبارات الإسرائيلية ومكافحتها، منشورات فلسطين المحتلة، مطابع

الكرمل الحديثة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٢ م، ١٤٠٢ هـ، ص ٨٧.

وإبطال كل عمل يقوم به العدو لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية عن معسكر الصديق^(١).

والاستخبارات تعني التخابر لنقل المعلومات القيمة المنقولة والتي تكون على درجة كبيرة من الأهمية بين شخص وآخر، وبين مركز وآخر، وأخيراً مقر شبكة التجسس، والاستخبارات في كل دولة تشمل جميع وسائل التجسس الخارجي. والتخابرُ معناه (خبر كل واحد الآخر) أي كلمه أو باحثه (تباحث معه) وخبره بالشئ أي أخبره أو أنبأه عنه، والتخابرُ هو التفاهمُ بين شخصين في مختلف صورته، سواء حصل ذلك مشافهة أو كتابة - صراحة أو رمزاً، مباشرة أو بالواسطة. ولفظ التخابر في معناه هو ما تعبر عنه القوانين بلفظ (Intelligence) أيضاً، وهو كل تراسل أو اتصال معناه تفاهم يتم بين شخصين أو أشخاص تتحد فكرتهم على خداع الغير، والمراسلة قد تكون بالمحادثة التلفونية أو الشفوية أو السلوكية أو اللاسلوكية.

وقد حدد الإنجليز كلمة الاستخبارات بما يلي :

The Int. Dep. dealing With the foreign countries and several parts of the world intreads, Collecting information, and take action in regard to trade commerce, they are attached also to forces.

دائرة الاستخبارات التي تعنى بالدول الأجنبية والمصالح المختلفة للدول وتقوم بجمع المعلومات واتخاذ الإجراءات المتعلقة بشؤون التجارة وما يتعلق بالقوات المسلحة.

ومن أقسامها : (Secretserice), (Censorship) أي الرقابة أو الخدمة السرية.

والسعي والتخابر هما صورة من الإتصال مع دولة أجنبية أو مع الشخص

(١) الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ط ١، ج ١، ص ٦٢.

الذي يعمل لمصلحة هذه الدولة، فتكون النتيجة تمكن الدولة من القيام بأعمال عدائية ضد الدولة الثانية، وهو ما يسمى بالخيانة العظمى^(١).

ويلاحظ أن كلمة الاستخبارات في اللغة الإنجليزية تعني أيضاً معلومات، وجاء في التعريفات عن الاستخبارات:

«إنها المعرفة والعلم بالمعلومات التي يجب أن تتوفر لدى كبار المسؤولين من المدنيين والعسكريين، حتى يمكنهم العمل لتأمين سلامة الأمن القومي.

وأحياناً يكون جمع المعلومات عادياً وطبيعياً للغاية لدرجة أنه يصبح من الصعب إدراك أن شأنه شأن عمل الاستخبارات، وتارة أخرى فإن هذا العمل يأخذ شكلاً يسير على قواعد معينة وعلى نهج علمي منظم ويحتاج إلى جهد كبير، ولكن بغض النظر عن الطريقة التي يتم بها ذلك العمل. سواء تم بطريقة طبيعية بدون تفكير أو تدريب، أو تم بطريقة واعية وحاذقة، فإن المجهود الذهني لعمل الاستخبارات في حقيقة جوهره ليس أكثر من البحث عن أفضل إجابة واحدة لكل قضية تهتم بها الدولة.

واللجنة التي شكلت في الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة وتقييم نشاط الاستخبارات الأمريكية هي لجنة تنظيم الإدارة التنفيذية للحكومة برئاسة هيدبرت هوفر، عرفت فيما بعد، باسم «لجنة هوفر» قامت بوضع تعريف للاستخبارات تضمنه تقريرها إلى الكونجرس الأمريكي في يونيو عام ١٩٥٥ وكان نص هذا التعريف:

«الاستخبارات هي عملياتنا للحصول على كل الأمور التي يجب أن نعرفها قبل البدء في العمل، وإن الاستخبارات تعالج كل الأمور التي يجب أن تكون معروفة مقدماً لتنظيم خطة العمل».

(١) انظر: كامل أحمد: الاستخبارات الإسرائيلية ومكافحتها، ص ٨٧، ٨٨.

سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، ص ١٠.

ولا شك أن هذا التعريف هو عرض عام للاستخبارات، يصف موقفاً مثالياً يتوقع القليلون ممن يضعون القرارات أن يجده، ومثل هذا التعريف يوجد أيضاً تكملة لمن يمكن للقليلين ممن يقومون بالتقديرات للاستخبارات أن يصلوا إليه، فقد أفاد الأميرال آرثر رادفورد أحد رجال كبار البتائجون.

«إن وضع القرار أو صيانة الرأي هو العمل الذي يجب أن يقوم به أحد المسؤولين عندما تتوافر له معلومات غير كافية إلى حد أن الإجابة لا تكون واضحة بل تفرض نفسها فرضاً، أي أن الإستخبارات الجيدة هي التي تقلل من متاعب وضع الرأي ومن صعاب صياغة القرار».

ويرد في قاموس المصطلحات العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية:

Dictionary U.S. Military Terms for Joint Usage.

تعريف للاستخبارات على النحو التالي:

«الاستخبارات: نتيجة جمع، وتقييم، وتحليل، وإيضاح، وتفسير كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات عن أي نواحي دولة أجنبية أو لمناطق العمليات، والتي تكون لازمة لزوماً مباشراً للتخطيط».

الاستخبارات: كنظرية ليست سوى نتيجة ومصلحة للمعرفة، وبطريقة مبسطة هي ما تقوم بعمله كل يوم فعندما يقرر شخص ما النهج أو الطريقة التي سوف يسلكها عند القيام بعمل معين فإنه يقوم عادة بوضع مبادئ لجمع المعلومات.

وعندما يتعرض لاديسلاس فارجو^(x) لتعريف معنى كلمة الإستخبارات فيقول: «إنها تعني في صورة ما القدرة على فهم وتقدير الآراء، ولكن في جدل

(x) لاديسلاس فارجو- ولد في المجر ١٩٠٦ وعاش في أوقات مختلفة في ألمانيا والمجر وانجلترا والولايات المتحدة، وتجول في كل دولة أوروبية، وفي البلاد العربية ومعظم دول إفريقيا، ويتحدث عدة لغات بطلاقة، عمل صحفياً، إلا أن أكثر عمله كان في ميدان =

المواهب العقلية، سواء في المجتمع الإنساني المتنافس أو في سير العلاقات بين الأمم فإنها تعني المعلومات التي يتصرف الناس الذين تخصصوا فيها بالكيفية التي يعالج بها رجال الصحف الأنباء، وتعريف معاجم اللغة لهذا النوع من المعلومات هو (المعلومات المنقولة) أي المعلومات التي لا تبقى في ذهن شخص واحد، ولكنها تنقل منه إلى غيره، والوكالات التي تخصصت في هذا النشاط تصف الاستخبارات بأنها المعلومات المقدرة القيمة التي تقررت درجة الثقة بها وبمعناها وأهميتها.

والاستخبارات كعملية هي المجهود المنظم لجمع المعلومات وتقديرها وتجميعها معاً حتى تتكون منها صورة أكبر وأكثر وضوحاً، بالدرجة التي تجعل رؤية صورة الأشياء المتوقعة ممكنة، وأنها مجهود متواصل لاخترق الضباب لمخيم على الحرب والدبلوماسية حتى يمكن رسم الخطط للمستقبل.

أما واشنطن بلات فيضع تعريفاً محدداً للاستخبارات يقول فيه: «الاستخبارات عبارة عن بيان ذي معنى، يؤخذ من معلومات تم اختيارها وتقييمها وتفسيرها، وأخيراً يصاغ ذلك البيان بطريقة أهميته واضحة تماماً فيما يختص بمشكلة السياسة القومية^(١)».

ويقرر العلم العسكري أن الاستخبارات هي الخطة المتناسقة المدروسة الموجهة لاستخدام كل الوسائل المتيسرة للحصول على كافة أنواع المعلومات وتصنيفها وتقديرها لإمداد المسؤولين بالحقائق والتقديرات الواقعية وفي الوقت المناسب لوضع استراتيجية الدولة ولرسم سياسات معينة ولاتخاذ القرارات السليمة التي تكفل سلامة الأمن القومي للدولة، وللعمل ضد عمليات

= الإستخبارات، ويعتبر الكاتب الفني الوحيد الذي خدم داخل منظمة الإستخبارات وأتيح له الإنصال بجواسيس عظام في العهد الحديث.

انظر: أحمد هاني، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٢١، وما بعدها الهامش.

(١) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٢١، ٢٥.

الاستخبارات المعادية لمنعها من إلحاق الضرر بالدولة في أية صورة من الصور.

وبصفة عامة تنطوي الاستخبارات على العناصر التالية:

أ - الحصول على المعلومات عن العدو.

ب - فرز وفحص وتقييم هذه المعلومات وتقدير مدى صحتها.

ج - تفسير هذه المعلومات واستخلاص النتائج المستخلصة منها.

د - إمداد المسؤولين بهذه المعلومات والنتائج المستخلصة منها.

هـ - الإفادة من هذه المعلومات وما يستخلص منها في التخطيط وفي اتخاذ القرارات ومقاومة أعمال استخبارات العدو^(١).

أما التعريف الذي تورده دائرة المعارف البريطانية عن الاستخبارات فيتناول المخبرات من عدة جوانب وتفصيلات هذا التعريف هي:

الاستخبارات: هي جمع المعلومات عن خصم أو حتى عن حليف أحياناً أو عن دولة محايدة.

الاستخبارات المضادة: هي عبارة عن تأمين الأسرار الخاصة بالدولة ذاتها.

إن الاستخبارات وإن كانت تهتم أساساً بمسائل الحرب والدفاع وقت السلم، إلا أنها تهتم أيضاً بجمع المعلومات الدبلوماسية والاقتصادية والصناعية وتأمين تلك المعلومات. ومن الواضح أن جمع المعلومات وتأمينها مرتبط كل منهما بالآخر، وفي بعض الدول تختص منظمة واحدة بالمهمتين معاً، وتعتمد فاعلية إجراءات الاستخبارات المضادة غالباً على مدى ما يمكن أن يتوفر من المعلومات الإيجابية، وعلى ذلك فجمع المعلومات يجب أن يقوم على أساس قدر كاف من الأمن^(٢).

(١) راجع: محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٥.

حافظ إبراهيم خير الله: ملف السبعينات عالم الاستخبارات، ص ٥.

(٢) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٢٦.

الاستخبارات من التعابير الاصطلاحية التي برزت خلال الحرب العالمية الأولى عندما جرّت الدول الأوروبية كثيراً من دول العالم إلى الاشتراك فيها أو الوقوف منها موقف الحياد. ويقصد بالمخابرات نشرُ الأنباء والبيانات الرسمية والدعاية للمجهود الوطني والحربي، ومحاربة دعاية العدو في الدول المحايدة، ومن ناحية أخرى جمع المعلومات ذات الأهمية من المصادر الأجنبية للصالح الوطني، وفي ضوء هذا النشاط كان الغرض من إنشاء أجهزة الاستخبارات حماية الأمن الداخلي ونظم الحكم القائمة إبان السلم ومساندة المجهود الحربي إبان الحرب.

الاستخبارات العسكرية جهاز يتبع القوات المسلحة ويقومُ بجمع البيانات المتصلة بالمجهود الحربي في الدول الأخرى وكل ما يكون مفيداً بالنسبة لهذه القوات^(١).

إن الاستخبارات هي التي تعد القائد بالأسس التي يبني عليها قراراته وجميع ما يقوم به من أعمال، إن الاستخبارات معرفة وتنظيم وعمل، هذا عدا عن أن بعض العمليات الخارجية كالأعمال السياسية السرية فيما وراء البحار وما إليها تضيف مزيداً من هذا التنظيم والعمل الشاق.

وقد وصف الليفتنانت جنرال جيمس دوليتل عملية الاستخبارات في كلمات جاء فيها: إن الحصول على المعلومات وجمعها شيء، وتصنيف هذه المعلومات وإيضاحها شيء ثانٍ أما استخدامها فهو أمر ثالث غير الأوليين.

وفي الواقع يعتبر هذا التعريف قاصراً إلى حد ما، حيث إنه لم يذكر أن هذه الأقسام الثلاثة يجب أن تكون متصلة ومتناسقة معاً إلى غاية ما يمكن^(٢).

أصبحنا نجد كلمة استخبارات أو مخابرات تستخدم مقرونة بكلمات أخرى مثل استخبارات تكتيكية، استخبارات استراتيجية، مخابرات علمية،

(١) أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ط ٣، ص ١١٦٢.

(٢) صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ط ٢، ص ٣، ٤.

مخابرات اقتصادية وغيرها. وعليه فإنه يصعب أن نجد تعريفاً محدداً يتضمن كل ما يمكن أن يعتمد به تفكير الإنسان عند سماع كلمة استخبارات. بحيث يستطيع بسهولة أن يلمس كل ما يمكن أن تضيفه هذه الكلمة من حيث مفهومها وطبيعتها وأبعادها وكل ما يتعلق بها.

فعمل الاستخبارات لا يتطلب جمع المعلومات فحسب بل فرز وفحص وتقييم تلك المعلومات ومدى الاعتماد على صحتها والوصول منها إلى نتائج معينة^(١).

والاستخبارات أو المخابرات إما تكتيكية Tactical أو استراتيجية Strategic وتختلف مهام المخابرات باختلاف الموضوعات التي تعالجها وهي متعددة سواء على المستوى التكتيكي أو الاستراتيجي.

فالاستخبارات العسكرية مثلاً التي كانت تبدو وكأنها شاملة لكافة المجالات العسكرية أصبحت الآن تنقسم إلى استخبارات خاصة بالجيش وأخرى بالقوات الجوية وثالثة للقوات البحرية وكل منها تنقسم إلى مجالات عديدة من التخصص^(٢).

والاستخبارات الجغرافية Geographic Intelligence التي كانت تهتم بالمعلومات الخاصة بطبيعة الأرض والبحر والجو من أجل الخطط العسكرية، قد انقسمت هي الأخرى، إلى أقسام كبرى هامة، فقسم خاص بالطبوغرافيا، وآخر للأرصاد الجوية والطقس وثالث للهيدروجرافي والنقل الذي كان يدخل ضمن الاستخبارات الجغرافية أصبح يستأثر بقسم كبير خاص به^(٣).

(١) دينيس ايزنبرغ ايلي لاندو: أوري دان، الموساد جهاز المخابرات الإسرائيلية السري، دار الجليل، الطبعة الثانية، عمان، ١٩٨٣، ص ٧.

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٢٥.

(٢) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٢٦.

(٣) انظر: أحمد عبدالكريم: المبادئ الأساسية للعقيدة العسكرية السوفياتية، ص ١١١.

وبعد التقدم السريع الذي طرأ على الأسلحة والتسليح، برزت الاستخبارات التكنولوجية (Technological Intelligence) ذات الأهمية الحيوية الخاصة بالأمن القومي، ومنها نشأت الاستخبارات العلمية (Scientific Intelligence) التي يتفرع منها أقسام متخصصة في التفجير الذري والإلكترونيات والصواريخ الموجهة والمواصلات السلكية واللاسلكية والحرب البيولوجية والكيميائية.

ومجالات الاستخبارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لها أهمية كبرى، ويتفق العسكريون والساسة على أنه لا بد وأن يتوفر للقائم بوضع السياسة كل المعلومات عن التكوين الحكومي والجماعات السياسية والأهداف والسياسات القومية والظروف الاجتماعية والصناعية الخاصة بالعدو.

وفي حديث أدلى به المشير أحمد إسماعيل علي وزير الحربية المصري - عندما كان رئيساً لإدارة المخابرات العامة المصرية - إلى مجلة المصور القاهرية، أشار إلى أن الاصطلاح العربي «مخابرات» لا يستوعب جميع واجبات المخابرات، وقد يكون الاصطلاح الأجنبي Intelligence هو الأدق. وترجمته الحرفية «أجهزة ذكاء» أي معرفة وتعرف كاملين وقدرة على استخدامهما والإفادة بهما^(١).

الاستخبارات التكتيكية:

هي جمع المعلومات على المستوى التكتيكي حول قوات العدو في منطقة محددة، أو حول المنطقة ذاتها، وتحليل هذه المعلومات. فالاستخبارات التكتيكية محددة بوضع آني معين، وأي استخبارات لها أهداف أبعد من هذه تدخل في نطاق الاستخبارات الإستراتيجية ولتعبير «استخبارات قتالية» المعنى ذاته إلا أنها تختلف أحياناً في أنها قد تنفذ من قبل وحدة مقاتلة عاملة على

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٢٧.

(١) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٢٦، ٢٧.

مستوى لواء أو فرقة، بدلاً من أن تقوم بذلك قيادات أعلى على مستوى قيادة منطقة^(١).

والاستخبارات التكتيكية تتعلق بالمعلومات ذات الطابع المحلي المحدود أو ذات طابع التخصص في ناحية محددة^(٢) وأنها المعلومات التي يمكن أن تستخدم لدعم وتسيير حل مشكلة مخابرات معينة، وتتعلق بصفة أساسية بوقائع ومعلومات من نوع أقل وتكون فقط عبارة عن مظهر محدود من عملية المخابرات الشاملة، وهي في زمن الحرب تسمى بمخابرات المعركة، وتشمل كل المعلومات الخاصة بالعدو، وبالمعنى التكتيكي، وهي بصفة عامة تتعلق بكل مظهر عسكري للعدو أو للعدو المحتمل، وبأي نوع من المعلومات التي لها أثر مباشر على سير المعركة. أما في زمن السلم فتكون المعلومات التكتيكية لازمة باستمرار لرؤساء المنظمات السياسية والدبلوماسية، وهي في زمن الحرب معلومات ضرورية لجميع القادة على مختلف درجات السلم العسكري^(٣).

الاستخبارات الاستراتيجية:

Strategic Intelligence, Renseignements Strategiques

هي جمع المعلومات المتعلقة بشؤون عسكرية أو أمنية وتنسيقها وتحليلها، وتوزيعها على المستوى الاستراتيجي ومستوى الدولة، وهدف هذا النوع من النشاطات هو معرفة قدرات دولة أخرى والتكهن بنواياها للمساعدة في تخطيط المسائل المتعلقة باستراتيجية الدولة صاحبة النشاط، وفي حالة الدول الكبرى، فإن الاستخبارات الاستراتيجية تعنى بجمع المعلومات عن الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية والسكانية الديموغرافية والعلمية ونتائج هذه الاتجاهات وتأثيرها على القدرات العسكرية، والسياسات المتبعة^(٤).

=

(١) الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٣.

(٢) محمود شيت خطاب: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٦.

(٣) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٢٧، ٢٨.

(٤) راجع: توفيق حسين: التجسس والنفط والحرب، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥٤ - =

فالاستخباراتُ الاستراتيجيةُ تتعلق بالمعلومات المتعلقة بالمسائل الكبرى مثل المعلومات عن نوايا الدول الأجنبية (أو العدو) وإمكانياتها العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمعنوية ومواطن الضعف والقوة لديها^(١).

وتعد هذه المعلومات لمن يحتاجونها، وهم أولئك الذين يتولون التخطيطَ لوضع سياسة الأمن اللازمة للدولة في وقت السلم، كما تكون هي أساسَ التخطيطِ للعمليات العسكرية في وقت الحرب^(٢).

الاستخبارات الاستراتيجية هي مجموعة المعلومات المتعلقة بطاقات وقدرات ومخططات الدول المعادية، ويستفاد من هذه المعلومات عند وضع المخططات القومية الاستراتيجية ومخططات صيانة الأمن والمخططات في السياسة الخارجية أيضاً.

وتشير هذه العبارة عادة إلى المعلومات التي يحتاج إليها واضعو السياسة سواء كان ذلك في الشؤون العسكرية أو الشؤون الخارجية، وفي هذا العصر الذي تشن فيه الحرب الباردة ويتعرض فيه العالم إلى احتمال نشوب الحرب الشاملة أصبحت هذه المعلومات ذات أهمية بالغة بحيث لم تعد تدخل في باب التكتيك بل في باب الاستراتيجية الهامة الخطيرة، والمعلومات المطلوبة تشمل الجغرافيا العسكرية والمواصلات والعوامل النفسانية والاجتماعية وأعمال التخريب والاقتصاد والعلم والمعلومات المتعلقة بالقوات المسلحة لمعسكر الأعداء^(٣).

١٩٣٦ م، ص ١٥، ١٦. الهيثم الأيوبي: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٦٢، ٦٣.

(١) محمود شيت خطاب: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٦.

(٢) حسين بكار، سياسة تامة سير الملوك، دار القدس، بيروت، ص ١٠٠.

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٢٨.

(٣) عبدالوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١،

ج ١، ١٦٩ - ١٧١.

وقال شيرمان كنت :

«لو كانت السياسة الخارجية هي درع الدولة، كما يقول ولتر ليبمان، فإن الاستخبارات الاستراتيجية هي الشيء الوحيد الذي يجيء بهذا الدرع إلى المكان الصحيح له. وفي الوقت المناسب لهذا، ثم هي أيضاً الشيء الذي يقف على أتم أهبة لتوجيه السيف». وفي الواقع فإنه من الصعب أن نحصر مدى أنواع المعلومات التي تحتاجها الاستخبارات الاستراتيجية، فالعناصر الأساسية لها تشمل على عوامل جغرافية وسياسية واقتصادية وفنية وعسكرية واجتماعية ونفسية وتاريخية وغير هذا من العوامل.

ومهما تعددت ألوان نشاط الاستخبارات فإنها تستهدف هدفين أساسيين، أولهما الوقاية من نشاط الاستخبارات الأجنبية، وثانيهما السعي للحصول على كافة المعلومات عن الدول الأخرى. ويعتمد نجاح أي منهما بدرجة كبيرة على الآخر.

وبشكل عام فإن الاستخبارات تمارس نوعين من النشاط. أحدهما: يهدف إلى الحصول على كافة المعلومات عن جميع العناصر المتعلقة بالدول الأخرى، لإمداد المسؤولين بالحقائق والتقديرات الجيدة التي تكفل وضع سياسة الأمن في وقت السلم، والتخطيط للعمليات العسكرية في وقت الحرب، والقيام بأعمال التخريب المادي والمعنوي وتنفيذ أغراض معينة «مؤامرات وانقلابات» للمعاونة في التغلب على العدو في أي ميدان من ميادين الحياة العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية، ويعرف هذا الجانب من نشاط الاستخبارات «بالاستخبارات الإيجابية» وله وسائله المختلفة في مباشرته. أما الجانب الآخر من نشاط الاستخبارات فهو ما يعرف بالاستخبارات الوقائية، وهو ذلك النشاط الذي يشمل من الناحية النوعية جميع الجهود الموجهة ضد مؤامرات عمليات الاستخبارات الأجنبية المعادية.

وتهدف الاستخبارات الوقائية إلى منع تسرب معلومات محددة إلى غير

المسؤولين، سواء بالصدفة أو بمجهودات إيجابية، عرقلة كل محاولات تبذل للحصول عليها، أي أنها التدابير والإجراءات والعمليات التي تقوم بها الدولة لتحقيق أمنها ووقاية أسرارها من نشاط الجواسيس والتخريب المادي والمعنوي.

ويعرّف هذا النشاط أيضاً بأنه الإستخبارات المضادة «التي واجبها الأساسي هو منع التجسس ثم إلقاء القبض على العملاء والجواسيس»^(١).

ويشتمل هذا النشاط على عنصرين:

العنصر الأول: ويمكن تسميته «بالأمن الوقائي» أو استخبارات الأمن «ويعني جملة الجهود التي تبذل لإخفاء السياسة القومية والمعلومات العسكرية والقرارات الدبلوماسية وغيرها من المعلومات التي تؤثر على أمن وسلامة الدولة، كما يعني الإجراءات التي تتخذ لحماية الموارد الطبيعية ومناطق الإنتاج الصناعي ضد أعمال المخابرات والجاسوسية والتخريب التي يحاولها العدو»^(٢).

العنصر الثاني: يعرف بأنه «مقاومة الجاسوسية» وهي تهتم بالعمل ضد الجاسوسية، كما أنها تعتبر الجانب الإيجابي من المخابرات الوقائية ويمكن تعريفها بأنها:

المعرفة والتنظيم والتحليل والنشاط الذي يوجه للقضاء على نشاط الجاسوسية المعادية والمهمة الأساسية لمقاومة الجاسوسية هي التعرف على نشاط عملاء العدو السريين واستغلاله والسيطرة عليه.

ويعرف كذلك بأنه الاستخبارات المضادة ويمكن تعريفها بأنها:

هي المعرفة والتنظيم والتحليل والنشاط الذي تستخدمه استخبارات الدول لشل نشاط الاستخبارات المعادية، ويوجه نشاط مكافحة الاستخبارات ضد

(١) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية العلاج، ص ٢٨، ٢٩.

(٢) معن أبو نوار: الدولة في السلم والحرب، ١٩٧١، ص ١٨٤.

جهود الاستخبارات الأجنبية المعادية المتمثلة بالتجسس، ومهمتها الأساسية هي التعرف على نشاط عملاء العدو السريين واستغلاله والسيطرة عليه^(١).

من كل ما سبق تناوله عن تعريف الاستخبارات والمخابرات، يمكن أن نقول عن الاستخبارات:

إنها الخطى المتناسقة المدروسة الموجهة لاستخدام كل الوسائل والأجهزة والتشكيلات المتيسرة، للحصول على كافة أنواع المعلومات السياسية والنفسية والإقتصادية والعسكرية الخاصة وغيرها بالعدو وتصنيفها وتقديرها لإمداد المسؤولين بالحقائق والتقديرات الواقعية، وفي الوقت المناسب، لوضع استراتيجية الدولة، ولرسم سياسة معينة، ولاتخاذ القرارات السليمة التي تكفل سلامة الأمن للدولة، وللعمل ضد عمليات الاستخبارات المعادية لمنعها من إلحاق الضرر بالدولة في أية صورة من الصور.



(١) راجع: أحمد كامل، الإستخبارات الإسرائيلية، ط ١، ص ٩٣.

أحمد هاني بين الوقاية والعلاج، ص ٢٨ - ٢٩.

الفصل الثاني

حكم الاستخبارات العسكرية الإيجابية

المبحث الأول: حكم معرفة أخبار العدو:

المطلب الأول: الحكم الشرعي في معرفة أخبار العدو.

المطلب الثاني: أدلة جواز معرفة أخبار العدو.

الفرع الأول: الأدلة من القرآن.

الفرع الثاني: 'أدلة من السنة النبوية الشريفة.

الفرع الثالث: الأدلة من آثار الصحابة ومن بعدهم.

الفرع الرابع: الأدلة من المعقول.

١ - الاستخبارات من أسباب القوة.

٢ - الاستخبارات توفر الإنذار المبكر.

٣ - الاستخبارات من مظاهر الحذر.

٤ - الاستخبارات مطلب أساسي للرباط.

٥ - الاستخبارات وقاية من الضرر والهلاك.

المبحث الثاني: التخريب المادي:

المطلب الأول: حكم تخريب وإتلاف ممتلكات العدو أثناء المعركة أو في

حالة الحرب من قبل الاستخبارات العسكرية أو من قبل عملائها أو بالتعاون مع الجيش.

أنواع ممتلكات العدو:

النوع الأول: ممتلكات تدعو حاجة المعركة إلى إتلافها.

النوع الثاني: ممتلكات إذا أتلفت عاد الضرر على المسلمين أنفسهم.

النوع الثالث: ممتلكات لا تدعو الحاجة الحربية إلى إتلافها ولا إلى الإبقاء عليها، وهذا النوع فيه آراء.

الفرع الأول: رأي المجيزين وأدلتهم.

أولاً: رأي المجيزين.

ثانياً: أدلة المجيزين.

الفرع الثاني: رأي المانعين وأدلتهم.

أولاً: رأي المانعين.

ثانياً: أدلة المانعين.

الفرع الثالث: الرأي الراجح والمختار.

المطلب الثاني: حكم قتل وذبح حيوانات العدو وما في حكمها أثناء

المعركة أو في حالة الحرب من قبل الإستخبارات العسكرية أو من قبل عملائها أو بالتعاون مع الجيش.

الفرع الأول: رأي المجيزين وأدلتهم.

أولاً: رأي المجيزين.

ثانياً: أدلة المجيزين.

الفرع الثاني: رأي المانعين وأدلتهم.

أولاً: رأي المانعين.

ثانياً: أدلة المانعين.

المطلب الثالث: حكم أعمال الإغتيال لأعداء الإسلام من الحربين

وغيرهم من قبل الإستخبارات العسكرية أو بواسطة عملائها أو بواسطة الإستخبارات والجيش معاً.

أدلة جواز ذلك:

الدليل الأول: حديث «من لي بابن الأشرف».

الدليل الثاني: قتل ابن أبي رافع.

الدليل الثالث: حديث «اطلبوه فاقتلوه».

الدليل الرابع : عهد النبي ﷺ إلى أسامة الإغارة على أبناء صبا حاً ثم يحرق .

المبحث الثالث : الحرب النفسية «حرب الأفكار» :

المطلب الأول : تعريف الحرب النفسية ومصطلحاتها .

المطلب الثاني : أهداف الحرب النفسية .

المطلب الثالث : أهمية الحرب النفسية .

المطلب الرابع : أدلة مشروعية الحرب النفسية .

الفرع الأول : الأدلة من القرآن الكريم .

الفرع الثاني : الأدلة من السنة النبوية الشريفة .

الدليل الأول : حديث «جاهدوا المشركين بأموالكم . . وأستكم» .

الدليل الثاني : حديث «اللهم آيده بروح القدس» .

الدليل الثالث : حديث «اهجهم وجبريل معك» .

الدليل الرابع : كان حسان بنافع عن رسول الله ﷺ .

الدليل الخامس : حديث «اهجوا قريشاً» .

الدليل السادس : استأذن حسان النبي في هجاء المشركين .

الدليل السابع : حديث «نصرت بالرعب مسيرة شهر» .

المطلب الخامس : صور الحرب النفسية .

أولاً : الشعارات والتهافتات .

ثانياً : التفريق بين العدو وحلفائه .

ثالثاً : تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من محالفتها .

رابعاً : زعزعة ثقة العدو في إحراز النصر .

خامساً : التخويف والضغط النفسي .

المطلب السادس : طرق الوقاية من الحرب النفسية في الإسلام .

أولاً : الإيمان وقوة العقيدة .

ثانياً: الوعي والمعرفة بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية ويكون ذلك:

- أ - كشف محاولات التخذيل وتشبيط العزائم .
- ب - فضح محاولات التفرقة ومقاومتها .



المبحث الأول

معرفة أخبار العدو

المطلب الأول

الحكم الشرعي في معرفة أخبار الأعداء

إن الاستخبارات العسكرية جائزة شرعاً على الحربيين، لأن التخطيط للمعركة يتوقف إلى حد كبير على معرفة أسرار العدو ورد حركاته وكشف مخططاته، ولا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق إرسال الطلائع وبعث العيون واستخدام الأجهزة الاستخبارية الحديثة كالأقمار الصناعية والآلات الإلكترونية وغيرها، وبناء على ذلك يسن لأمر الجيش بعث العيون والطلائع لكشف خبر العدو، ومعرفة ما عزم عليه من الأمر. وإلى هذا ذهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة^(١).

(١) انظر: حاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد، وهي حاشية العلامة المحقق علي الصعدي عدد الأجزاء ٢، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ٦، ٧. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: العدوي: حاشية. محمد ازدمير، حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب المسماة التجريد لنفع العبيد، المكتبة الإسلامية ديار أبي بكر، تركيا، ج ٤، ص ٢٥٢. أبو بكر الكشناوي، أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في فقه الإمام مالك دار الفكر، الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥. قليوبي وعميرة: حاشية، ص ٢٢٧.

أبو يحيى الشافعي: شرح روض الطالبين، المكتبة الإسلامية، ج ٧، ص ١٨٨. ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي بكر الدمشقي، زاد المعاد في هدى خير العباد، حقق =

بل إنه يجب ذلك عليه إذا لزم الأمر واقتضته مصلحة الأمة^(١).

نصوصه شعيب الأرناؤوط ورفقائه، عدد الأجزاء ٥، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ج ٢، ص ٨٥.

صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، المطبعة المصرية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م، ج ١٢، ص ١٤٥، ١٤٦.

أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨)، السنن الكبرى، ١٠، دار الفكر، ج ٩، ص ١٤٨. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: البيهقي: سنن.

منصور علي ناصف: التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول وعليه غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، بيروت، ١٣٨٢ هـ/١٩٦٢ م، م ٤، ج ٤، ص ٤٠٢. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: منصور علي ناصف: التاج.

محمود أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥١. الزحيلي: العلاقات الدولية، ص ٦٢.

(١) انظر: موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ ك، ج ١. ص ٤٩٣. شمس الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن حنبل الشيباني، الشرح الكبير على متن الإقناع، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، الرياض، ج ٥، ص ٥٢٥. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: ابن قدامة: الشرح الكبير.

منصور علي ناصف: التاج، ج ٤، ص ٤٠١، ٤٠٢.

أبو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (٤٥٠ هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م، ص ٤٣.

المطلب الثاني

أدلة جواز معرفة أخبار العدو

الفرع الأول

الأدلة من القرآن الكريم

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾^(١).

تشير الآية الكريمة على أن كل نيل من العدو عليه جزاء^(٢)، وإن استطلاع أخبار العدو ومعرفة مواطن الضعف فيه، ومواقع آلياته ومنشأته يعتبر نيلاً لأن ذلك يوصل للتخطيط السليم المؤدي إلى الظفر به.



(١) آية رقم ١٢٠ سورة التوبة.

(٢) انظر: سيد قطب، في ظلال، م ٤، ج ١١، ص ٣٤٢. محمد عزة دروزة: التفسير الحديث، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٣ هـ/١٩٦٤ م، ج ١٢، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ هـ/١٣٣٢ هـ = ١٨٦٦ م - ١٩١٤ م)، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، خرج أحاديثه فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م، م ٥، ج ٨، ص ٣٥٧. أبو الحسن علي بن أبي بكر عبد الجليل الرشداني المرغيناني (ت: ٥٩٣ هـ)، الهداية شرح بداية المبتدي، على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأخيرة، مصر، ج ٢، ص ١٣٦، ١٣٧.

محمد الخطيب الشربيني الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، على متن منهاج الطالبين للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ٢، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

أبو محمد علي بن سعيد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ، المحل، حققها أحمد محمد شاكر، دار الفكر، م ٤، ص ٧، ٢٩٤.

وفي الآية تنبيه آخر فيها بشرى بما للذين يشتركون في حملات الجهاد في سبيل الله من عظيم الأجر والمثلة مهما كان نصيبهم فيها، فإنهم لا يصيبهم في هذا السبيل ظمأ ولا نصب، ولا جوع، ولا يقفون موقفاً يغيظ الكفار ولو لم يقع الحرب بينهم، ولا ينالون من أعدائهم نيلاً ما، إلا كتب الله لهم به عملاً صالحاً، وجازاهم بما هو أحسن منه، وكل ما يقوم به المسلمون في سبيل هذا الواجب القتالي مهما كان شأنه بدنياً أو قتالياً أو استعداداً أو مرابطة، هو داخل في شمول هذا الواجب، لأجر الله الموعود^(١).

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسُّوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

التحسس بالحاء: أن تسمع الأخبار بنفسك، والتجسس بالجيم: هو أن تفحص عنها بغيرك^(٣).

والمعنى: يا بني اذهبوا إلى الموضع الذي جئتم منه أو البلاد التي منها جئتم وخلفتكم أخويكم بها، فتحسسوا من يوسف وتعرفوا من خبره، وأصل التحسس الفعل من الحس. وأخيه: يعني بنيامين^(٤).

وجه الاستدلال: أن يعقوب عليه السلام قد طلب من أبنائه أن يتحسسوا

(١) محمد عزة دروزة: التفسير الحديث، ج ١٢، ص ٢٣٨.

(٢) آية رقم ٨٧ سورة يوسف.

(٣) أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١ هـ = ١١١٤ م - ١١٨٥ م)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار المعرفة للطباعة والنشر، (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)، ج ٣، ص ٤٣.

(٤) سيد قطب: في ظلال القرآن، دار العربية، بيروت، م ٥، ج ١٣، ص ٤٤. الطبري: جامع البيان، ج ١٢، ص ٣٢. ابن كثير: تفسير، ج ٢، ص ٤٨٨. محمد أحمد جاد المولى: قصص القرآن، ص ١٠٣.

ويبحثوا عن يوسف وأخيه، وفي هذا إقرار من أحد أنبياء الله في جمع المعلومات عن الآخرين، ويعتبر جمع المعلومات من العناصر الأساسية في علم الاستخبارات، ويؤكد على مبدأ جمع المعلومات بعدم اليأس ﴿ولا تيأسوا﴾.
الدليل الثالث:

قال تعالى^(١): ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ^(٢) بِنَبَأٍ^(٣) يَقِينٍ^(٤)﴾.

المعنى في الآية الكريمة: أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن غياب الهدد الذي هو من جند سليمان، وأن الهدد قد ذهب إلى منطقة سبأ باليمن وجاء بخبر جديد.

وجه الاستدلال: ان الآية الكريمة ذكرت مبدأ من مبادئ الاستخبارات. وهو مبدأ جمع المعلومات، حيث إن الظروف التي جمعت فيها المعلومات هي ظروف حرب بدليل قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ^(٥)﴾.

مركز البحوث والبحوث الإسلامية

(١) آية رقم ٢٢ سورة النمل.

(٢) سبأ: اسم للقبيلة، أو اسم للحي أو للاب الأكبر وهو: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. انظر: القرطبي: جامع البيان، ج ١٢، ص ١٨١.
وقيل اسم مدينة تعرف بمارب باليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، ويحتمل أن يراد بسبأ المدينة أو القوم، انظر: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الموضوع بهامش الجزء التاسع عشر من تفسير ابن جرير الطبري، ج ١٩، ص ٩٦. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا:
النيسابوري: تفسير محمد أحمد جاد المولى: قصص القرآن، ص ١٦٨، ١٦٩. ابن كثير: تفسير: ج ٣، ص ٣٦٠.

(٣) النبأ: خبر له شأن. انظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج ١٩، ص ٩٢.
النيسابوري: تفسير بهامش الطبري، ج ١٩، ص ٩٦.

(٤) آية رقم ١٧ سورة النمل.

نلاحظ في هذه الآية تطبيق عناصر الاستخبارات التي هي: ^(١).

١ - إقرار مبدأ من مبادئ الاستخبارات وهو مبدأ الحصول على المعلومات، إذ أقر سليمان الهدهد ثم أرسله مرة أخرى.

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ^(٢) ثم قال:

﴿اذهب بكتابي هذا فَإِنَّكَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ^(٣).

٢ - عرض المعلومات المجمعة:

أشراف

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ^(٤).

٣ - تقييم المعلومات المعروضة وتقرير مدى صحتها.

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ^(٥).

٤ - تحليل ودراسة المعلومات واستخلاص النتائج المفيدة منها.

٥ - إمداد المسؤولين وإطلاع القادة على المعلومات.

فالهدهد كجندي من جنود سليمان رأى أن من واجبه أن يأتي بما حصل عليه من معلومات إلى مسؤوله وهو سليمان عليه السلام.

﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ ^(٦).

(١) انظر: محمد جمال الدين محفوظ: المدخل إلى العقيدة، ص ١٤٩.

(٢) آية رقم ٢٧ سورة النمل.

(٣) آية رقم ٢٨ سورة النمل.

(٤) آية رقم ٢٣، ٢٤ سورة النمل.

(٥) آية رقم ٢٧ سورة النمل.

(٦) آية رقم ٢٢ سورة النمل.

ولذا نرى اهتمام الهدهد بما حصل عليه من معلومات وإن كانت سبباً في تأخيرها عن سليمان، حتى صار هذا الخبر للهدهد عذراً وحجة عند سليمان درأ به عنه ما كان توعد به^(١).

٦ - المباغته والمفاجأة في جمع المعلومات وتوصيلها.

٧ - الاستفادة من المعلومات القيمة في التخريب الفكري «تخريب الباطل وإظهار الحق».

قال تعالى: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

٨ - استخدام المال في عملية الاستخبارات كوسيلة من وسائل كشف الآخرين قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٣).

الدليل الرابع:

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤).

نلاحظ في هذه الآيات الكريمة أن المعلومات السابقة لا تقتصر على بني البشر، فقد يستفيد منها الحيوان والطير، إذ استفاد النمل من المعلومات

(٢) انظر طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط ٢، مصر، ١٣٥٠ هـ، ج ١٢، ص ٨٦.

الطبري: جامع البيان، ج ١٩، ص ٩٢.

(٢) آية رقم ٢٨ سورة النمل.

(٣) آية رقم ٣٥ سورة النمل.

(٤) آية رقم ١٧، ١٨، سورة النمل.

السابقة، فاستعمل وسائل الإنذار المبكر، إذ قالت نملة بلغة جنسها حسب ما وصلت إليه من معلومات: ادخلوا مساكنكم حفاظاً على حياتكم، لأن سليمان وجنوده ربما يدوسون بأرجلهم فوقكم فتحطمون بغير قصد، فقد بينت السبب في توجيه هذا الإنذار إلى جماعتها من النمل بفضل المعلومات المسبقة التي حصلت عليها^(١).

الدليل الخامس:

قال تعالى^(٢):

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ^(٣) قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ^(٤)﴾. وَحَرَّمْنَا

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٤، ص ١٤١.

(٢) آية رقم ١١، ١٢ سورة القصص.

(٣) أخته: اسمها مريم بنت عمران، وافق اسمها اسم مريم أم عيسى عليه السلام وقيل إن اسمها كلثمة.

انظر: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م، ج ١٣، ص ٢٥٦. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن.

(٤) قصيه: اتبعني أثره واطلبه هل تسمعين له ذكراً أحيى إيني أو قد أكلته دواب البحر وحيثانه. وقيل: اتبعني أثره حتى تعلمي خبره، تقول قصصت أثار القوم إذا اتبعت أثارهم. وقيل: انظري ماذا يفعلون به.

فبصرت به عن جنب: بصرت بموسى عن بعد لم تدن منه ولم تقرب لثلا يعلم أنها منه بسيل، ويقال: منه بصرت به وأبصرت، لغتان مشهورتان، وأبصرت عن جنب وعن جنابة. كما قال الشاعر:

أتيت حريرا زائراً عن جنابة فكان حريرت عن عطائي جاحداً.
وقيل: بصرت به وهي محاذيته لم تأته.

وهم لا يشعرون: أنها أخته، إذ جعلت تنظر إليه كأنها لا تريده.

وقيل: أي لا يعرفون أنها منه بسيل.

انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن،

دار المعرفة للطباعة والنشر، ط ٢، بيروت، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م، ج ٢، ص ٢٥، ٢٦. =

عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ﴿١﴾

تشير الآية الكريمة إلى مبدأ جمع المعلومات واستخدامه من قبل أم موسى التي تمثل جانب الإيمان مع فرعون الطاغية في المجتمع الفرعوني بمصر، وتوضح الآية أهمية تلك الوسيلة التي اتبعتها أم موسى في تقصي أخبار ابنها وتتبع آثاره بعد أن قذفته في اليم وأصبح فؤادها فارغاً.

وأظن أن الآية عندما أشارت إلى الطريقة والوسيلة التي استخدمتها أم موسى لمعرفة أخبار ابنها قد امتدحبت تلك الطريقة، على اعتبار أنها وسائل بين امرأة أوحى الله إليها المحافظة على ولدها المبعوث رسولاً إلى فرعون.

ولقد أثمرت تلك الطريقة في رد موسى إلى أمه، وفي كل هذا إشارة إلى طريقة التقصي والتتبع وجمع المعلومات والاستفادة منها لمصلحة مشروعة.

وإبراز للمعاني المستفادة من الآيات الكريمة نلاحظ ما يلي: ^(١).

١ - استخدام أم موسى مبدأ جمع المعلومات والحصول عليها في حفاظها على ابنها ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ ^(٢) والتقصي إنما هو تتبع الأثر وجمع المعلومات.

٢ - اختيار العنصر الأمين والحريص في جمع المعلومات لتكون صحيحة

سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الطبري: جامع البيان. عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م، ج ٣، ص ٣، ص ٣٨١. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: ابن كثير: تفسير.

(١) انظر: الطبري: جامع البيان، ج ٢٠، ص ٢٦. ابن كثير: تفسير، ج ٣، ص ٣٨١.

محمد جاد المولى: قصص القرآن، المكتبة الأموية، دمشق، بيروت،

١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م، ص ١١٢.

(٢) آية رقم ١١ سورة القصص.

وموثقة وأمانة، وقبل ذلك حريصة على تلك المعلومات ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾^(١).

فأم موسى لم تختار غير أخته، لأن الأخت تعتبر من الحريصين والأمناء على تلك المصلحة وهي تندفع من ذاتها في جمع المعلومات وتحصيل الأخبار، وأظن أيضاً أنها من الأمور الضرورية في العنصر المرسل في عملية الاستخبارات أن يكون مندفعاً من ذاته حريصاً على المصلحة المرسل إليها.

٣ - التفصي والتتبع بدون إثارة أو جلب أنظار، ﴿قصيه﴾^(٢)، إذ نفهم من كلمة التفصي الإنباه وعدم إثارة الأنظار، ودليل ذلك أنها بصرت به دون أن يشعروا بها.

٤ - دقة الملاحظة وقوة الفراسة أثناء جمع المعلومات، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣).

٥ - استعملت أخت موسى شكلاً من أشكال الاستخبارات العصرية وهو التخريب الفكري، فبعد أن نظرت إليهن وهن غير قادرات على إرضاعه، ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾^(٤). وقد قصدت إبعاد موسى عن المراضع، ليخلص إلى أمها دون إشعارهم أنها منه بسبيل.

٦ - محاولة تحقيق الهدف أثناء جمع المعلومات، فأخت موسى لم تكتف بأن تعرف مكان موسى لتخبر أمها بمكانه، وإنما هي تقصت الأخبار، وتوصلت إلى مكانه وحاولت إعادته إلى أمه، وقد نجحت في هذا.

(١) آية رقم ١١ سورة القصص.

(٢) آية رقم ١١ سورة القصص.

(٣) آية رقم ١١ سورة القصص.

(٤) آية رقم ١٢ سورة القصص.

الفرع الثاني

الأدلة من السنة النبوية الشريفة

الدليل الأول:

روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه بعث عبدالله بن جحش^(١) في السنة الثانية للهجرة في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، وزوده بكتاب مختوم، أمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ويصل إلى موقع معلوم حدده له، فلما وصل ذلك المكان وآن وقت فض الكتاب، فضّه فإذا فيه «إذا نظرت في كتابي هذا فامض على اسم الله وبركاته، لا تكرهن أحداً من أصحابك على السير معك، وامض فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها غير قريش وتعلم لنا من أخبارهم»^(٢).

يلاحظ في هذه المهمة أمور^(٣):

(١) عبدالله بن جحش: (٠٠٠ - ٣ هـ) = (٠٠٠ - ٦٢٥ م).

عبدالله بن جحش بن رثاب بن يعمر الأسدي: صحابي، قديم الإسلام، هاجر إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة، وكان من أمراء السرايا، وهو صهر النبي صلى الله عليه وسلم، أخو زينب أم المؤمنين، قتل يوم أحد شهيداً، فدفن هو وحمزة بن عبد المطلب في قبر واحد: انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٧٦.

أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث سرية من المسلمين وأمر عليهم عبدالله بن جحش الأسدي، فانطلقوا حتى هبطوا نخلة ووجدوا بها عمرو بن الحضرمي في غير تجارة لقريش في يوم بقي من الشهر الحرام، فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه، فبلغ ذلك قريش، فقدموا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا اتحل القتال في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه...﴾ ٢١٧ البقرة. انظر: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨ هـ): أسباب النزول، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٣، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م، ص ٣٦.

(٢) انظر: البيهقي: سنن، دار الفكر، ج ٩، ص ١٢.

أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت: ٢١٣ هـ)، السيرة النبوية بهامش الروض الأنف، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ج ٣، ص ١٨.

(١) انظر: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي (٥٠٨ - =

أولاً: إن هذه السرية كانت سرية استطلاع، غايتها مراقبة العدو واستطلاع أخباره على نحو السرايا الاستكشافية التي تضعها الجيوش أمامها، أو على جانبها، أو على نحو المخافر الأمامية في جهة القتال، وكانت مهمتها المراقبة، والاستطلاع فقط دون التعرض للأعداء بالتحرش أو الاحتكاك أو القتال، وهذا يسمى الاستخبارات الهجومية، هدفها جمع المعلومات عن العدو فقط لمصلحة الدولة الإسلامية.

ثانياً: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أن تبقى سرية ومكتومة حتى على من يحملها وسينفذها، خشية أن يطلع عليها من يحيطون به، فيكون بينهم من هو دخیل عليهم أو غريب عنهم، أو يكون عيناً للأعداء على المسلمين، فينبئهم بالأمر ويكشف لهم عن السر، وهذا ما يسمى بعرف الاستخبارات الحديثة: الاستخبارات الوقائية التي تقي وتمنع تسرب المعلومات.

الدليل الثاني:

(حدثنا هارون بن عبدالله حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم بسيسة^(١) عيناً^(٢) ينظر ما صنعت غير^(٣) أبي سفيان^(٤))^(٥).

= ٥٨١ هـ = (١١١٤ - ١١٨٥ م)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ج ٣، ص ٢٢.

وليد الأعظمي، الرسول في قلوب أصحابه، مطبعة الوطن العربي، الطبعة الأولى، (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م)، ص ٢٩. محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٥. ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ١، ص ٢٢٧. محمود أبو ليلى: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥٢.

(١) بسيسة: بضم موحدة وفتح السينين المهملتين مصغراً: بسيسة بن عمرو بن ثعلبة بن جرسه، ويقال له: بسبس بغير هاء، شهد بداراً بالإتفاق. انظر: أبو داود: سنن، دار إحياء التراث العربي، ج ٣، ص ٣٨ بالهامش. خليل أحمد: بذل المجهود، ج ١٢، ص ١٢٥. أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٢٧٦.

(٢) عينا: جاسوساً، مع عدي بن الزغباء. انظر: خليل أحمد: بذل المجهود، ج ١٢، ص ١٢٥ =

الدليل الثالث:

قبل غزوة بدر بعث النبي صلى الله عليه وسلم بسيسة وعدي للحصول على معلومات عن قافلة قريش، وعند بئر بدر، سمعا جارية تطالب صاحبها بدين عليها، والثانية تجيبها عندما تأتي العير (أي القافلة) غداً أو بعد غد، سأقوم

(٣) عير: قافلة أبي سفيان، القادمة من الشام.

(٤) أبو سفيان: (٥٧ ق هـ = ٥٦٧ - ٦٥٢ م) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: صحابي، من سادات قريش في الجاهلية، وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية، كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره.

أسلم عام الفتح، وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة، خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وحنين، ولما انهزم المسلمون يوم حنين كان أبو سفيان أحد السبعة الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى رجع إليهم المسلمون.

انظر خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٢٠١.

(٥) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ): صحيح مسلم، عدد الأجزاء ٥، حققه فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م، حديث رقم ١٩٠١، ج ٣، ص ١٥١٠. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: صحيح مسلم.

أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦١٨، ج ٣، ص ٣٨. البيهقي: السنن الكبرى، ج ٩، ص ١٤٨. خليل أحمد السهارنفوري (ت: ١٣٤٦ هـ)، بذل المجهول في حل أبي داود، مع تعليق محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١٢، ص ١٢٥. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: خليل أحمد: بذل المجهود.

محمد بن علي بن محمد الشوكاني: نيل الأوطار شرح متقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، الطبعة الأخيرة، مصر، ج ٨، ص ٥٦. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الشوكاني: نيل الأوطار. أبو

الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، ضبط وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، مطبعة المجد، ط ٢، المدينة المنورة، (١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م)، ج ٧، ص ٢٧٦. سيشار لهذا المصدر

عند وروده فيما بعد هكذا: أبادي: عون المعبود. محمود أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥١. الزحيلي: العلاقات الدولية، ص ٦١.

على خدمتها ثم أقضيك الذي لك، فأسرع الرجلان، (وأخبرا الرسول صلى الله عليه وسلم بما سمعا^(١)).

وجه الاستدلال من الدليل الثاني والثالث: على الأمير أو القائد أن يرسل عيناً أو أكثر إلى الأعداء ليتعرف أمورهم، ويأتي بأخبارهم، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث بسيسة وعدي بن عدي بن الزغباء يستطلعان أخبار قافلة قريش^(٢)، وهذا ما يطلق عليه اليوم الإستخبارات الإستطلاعية.

الدليل الرابع:

عندما قارب المسلمون وأعداؤهم بدرأ، وتسابقوا إلى الماء، أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم دورية للحصول على المعلومات عن قريش، وكانت تتألف من الزبير بن العوام^(٣)، وعلي بن أبي طالب^(٤)، وسعد بن أبي

(١) انظر: الشوكاني: نيل الأوطار، ج ٨، ص ٥٦. محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٨. محمد جمال محفوظ: المدخل إلى العقيدة، ص ١٥٣. محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٧.

(٢) انظر: العسقلاني: فتح الباري، عدد الأجزاء ١٣، دار إحياء التراث العربي، المطبعة البهية، ط ٢، بيروت، ١٤٠٢ هـ، ج ٦، ص ٤٠.

منصور علي ناصر: التاج، ج ٤، ص ٤٠٢.

محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٧. أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٢٧٦.

(٣) الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي: (ت: ٣٦ هـ/٦٥٦ م)، صحابي شجاع، من العشرة المبشرين بالجنة، أول من سل سيفه في الإسلام، وهو ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم، شهد بدرأ واحداً، وشهد اليرموك، وقالوا: كان في صدره أمثال العيون من الطعن والرمي، وكان موسراً كثير المتاجر، قتل يوم الجمل على سبع فراسخ من البصرة.

انظر: الأصبهاني: حلية الأولياء، مطبعة السعادة، مصر، (٣٥١ هـ/١٩٣٢ م)، ج ١، ص ٨٩-٩٢.

(٤) علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره، أول الناس إسلاماً بعد خديجة، ولد بمكة، ولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان =

وقاص ونفر من أصحابه، وعند ماء بدر وجدت غلامين لقريش يستقيان الماء، فأتت بهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فتولى استجواب الغلامين، فعلم منهما أن قريشاً وراء الكتيب (بالعدوة القصوى)، ولما أجابا بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش سألهما كم ينحرون من الإبل كل يوم، فقالا: يوماً تسعة ويوماً عشرة، فاستنبط الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك أنهم بين التسعمائة والألف، لأن العرب عاداتهم يخصصون بغيراً لكل مائة، كذلك عرف الرسول صلى الله عليه وسلم من الغلامين أن إشراف قريش جميعاً خرجوا للقتال^(١).
الدليل الخامس:

لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم قريباً من بدر، خرج هو بنفسه ومعه أبو بكر^(٢) يستطلعان الأخبار متكررين^(٣).

سنة ٣٥ هـ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ٥٨٦ حديثاً.

انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

(١) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم ١٧٧٩، ج ٣، ص ١٤٠٤.

ابن هشام، سيرة، بهامش الروض الأنف، ج ٣، ص ٣٤.

محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٨.

محمد جمال الدين محفوظ: المدخل إلى العقيدة، ط ١٩٧٦، ص ١٥٣.

عبدالرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٢١٣.

(٢) أبو بكر الصديق (ت: ١٣ هـ / ٦٣٤ م)، عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب

التيمي القرشي، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله من الرجال، ولد بمكة،

ببيع بالخلافة يوم وفاة النبي سنة (١١ هـ / ٦٣٢ م)، حارب المرتدين والمعتنقين عن

الزكاة، افتتحت في أيامه بلاد الشام، وقسم كبير من العراق، كان يوصف بالحلم والرافة،

كان لقبه الصديق لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم في خبر الإسراء.

راجع: ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج ٣، ص ١٦٩ - ١٩٢.

ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، بمصر، (١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م)،

ط ١، ج ٢، ص ٣٤١، ٣٤٤.

(٣) انظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، دار الجيل، الطبعة

الثانية، بيروت، ١٩٧٤ م، ج ١، ص ٢٤٨. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد

هكذا: ابن سيد الناس: عيون الأثر.

الدليل السادس :

بعث النبي ﷺ عبدالله بن أنيس عيناً ليطلع على حقيقة خبر أن خالد بن سفيان زعيم بني لحيان من هذيل أقام بنخلة أو عرفة يجمع الناس بعد موقعة أحد ليفزوا الرسول ﷺ في المدينة^(١).

الدليل السابع :

(حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن محمد بن المكندر عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ قال: «من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب»، قال الزبير: أنا ثم قال: «من يأتيني بخبر القوم»، قال الزبير: أنا، فقال النبي ﷺ: «إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير»^{(٢)(٣)}.

محمود أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥١.

عبدالرؤف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٢١٣.

- (١) انظر معاني كلمات الحديث: الطليعة: طليعة الجيش من يبعث ليطلع طلع العدو.
(٢) القوم: هم بن قريظة من اليهود، ذلك أن الأحزاب من قريش وغيرهم لما جاءوا إلى المدينة وحفر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق، بلغ المسلمين أن بني قريظة من اليهود نقضوا العهد. الذي كان بينهم وبين المسلمين، وحالفوا قريشاً على حرب المسلمين.
الزبير بن العوام: تشديد الواو القرشي أحد العشرة المبشرين بالجنة.
الحواري: الناصر، وقيل الخاصة من الأصحاب، وإذا أضيف فقد تحذف الياء، وحيث ضبطه جماعة بفتح الياء وأكثرهم بكسرها. وقيل: القياس الكسر لكنهم حين استقلوا الكسر وثلاث ياءات حذفوا ياء التكلم وأبدلوا من الكسرة فتحة، وقيل أنه كظبي ما قبل حرف العلة ساكن فجرى الصحيح في الإعراب.
حواري: مخصوص من أصحابي ومفضل، من الحور وهو أن يصفوا بياض العين ويشد خلوصه، فيصفوا سوادها، ومن الدقيق الحواري وهو خلاصته ولبابه، ومن ذلك قيل لنساء الحضر حوريات لخلوص ألوانهن وذهابهن في النظافة عن نساء الأعراب، وحواريو عيسى المفضلون عنده والمخلصون له.

انظر: معاني هذه الكلمات من المراجع التالية: البخاري بشرح الكرمان، ج ١٢، ص ١٣٤.

البيهقي: سنن، ج ٩، ص ١٤٨. علي ناصيف: التاج، ج ٤، ص ٤٠٢. الشوكاني: =

فالحديث يشير إلى أمور:

١ - على الأمير أو القائد أن يرسل من يستطلع له أعداؤه، فيعرف أحوالهم ويأتيه بأخبارهم.

٢ - أن العين الذي ينقل الأخبار يكون من قمة الأصفياء المخلصين للقائد، كما يجب أن يمتاز بالدهاء والمهارة.

وجه الاستدلال:

في هذا الحديث دليل على مشروعية الاستخبارات العسكرية في جمع المعلومات عن نوايا العدو، إذ طلب النبي ﷺ من الزبير أن يعرف نوايا بني قريظة، ومدى التزامهم بالعهد، ويأتيه بأخبارهم، وهذا هو أحد نشاط الاستخبارات الذي يختص بجمع المعلومات عن العدو (العيون).

نيل الأوطار، ج ٨، ص ٥٦. صحيح مسلم، ط ١، ج ٣، ص ١٤١٤.

(١) البخاري بشرح الكرمان، مكتبة ومطبعة عبدالرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية، تطبعة مؤسسة المطبوعات الإسلامية، القاهرة، ج ١٢، ص ١٣٤. عبدالسلام هارون، الألف المختارة من صحيح البخاري، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠، ج ٤، ص ٧٦. صحيح مسلم، ط ١، حديث رقم ١٧٨٨، ج ٣، ص ١٤١٤. محمد بن علي بن الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منتقى الأخبار، دار الجليل، بيروت، ج ٨، ١٩٧٣، ص ٥٦.

منصور علي ناصيف، التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول وعليه غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، (١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م)، م ٢، ج ٤، ص ٤٠٢.

أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨)، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركمان (ت: ٧٤٥)، دار الفكر، بيروت، م ٩، ج ٩، ص ١٤٨.

محمود أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥١. أحمد شلبي: الجهاد والنظم العسكرية، ص ٨٩. شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، المطبعة البهية المصرية لصاحبها عبدالرحمن محمد، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٢ هـ، ج ٦، ص ٤٠.

الدليل الثامن:

(حدثنا زهير بن حرب وإسحق بن إبراهيم جميعاً عن جرير، قال زهير: حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه، قال: كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة أنت كنت تفعل ذلك، لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة، وقر^(١)، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: «قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم»، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: «اذهب فأتني بخبر القوم ولا تدعهم عليّ»^(ب)، فلما وليت من عنده، جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار^(ج)، فوضعت سهماً في كبد القوس^(د)، فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «ولا تدعهم عليّ» ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيت فآخبرته بخبر القوم وفرغت قررت^(هـ)، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائماً حتى أصبحت^(و)، قال: قم يا نومان^{(١)(٢)(٣)}.

(١) انظر معاني الكلمات التالية:

أ - قر: بضم القاف وهو البرد.

ب - ولا تدعهم علي: هو بفتح التاء معناه لا تفزعهم علي ولا تحركهم علي، وقيل: معناه لا تنفرهم، وهو قريب من المعنى الأول، والمراد لا تحركهم عليك فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضرراً علي لأنك رسولي وصاحبي.

ج - يصلي ظهره: هو بفتح الباء وإسكان الصاد أي يدفعه ويدنيه منها وهو الصلاة.

د - كبد القوس: مقبضها، وكبد كل شيء وسطه.

هـ - قررت: بردت.

و - أصبحت طلع الفجر.

نلاحظ في هذا الحديث أمور:

١ - أن الرسول ﷺ يرشد عينه إلى أن لا يحدث حدثاً ينبّه إليه، وأن لا يقتل أحداً إلا إذا أجبر على ذلك، لأن فوز العين بالمعلومات النافعة أمر مهم، لأن المعلومات النافعة تبنى عليها الخطط السليمة التي غالباً ما توفر الظفر للجيش.

٢ - ينبغي للإمام أو القائد بعث العيون والطلائع لكشف الأعداء.

٣ - كان الغرض من إرسال حذيفة هو استخبار ما حلّ بالمشرّكين وبأحوالهم وإخبار الرسول ﷺ بذلك.

وجه الاستدلال:

هذا الحديث يدل بمنطوقه على مشروعية الاستخبارات العسكرية على الأعداء، لأن الرسول ﷺ طلب من قومه أن يأتوه بخبر القوم وكرر ذلك عليهم المرة الثانية والثالثة، وإن اختيار حذيفة بعد المرة الثالثة يؤكد مشروعية هذا العمل وأهميته.

ز - نومان: كثير النوم.

راجع صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٢، ج ١٢، ص ١٤٥، ١٤٦. إملاء محمد بن أحمد السرخي: شرح كتاب السيد الكبير، ج ١، ص ٤٩. ابن هشام: سيرة بهامش الروض الأنف، ج ٣، ص ٢٦٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، المطبعة المصرية، الطبعة الثانية، بيروت، (١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م)، ج ١٢، ص ١٤٥، ١٤٦. صحيح مسلم، حديث رقم ١٧٨٨، ج ٣، ص ١٤١٤. إملاء محمد بن أحمد السرخي، شرح كتاب السيد الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٧١ م، ج ١، ص ٤٩. الزحيلي: العلاقات الدولية، ص ١١٥. أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ٩٠. ابن هشام: سيرة بهامش الروض الأنف، ج ٣، ص ٢٦٦.

يدل الحديث على أن العين يختار من الأصفياء الذين يؤمن جانبهم بعدم الخيانة، والذين يلتزمون بالطاعة وتنفيذ الأوامر.

أن ذهاب البرد عن حذيفة وشعوره بالدفء والأنس أثناء قيامه بهذه المهمة الإستخبارية يستتج منه أن عمل الإستخبارات العسكرية ضد الأعداء مشروع ومقبول عند الله عز وجل، إذ لو لم تكن مقبولة لما شعر حذيفة بذهاب البرد والوحشة أثناء قيامه بهذه المهمة الإستخبارية في الوقت الذي بلغت فيه القلوب الحناجر من شدة البرد والخوف، ويشير إلى ذلك عودة البرد إلى حذيفة بعد انتهاء المهمة.

الدليل التاسع:

وفي غزوة الخندق^(١) أرسل الرسول ﷺ أنساً ومؤنساً ابني فضالة يلتزمان قريشاً، فعلمتا أنها قاربت المدينة، وأخبرا الرسول ﷺ بذلك، فبعث من بعدهما الحباب بن منذر فأتاه بخبرها، ولم يلبث أن خرج سلمة بن الأكوع فرأى قريشاً تسرع بخيلها حتى لتكاد تدخل المدينة فرجع إلى القوم وأخبرهم بما رأى^(٢).

الدليل العاشر:

ولما خرج الرسول ﷺ للعمرة يوم الحديبية وبلغ ذا الحليفة بعث عيناً يستطلع أخبار العدو، فلما اقترب من عسفان أتاه العين وقال له: قد سمعت

(١) الخندق كلمة فارسية معربة، وهو حفير يشق حول مدينة أو قلعة، والخندق في التاريخ الإسلامي يشير إلى الخندق الذي حفره المسلمون حول المدينة في السنة الخامسة للهجرة ضد غزو القبائل التي تعاونت على حرب المسلمين، إذ لم يكن لعرب الحجاز سابق علم بهذه الوسيلة التي تمت بإشارة من سلمان الفارسي.

انظر: ابن سعد الطبقات الكبرى، جـ ٣، ص ٩٠ وما بعدها.

ابن هشام: سيرة، تحقيق عبد الرؤوف سعد، جـ ٣، ص ١٢٧ وما بعدها.

أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٢) محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٧.

قريش بسيرك فخرجوا لك وقد لبسوا لك جلود النمر ونزلوا بذى طوى، يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيله قد قدموها إلى كراع الغمم^(١).

ويوم الحديبية سنة ٦ هـ ألف النبي ﷺ سرية خاصة للاستطلاع في أربعين رجلاً جعل عليهم عكاشة بن محصن الأزدي، فوجدت إحدى طلائعها رجلاً فدلّ على ماشية العدو فغنموا منها مائتي بعير ساقوها إلى المدينة^(٢).

الدليل الحادي عشر:

بعث الرسول ﷺ علياً والزبير والمقداد بن الأسود، وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة^(٣) خاخ^(٤) (موضع بين مكة^(٥) والمدينة^(٦))، فإن بها ظعينة (المرأة في

(١) انظر: ابن خلدون: تاريخ، م ٢، ج ٢، ص ٣٤.

محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٨.

(٢) انظر: ابن هشام: سيرة بهامش الروض الأنف، ج ٣، ص ٢٦٢.

محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٨.

(٣) روضة، استراض الوادي إذا استنقع فيه الماء، وقيل: إنما سميت روضة لاستراحة الماء فيها، وقيل: أراضي الحوض، إذا اجتمع فيه الماء، ويقال لذلك الماء روضة. راجع الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٨٣.

(٤) خاخ: موضع بين الحرمين، ويقال له روضة خاخ، بقرب حمراء الأسد من المدينة، وذكره في إحياء المدينة، جمع حمى، والإحماء التي حمأها النبي والخلفاء الراشدين بعده، وروي عن علي رضي الله عنه، أنه قال: بعثني رسول الله، والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه، فأتوني به، راجع الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٣٥.

(٥) مكة: بيت الله الحرام، سميت مكة، لأنها تمك الجبارين، أي تذهب نخوتهم ويقال: إنما سميت مكة لازدحام الناس بها، ويقال مكة اسم المدينة، وبكة اسم البيت، وسماها الله تعالى أم القرى: والبلد الأمين، فتح النبي مكة سنة ثمان للهجرة. انظر الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٨١ - ١٨٨.

(٦) المدينة: هي يثرب، وهي مدينة رسول الله، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل بن أرم بن عييل بن عوض بن أرم بن سام بن نوح، عليه =

هودج) ومعها كتاب فخذوه منها، وكان الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة^(١) إلى المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله^(٢).

الدليل الثاني عشر:

قبل يوم حنين بعث النبي ﷺ عبدالله بن حدرد الأسلمي الأسدي وأمره أن يدخل في صفوف العدو ويقيم بينهم ويستطلع أخبارهم ويأتيه بها، فانطلق حتى دخل فيهم وعلم باستعداد للحرب واجمعهم عليها، فعاد إلى الرسول وأخبره بذلك^(٣).

الدليل الثالث عشر:

كان للرسول عليه الصلاة والسلام عيون في مكة يأتوه بأخبارها، منهم عمه العباس بن عبدالمطلب وبشر بن سفيان العتكي^(٤). إن حرص الرسول ﷺ على بعث الطلائع والعيون في غزواته يدل على مشروعية بعث العيون

السلام، فلما نزل رسول الله، سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب، وسميت مدينة الرسول لتزوله بها. انظر: الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(١) حاطب بن أبي بلتعة اللحي: صحابي، شهد الوقائع كلها مع رسول الله، وكان من أشد الرماة، وكانت له تجارة واسعة، بعثه النبي بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، ومات في المدينة، وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية، راجع الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٥٩.

(٢) صحيح البخاري، مطابع دار الشعب، ج ٥، ص ٩٩، وج ٤، ص ٧٢. صحيح مسلم، ط ١ حديث رقم ٢٤٩٤، ج ٤، ص ١٩٤١. أبو داود، السنن، حديث رقم ٢٦٥٠، ج ٣، ص ٤٧. العسقلاني: فتح الباري، ط ٦، ص ١٠٨. البيهقي: السنن الكبرى، ج ٩، ص ١٤٧. الزحيلي: العلاقات الدولية، ص ٦٢.

(٣) انظر: محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٧. محمود أبو ليل: أسس العلاقات، ص ٣٥٢. الزحيلي: العلاقات الدولية، ص ٦١.

(٤) انظر: أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ٨٨. محمود أبو ليل: أسس العلاقات، ص ٣٥١.

والطلائع الاستخبارية لمعرفة أخبار العدو والوقوف على أسرارهِ وتدل على أن الإستخبارات تختار من المتقين والأمناء والأصفياء.

الفرع الثالث

الأدلة من آثار الصحابة ومن بعدهم

كان القادة على اختلاف مراتبهم يبذلون اهتماماً كبيراً في جمع المعلومات عن العدو وأرضه ووحداته العسكرية، وكان قائد المسالِح* هو المسؤول الأول عن جمع المعلومات، وكثيراً ما كان القائد ذاته يباشر أعمال جمع المعلومات أو استجواب الأسرى وإجراء عملية التقاطع بين المعلومات، والتأكد من صحتها، ثم توزيع هذه المعلومات بأسرع ما يمكن، وكان القادة بدورهم يتبادلون المعلومات فيما بينهم، ويرسلوا موجزاً عن هذه المعلومات إلى الخليفة، ونتيجة لتجمع المعلومات من مصادر مختلفة عند الخليفة يصبح باستطاعته اتخاذ القرار المناسب فيرسله على شكل أوامر إلى قادته، وعندما تكون المعلومات المتوفرة عند الخليفة أو القائد منقوصة أو غير كاملة كان يبعث إلى قادته لاستكمالها، أو يرسل إلى قادة آخرين من جهة ثانية - إذا كان مصدر المعلومات يتعلق بجبهاتهم - فتصله المعلومات وتتوضح صورة الموقف له بشكل كامل.

ومن أمثلة ذلك :

١ - خرج أبو بكر الصديق بنفسه مع الرسول ﷺ يستطلعان أخبار العدو قرب بدر^(١).

(*) مسالِح : المسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو، وسموا مسلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح أو لأنه يسكنون المسلحة، والمرقب فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة فإذا رأوه أعلموا أصحابهم لينأهبوا للقتال. انظر: بسام العسلي: فن الحرب، ص ٤٧.

(١) انظر: ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ١، ص ٢٤٨. محمود أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥١. عبدالرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٢١٣.

٢ - أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائده سعد بن أبي وقاص :
(إذا وطئت أرض العدو - فاذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك
أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه
وصدقه فإن الكذب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه - والغاش عين عليك
وليس عيناً لك)^(١).

٣ - كما أوصى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعد بن أبي
وقاص التوقف في القادسية وعدم تجاوزها ودفع المسالح إلى الأمام .
(. . . .) فإذا انتهيت إلى القادسية - فتكون مسالحك على أنقابها - ويكون
الناس بين الحجر والمدر - على حافات الحجر - وحافات المدر).

بمعنى يكون معسكر المسلمين على أطراف العراق وسهوله وتكون
المسالح في نقاط المراقبة المتقدمة . لأن نقاط المراقبة هذه ترتبط بقيادة واحدة ،
وكان عليها قائد يماثل عمله عمل رئيس الاستخبارات أو قائد الإستطلاع وهو من
أركان القيادة^(٢).

٤ - وكان خالد يخرج بنفسه يجمع المعلومات عن الأعداء زمن
الرسول ﷺ .

٥ - وقد عرف عن علي بن أبي طالب قوله :
واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم ، وعيون المقدمة طلائعهم^(٣).

(١) انظر: بسام العسلي: فن الحرب، ص ٤٣، ٤٤.

(٢) انظر: بسام العسلي: فن الحرب، ص ٤٨، ١٨، ٥٣، ٥٤.

(٣) انظر: عبدالرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٢١٨. حسن ابراهيم
حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج ١، ص ٤٨٢. محمود شيت خطاب: قادة فتح
العراق والجزيرة، ص ٣١٩.

محمد المراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٥. صحيح مسلم بشرح النووي،
ج ١٢، ص ١٤٤ - ١٤٦.

٦ - وقد دخل عمرو بن العاص أحد الحصون في فلسطين متخفياً على أساس أنه رسول عمرو بن العاص إلى القائد البيزنطي أرطوبون بقصد استطلاعه بنفسه^(٢).

قال أبو يوسف^(١): وينبغي للإمام أن تكون له مسالح على المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك من الطرق فيفتشون من مر بهم من التجار، فمن كان معه سلاح أخذ منه ورد، ومن كان معه رقيق رد ومن كان معه كتاب، قرئت كتبه، فما كان من أخبار المسلمين قد كتب به أخذ الذي صيب معه الكتاب وبعث به إلى الإمام ليرى فيه رأيه^(٣). وهذا ما يسمى بعرف الاستخبارات الحديثة بالاستخبارات الوقائية التي تمنع تسرب المعلومات إلى الأعداء.

وهكذا نجد قادة الإسلام في عصر الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم يهتمون باستطلاع أخبار العدو^(٤) مما يدل على مشروعية هذا العمل وأهميته.



-
- (١) انظر: منير شفيق: علم الحرب، ص ٢١١.
- (٢) أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حنبة الأنصاري، كان من أهل الكوفة، وهو صاحب أبي حنيفة، كان فقيهاً عالماً حافظاً.
- انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، دار صادر، ج ٦، ص ٣٧٨ وما بعدها.
- (٣) أبو يوسف: الخراج، ص ١٩٠.
- (٤) انظر: أبو محمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ)، عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، القاهرة، (محرم، سنة ١٢٨٣ هـ/حزيران ١٩٦٣ م)، ج ٢، ص ١٠٨.
- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (٨٢١ هـ - ١٤١٨ م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، مطابع كوستاتوماس وشركاه، القاهرة، ج ١، ص ٤٢٩، ج ١٠، ص ١٤. ترجمة الهيثم الأيوبي ورفقائه: الوجيز في الحرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٠، ج ١، ص ١٤٠.
- سيد سابق: إسلامنا، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٨٧.
- عמוד شيت خطاب: الفاروق عمر، ص ٥١.

وجه الاستدلال بأفعال الصحابة :

إن قيام الصحابة بأنفسهم بالاستطلاع لجمع المعلومات، ووصاياهم إلى قادتهم بذلك يدل على مشروعية عمل الاستخبارات الاستطلاعية إذ لو لم يكن مشروعاً لما قدم عليه صحابة رسول الله ﷺ، ولما أوصوا به قادتهم.

وإن قول أبي يوسف بوجوب وضع المسالحي على الثغور يدل على مشروعية الاستخبارات الوقائية التي تمنع تسرب المعلومات إلى الأعداء.

الفرع الرابع

الأدلة من المعقول

١ - الاستخبارات من أسباب القوة :

إن السعي للحصول على المعلومات عن العدو، حتى يأتي التخطيط على أساس من أسباب القوة ومظاهرها التي أمر الإسلام بإعدادها في قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾^(١).

٢ - الاستخبارات توفر الإنذار المبكر :

إن الاستخبارات بما توفره من معلومات عن نوايا العدو وتحركاته، توفر الإنذار المبكر للقيادة لكي تستعد وتتخذ إجراءات المواجهة اللازمة وتفوت على العدو هدفه. قال تعالى :

﴿وَلْيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٢).

= بسام العسلي: فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين، دار الفكر، ج ١،

(١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م)، ص ٤٧.

(١) آية رقم ٦٠، سورة الأنفال.

(٢) آية رقم ١٢٢، سورة التوبة.

٣ - الإستخبارات من مظاهر الحذر واليقظة :

إن الإستخبارات من مظاهر الحذر واليقظة ، لأنها تحول دون مفاجآت الأعداء ، وهذا ما أمر به الإسلام في قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾^(٣).

٤ - الاستخبارات مطلب أساسي للرباط :

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤).

والرباط والمرابطة حراسة وبقظة وتأهب وغالباً لا يتقن ذلك إلا بمعرفة ما يدور على الجانب الآخر (جانب العدو).

٥ - الاستخبارات وقاية من الضرر والهلاك :

الاستخبارات بما تؤديه من دور مزدوج بتوفير المعرفة عن العدو، ومقاومة أعمال الإستخبارات المعادية، تحقق الوقاية للأمة والجيش من أسباب الهزيمة أو الهلاك، إذ تعمل الإستخبارات على منع تسرب الأفكار المعادية الهدامة التي تؤثر على نفسية الجندي المسلم، سواء كانت من العدو مباشرة أو عن طريق عملاء الأعداء من منافقين وغيرهم، وقد وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله :

(١) آية رقم ٧١ سورة النساء.

(٢) آية رقم ٩٢ سورة المائدة.

(٣) آية رقم ١٠٢ سورة النساء.

(٤) آية رقم ٢٠٠ سورة آل عمران.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾^(١).

لذلك فإن إهمال الاستخبارات والتراخي في ممارستها قد يعرض الأمة لأسباب التهلكة وهذا ما حذرنا الإسلام منه بقوله تعالى :

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٢).

٦ - إن استخدام أنشطة الاستخبارات في كل الدول، وعلى مدار التاريخ الإنساني يدل على أهمية هذا الأمر في الصراعات والحروب الدولية.

٧ - إن السعي للحصول على المعلومات عن العدو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإجراءات الوقاية من نشاط الاستخبارات المعادية، ويعتمد نجاح كل من المهمتين بدرجة كبيرة على الأخرى.

وعلى سبيل المثال: كيف نتصور أننا نسعى للحصول على معلومات من العدو لكي نتمكن منه أو نتقيه، بينما نترك الفرصة لاستخبارات العدو تحصل على ما تريد من معلومات عنا وعن نوايانا.

وبسبب هذا الارتباط فإن العلم العسكري قسم نشاط الاستخبارات إلى نشاط إيجابي أو هجومي، وهو الذي يهدف إلى الحصول على المعلومات عن الأعداء وإلى التخريب الفكري والمادي. ونشاط وقائي وهو ما يعرف بالاستخبارات الوقائية أو الاستخبارات المضادة، هدفها مكافحة أعمال التخريب المادي والفكري المعادية، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات والأسرار.

(١) آية رقم ٨٣ سورة النساء.

(٢) آية رقم ١٩٥ سورة البقرة.

المبحث الثاني

التخريب المادي

المطلب الأول

حكم تخريب وإتلاف ممتلكات العدو أثناء المعركة أو في حالة الحرب

إن إتلاف ممتلكات العدو لا يتم إلا أثناء القتال أو في حالة الحرب، لأن إتلاف ممتلكات العدو بعد الإستيلاء عليها، ضرب من ضروب الإفساد، لا يقره شرع ولا عقل، والله قد نهى عباده عن ذلك، وأخبر أنها من صفات المفسدين^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٢).

(١) انظر: موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمود بن قدامة (ت: ٦٣٠ هـ)، المغني والشرح الكبير على مختصر الإمام أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبدالله بن أحمد الخرقى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)، ج ١٠، ص ٥٠٩. شمس الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٨٢ هـ، الشرح الكبير على متن الإقناع وكلامهما على مذهب أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، الرياض، ج ٥، ص ٥١٠.

محمد علي الحسن: العلاقات الدولية، ص ١٦٥.

عبدالحال النواوي: العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، (١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م)، بيروت، ص ١٣٨.

(٢) آية رقم ٢٠٥، سورة البقرة.

وينبغي أن نفرق بين ثلاثة أنواع من ممتلكات العدو.

أنواع ممتلكات العدو

النوع الأول: ممتلكات تدعو حاجة المعركة إلى إتلافها، كالتى تعوق الحركات العسكرية في ميدان القتال أو في الطريق إليه، أو التى يستخفي العدو وراءها، أو يستخدمها في نقله، أو تموينه الحربي^(١)، ومخازن الذخيرة، ومحطات الرادار، وحصون الحراسة^(٢)، أو كالذي يقرب من حصونهم ويمنع من قتالهم، أو يستترون به من المسلمين أو يحتاج لقطعه لتوسعة الطريق، أو تمكن من قتل، أو سد بثق أو إصلاح طريق، أو ستارة منجنيق أو غيره، أو لا يقدر عليهم إلا به، أو يكونون يفعلون ذلك بنا فيفعل ذلك بهم ليستهو^(٣) إن لم يكن ذلك محرماً في ديننا، وهذا النوع لا خلاف بين فقهاءنا في جواز إتلافه، ولذا يقول ابن قدامة مشيراً إليه «هذا يجوز إتلافه بغير خلاف نعلمه»، بل إذا دعت الضرورة إلى إتلافه وجب، كما إذا تعين طريقاً للنصر^(٤)، فهذا هو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ونافع ومولى ابن عمر وإسحاق^(٥).

مركز بحوث الدراسات والبحوث
مركز بحوث الدراسات والبحوث

(١) انظر: أحمد الطحطاوي الحنفي: حاشية الطحطاوي على الدر المختار، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ٢٤٢.

عبدالحق النواوي: العلاقات الدولية، ص ١٣٨.

(٢) ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥١٠.

(٣) انظر: أبو بكر الكشناوي: أسهل المدارك، دار الفكر، الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥. ابن قدامة: المغني، ج ١٠، ص ٥١٠.

(٤) انظر: ابن قدامة: المغني، ج ١٠، ص ٥١٠.

ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥١٠.

(٥) انظر: مالك بن أنس الأصبحي، المدونة الكبرى رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبدالرحمن بن قاسم ومعها مقدمات ابن رشد، دار الفكر العربي، بيروت، (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)، عدد الأجزاء ٤، ج ١، ص ٣٧٢.

أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ، =

النوع الثاني: هناك بعض الممتلكات إذا أتلقت عاد الضرر على المسلمين أنفسهم، مثل خزانات المياه الهائلة التي لو ضربها المسلمون لأخذت عليهم الطريق أو لأغرقتهم، وما يتضرر المسلمون بقطعه لكونهم ينتفعون ببقائه لعلوفهم، أو يستظلون به، أو يأكلون من ثمره، أو تكون العادة لم تجر بذلك بيننا وبين عدونا، فإذا فعلناه بهم فعلوه بنا، كتدمير المستشفيات^(١)، وآبار الزيت (النفط)، ولو نحن أتلفناها عليه لعاملنا بالمثل وعاد ذلك علينا بضرر أفدح^(٢)، فهذا يحرم لما فيه من الإضرار بالمسلمين^(٣).

النوع الثالث: ممتلكات لا تدعو الحاجة الحربية إلى إتلافها، ولا إلى الإبقاء عليها، كسائر المزروعات والمباني التي لا تعوق الجيش، ولا تقف عقبة في طريق النصر، فلا ضرر فيه بالمسلمين ولا نفع سوى غيظ الكفار والإضرار بهم، ففيه رأيان^(٤).

المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت، (١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م)، ج ٢، ص ٢٣٦.

محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثامنة، (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)، ص ٢٦٣.

(١) انظر: موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمود بن قدامة (ت: ٦٣٠ هـ)، المغني والشرح الكبير على مختصر الإمام أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبدالله بن أحمد الخرقى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ. دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت، (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)، ج ١٠، ص ٥٠٩. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير. محمد علي الحسن: العلاقات الدولية، ص ١٦٦.

(٢) انظر: ابن قدامة المقدسي: المقنع، ج ١، ص ٤٨٦. النواوي: العلاقات الدولية، ص ١٣٩.

(٣) انظر: ابن قدامة: المغني، ج ١٠، ص ٥١٠. ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥١٠.

(٤) انظر: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥١٠. ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥١٠. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، (ت: ٤٥٦ هـ)، المحلى، حققه الأستاذ أحمد شاكر، دار الفكر، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٤. =

الفرع الأول: رأي المجيزين وأدلتهم:

أولاً: رأي المجيزين:

يجوز وبه قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومالك والشافعي وابن المنذر وإسحاق وابن حزم الأندلسي. قال إسحاق: التحريق سنة إذا كان أنكى في العدو^(١).

جاء في كتاب الهداية (ويستحب أن يدعو من بلغته الدعوة فإن أبوا ذلك استعانوا بالله عليهم وحاربوهم ونصبوا عليهم المجانيق وحرقوهم، وأرسلوا عليهم الماء، وقطعوا أشجارهم وأفسدوا زروعهم، لأن في جميع ذلك إلحاق الكبت والغیظ بهم وكسر شوكتهم وتفريق جمعهم^(٢)).

وإذا أراد الإمام العود ومعه أسلحة لا يقدر على نقلها تحرق الأسلحة أيضاً، وما لا يحترق منها يدفن في موضع لا يطلع عليه الكفار إبطالاً للمنفعة عليهم^(٣).

النواوي: العلاقات الدولية، ص ١٣٩. محمد علي الحسن: العلاقات الدولية، ص ١٦٦.

(٢) انظر: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥١٠، ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥١٠.

(١) انظر: أبو الحسن علي بن أبي بكر عبد الجليل الرشدي المرغيني (ت: ٥٩٣ هـ)، الهداية شرح بداية المبتدئ على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ج ٢، ص ١٣٩، ١٣٧. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: المرغيني: الهداية.

أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، الأم وبهامشه اختلاف الحديث برواية الربيع، ج ٧، ص ٣٢٤.

(٣) انظر: المرغيني: الهداية، ج ٢، ص ١٤٢.

علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي الملقب بملك العلماء (ت: ٥٨٧ هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الناشر دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، بيروت، (١٤٠٢ هـ/١٩٨٢)، ج ٧، ص ١٠١. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الكاساني: بدائع الصنائع.

وجاء في كتاب الخرشي : (يجوز قتال العدو إذا لم يجيبوا إلى ما دعوا إليه بجميع أنواع الحرب، فيجوز قطع الماء عنهم ليموتوا بالعطش، أو يرسل عليهم الماء بالغرق على المشهور، أو يقتلوا بآلة كضرب بالسيف، وطعن بالرمح، ورمي بالمنجنيق، وما أشبه ذلك من آلات الحرب، وبنار إن لم يمكن غيرها ولم يكن فيهم مسلم، فإن أمكن قتالهم بغيرها لم يقاتلوا بالنار عند ابن القاسم وسحنون وكذا إن كان فيهم مسلم^(١)).

وروي عن مالك جواز قطع الشجر المثمر وتخريب العامر ولم يجز قتل المواشي ولا تحريق النحل^(٢).

-
- أحمد بن محمد بن أحمد الدردير، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، عدد الأجزاء، ٤، بالهامش حاشية أحمد بن محمد الصاوي المالكي، أخرج أحاديثه، د. مصطفى كمال وصفي، دار المعارف مصر، ج ٢، ص ٢٨١. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الدردير: الشرح الصغير على أقرب المسالك.
- (١) الخرشي على مختصر سيدي خليل، وبهامشه حاشية الشيخ العدوي، ٨، دار صادر، بيروت، ج ٣، ص ١١٩. وانظر: الدردير: الشرح الصغير على أقرب المسالك، ج ٢، ص ٢٨١. حاشية العدوي على شرح أبي الحسن بن أبي زيد، وهي حاشية العلامة المحقق الشيخ علي الصعيدي على شرح الإمام أبي الحسن المسمى كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، عدد الأجزاء ٢، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ٦، ٧. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: حاشية العدوي.
- صالح عبد الحميد الأبى الأزهرى، الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن زيد القيرواني، المكتبة الثقافية، بيروت، ص ٤١٤. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الأبى: الثمر الداني.
- صالح عبد السميع الأبى الأزهرى، جواهر الإكليل مختصر العلامة خليل في مذهب الإمام مالك، الأجزاء ٢، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ٢٥٣. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الأبى، جواهر الإكليل.
- (٢) انظر: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، عدد الأجزاء ٢، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ج ١، ص ٣٢٨. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: القرطبي: بداية المجتهد.

قال الشافعي: (أما كل ما لا روح فيه من شجر مثمر وبناء عامر وغيره فيحرقونه ويهدمونه ويقطعون^(١)). وفي رواية أخرى عن الشافعي: تحرق البيوت والشجر إذا كانت لهم معاقل ويكره ذلك إذا لم تكن لهم معاقل^(٢).

وجاء في كتاب المحلى لابن حزم: (وجائز تحريق أشجار المشركين وأطعمتهم وزرعهم ودورهم وهدمها^(٣)).

ثانياً: أدلة المجيزين:

١ - يجوز لنا إتلاف بناء العدو بالتخريب وشجرهم بالقطع وغيره لحاجة القتال والظفر بهم^(٤)، لقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى

(١) الشافعي: الأم، ج ٧، ص ٢١٣، ٣٢٤.

(٢) انظر: القرطبي: بداية المجتهد، ج ١، ص ٣٢٨. أحمد بن حجر الهيتمي، حواشي الشرواني وابن القاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، عدد الأجزاء ١٠، دار صادر، بيروت، ج ٩، ص ٢٤١. وابن حجر هذا، فقيه مصري، وهو شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي نسبة إلى محلة أبي الهيثم، ولد عام (٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م) ودرس في الأزهر، وله عدة مؤلفات منها: الفتاوى الهيتمية. انظر أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: الهيتمي: حواشي الشرواني وابن قاسم.

حاشية قليوبي، وعميره، ص ٢١٨.

شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي المنوفي المصري الأنصاري الشهير بالشافعي الصغير (ت: ١٠٠٤ هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الإمام الشافعي، الناشر: المكتبة الإسلامية لصاحبها رياض الشيخ، ج ٨، ص ٦١. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: الرملي: نهاية المحتاج. أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ٩٥. ابن حزم الأندلسي: المحلى، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٤.

(٣) انظر: ابن حزم الأندلسي: المحلى، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٤.

(٤) انظر: أحمد الطحطاوي الحنفي، حاشية الطحطاوي على الدر المختار، دار المعرفة، بيروت، (١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م)، ج ٢، ص ٢٤٢. الكاساني: بدائع الصنائع، ج ٧، ص ١٠١. محمد أزدمير: حاشية البجيرمي، ج ٤، ص ٢٥٣. حاشية قليوبي وعميره، =

أُصُولُهَا فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ^(١). قال البيضاوي في تفسيره مستدلاً بها بجوز هدم ديار الكفار وقطع أشجارهم زيادة لغيظهم^(٢).

وروي في أسباب نزول هذه الآية عن نافع عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ أمر بقطع نخل بني النضير، بل أنه ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع^(٣) وهي البويرة^(٤)، فقال واحد من الحصن إن هذا لفساد يا محمد، وأنتك تنهى عن الفساد، فنزلت هذه الآية ولها يقول حسان بن ثابت:

وهان على سرارة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير^(٥)

فإن توقف النصر على إتلاف ذلك وجب^(٦).

ص ٢١٨. الرمل: نهاية المحتاج، ج ٨، ص ٦١. أبو يحيى الشافعي، شرح روض الطالبين، المكتبة الإسلامية لصاحبها رياض الشيخ، ج ٤، ص ١٩٠. محمد الخطيب الشربيني الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر للطباعة (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)، ج ٤، ص ٢٢٦، ٢٢٧. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: الشربيني: مغني المحتاج.

- (١) آية رقم ٥، سورة الحشر.
- (٢) البيضاوي: تفسير، ص ٧٢٥.
- (٣) انظر: المرغيناني: الهداية، ج ٢، ص ١٣٦، ١٣٧. الشربيني: مغني المحتاج، ج ٢، ص ٢٢٦، ٢٢٧. ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥١١. ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥١٠. ابن حزم الأندلسي: المحلى، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٤. صحيح البخاري، م ٢، ص ٥، ص ١١٣، مطابع دار الشعب. أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦١٥، ج ٣، ص ٣٨.
- (٤) البويرة: تصغير بورة، وهي الحفرة، وهي هنا مكان معروف بين الحديبية وتيما، وهي من جهة قبله مسجد قباء. انظر أبو داود: سنن، الهامش، حديث رقم ٢٦١٥، دار إحياء التراث العربي، ج ٣، ص ٣٨.
- (٥) انظر: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥١١. ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥١٠. صحيح البخاري، ج ٥، ص ١١٣.
- (٦) الشربيني: مغني المحتاج، ج ٤، ص ٢٢٧.

عن الزهري قال حدثني أسامة أن رسول الله ﷺ كان عهد إليه فقال: «أغر على ابني صباحاً وحرقة»^(١).

٢ - أمر الله تعالى أوليائه المؤمنين بإغاية أعدائه الكافرين، وجعل لهم الثواب على ذلك، وبيان هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾^(٢).

وإن في تخريب بيوتهم وقطع شجرهم إغاية لهم، وكسراً لشوكتهم^(٣)، فيجوز إتلافها إن لم يرج حصولها لنا مغايظة لهم وتشديداً عليهم، فإن رجي حصولها لنا ندب الترك، وكره الإتلاف، حفظاً لحق الغانمين، أما إذا غنمناها بأن فتحنا دارهم قهراً أو صلحاً على أن تكون لنا أو غنمنا أموالهم فيحرم إتلافها لأنها صارت غنيمة لنا^(٤).

٣ - قال تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

قال عكرمة بأيديهم في إخراج داخلها لئلا يأخذه المسلمون، وبأيدي المؤمنين في إخراج خارجها ليصلوا بذلك إليهم^(٦).

قال تعالى: ﴿وَاخْذُوهُمْ وَأَخْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾^(٧).

وهذا يدل على جواز حصار^(٨) الكفار في البلاد والحصون والقلاع،

(١) أبو داود: سنن حديث رقم ٢٦١٦، ج ٣، ص ٣٨.

(٢) آية رقم ١٢٠، سورة التوبة.

(٣) انظر: المرغيناني: الهداية، ج ٢، ص ١٣٦، ١٣٧. ابن حزم الأندلسي: المحلى، ج ٧، ص ٩٤.

(٤) الشريبي: منهاج المحتاج، ج ٤، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(٥) آية رقم ٢ سورة الحشر.

(٦) ابن قدامة، المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٠٦.

(٧) آية رقم ٥ سورة التوبة.

(٨) حصار: إحاطة مدينة أو حصن بقوات مسلحة للإستيلاء عليها. راجع محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص ٧٢٢.

وإرسال الماء عليهم ورميهم بنار ومنجنيق^(١)، وما في معنى ذلك من هدم بيوتهم، وقطع الماء عنهم، وإلقاء حيات أو عقارب عليهم، ولو كان فيهم نساء وصبيان^(٢).

وروي أن الرسول ﷺ حاصر الطائف ونصب عليهم المنجنيق، وقد أمر الرسول بتحريق قصر مالك بن عوف وكان أمير الجيوش بالطائف^(٣).

وممن رأى ذلك الثوري والأوزاعي^(٤) والشافعي والحنفية وظاهر كلام أحمد وابن حزم إذ قال بجوازه مع الحاجة وعدمها^(٥).

(١) انظر: أحمد الطحطاوي، الطحطاوي، ج ٢، ص ٤٤١. الخرشي على مختصر سيدي خليل، ج ٣، ص ١١٣. ابن حجر الهيتمي، حواشي الشرواني وابن قاسم، ج ٩، ص ٢٤١ الشربيني: مغني المحتاج، ج ٤، ص ٢٢٣. الرملي: نهاية المحتاج، ج ٨، ص ٦١. محمد بن الحسن الشيباني: شرح كتاب السير الكبير، إملأ محمد أحمد السرخسي، الأجزاء ٥، تحقيق عبدالعزيز أحمد، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، ١٩٧١، ج ٤، ص ١٤٦٧. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: السرخسي، شرح كتاب السير الكبير.

(٢) الشربيني: مغني المحتاج، ج ٤، ص ٢٢٣.
(٣) انظر: الشربيني: مغني المحتاج، ج ٤، ص ٢٢٣. ابن حزم: المحلى، م ٤، ج ٤، ص ٢٩٤. السرخسي: شرح كتب السير الكبير، ج ٤، ص ١٤٦٧. صحيح البخاري، ج ٤، ص ٧٤، ج ٥، ص ١١٣، ١٩٨.

(٤) الأوزاعي: عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي الحافظ (ت: ١٥٧ هـ/ ٧٧٤ م)، تربى يتيماً في حجر أمه، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه، أجاب على سبعين ألف مسألة، وكان أفضل أهل زمانه، كان يحبي الليل صلاة وقرآناً وبكاء، وكان يقول خمسة كان عليها الصحابة والتابعون: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد. انظر: الإمام أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٨ م)، تذكرة الحفاظ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، (١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦ م)، ج ١، ص ١٧٨ - ١٨٣. سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الذهبي: تذكرة الحفاظ. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٢٧، ١٢٨. الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٣٢٠.

(٥) انظر: المرغيناني: الهداية، ج ٢، ص ١٣٦. أحمد الطحطاوي: حاشية الطحطاوي، =

أما ما ورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه من نهيه عن تقطيع الشجر المثمر وعن تخريب العامر، فلا حجة في قول أحد مع رسول الله ﷺ كما يقول ابن حزم، وقد ينهى أبو بكر عن ذلك اختياراً، لأن ترك ذلك أيضاً مباح، كما في قوله تعالى: ﴿مَا قُطِعَ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١)، ولم يقطع النبي ﷺ نخل خيبر^(٢)، فكل ذلك حسن^(٣).

وبهذا علل الشافعي رحمه الله أمر أبي بكر رضي الله عنه بالإحراق والقطع حينما أرسل خالداً إلى طليحة وبني تميم مع أنه نهى هو نفسه عن ذلك في حروب الشام، ويقول رحمه الله في هذا: ولعل أمر أبي بكر بأن يكفوا عن أن يقطعوا شجراً مثمراً، إنما هو لأنه سمع رسول الله ﷺ يخبر أن بلاد الشام تفتح

= ج ٢، ص ٤٤١. أبو بكر حسن الكشناوي، أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في فقه الإمام مالك، دار الفكر، ط ٢، ج ٢، ص ٥٠. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الكشناوي: أسهل المدارك. محمد عليش، شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل وبهامشة تسهيل منح الجليل، عدد الأجزاء ٤، مكتبة النجاش، طرابلس، مؤسسة عبدالحفيظ لتجليد الكتاب، بيروت، ج ١، ص ٧١٥. الشريبي: مغني المحتاج، ج ٤، ص ٢٢٣. ابن حزم الأندلسي: المحلى، م ٤، ج ٤، ص ٢٩٤. صحيح البخاري، ج ٤، ص ٧٤.

(١) آية رقم ٥، سورة الحشر.

(٢) خيبر: الموضع المذكور في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، يطلق هذا الاسم على الولاية، وتشمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، واسم حصونها: حصن ناعم، وعنده قتل مسعود بن مسلمة أقيت عليه رحي، القموص حصن أبي الحقيق، وحصن الشق، وحصن النطاة، وحصن السلام، وحصن الوطيع، وحصن الكتيبة، وأما لفظ خيبر فهو بلسان الحصن، ولكن هذه البقعة التي تشتمل على هذه الحصون سميت خيابر، وقد فتحها النبي صلى الله عليه وسلم في سنة سبع للهجرة وقيل سنة ثمان.

انظر: الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١.

(٣) انظر: مالك بن أنس الأصبحي، المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي، عن الإمام عبد الرحمن بن قاسم، ومعها مقدمات ابن رشد، عدد الأجزاء ٤، دار الفكر، بيروت، (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)، ج ١، ص ٣٧٢.

على المسلمين، فلما كان مباحاً له أن يقطع ويترك اختار الترك نظراً لصالح المسلمين، فنهى عنه لذلك فيما نرى لا أن تخريب ذلك وتحريقه لا يحل^(١).

وعن الزهري^(٢) قال: حدثني أسامة^(٣) أن رسول الله ﷺ كان عهد إليه فقال: «أغر على ابني^(٤) صباحاً وحرقة^(٥)».

(١) انظر: الشافعي: الأم، ج ٧، ص ٣٢٤. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثامنة، (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)، ص ٢٦٢. محمد علي الحسن: العلاقات الدولية، ص ١٦٩.

(٢) الزهري: محمد بن شهاب الدين الزهري من بني زهرة (ت: ١٢٤ هـ / ٤٧٢ م)، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة، كان يحفظ الفين ومئتي حديث، النصف منها مسند. انظر: أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠ م، مطبعة السعادة، مصر، (١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م)، ج ٣، ص ٣٦٠.

(٣) أسامة بن زيد (٧ ق هـ - ٥٤ هـ / ٦١٥ م - ٦٧٤ م).

أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد: صحابي جليل، ولد بمكة ونشأ على الإسلام هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، أمره الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يبلغ العشرين من عمره، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، وعاد بعد ذلك إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف في آخر خلافة معاوية، له كتب في الحديث راجع: الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ٢٩١.

(٤) أبني أو أبناء: قرية، وهي قريبة من أرض الكرك في أطراف الشام في الناحية التي قتل فيها أبوه، فأما بينا فهي أرض فلسطين ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بالإغارة عليها لبعدها، ولم يكن أسامة ليصل إليها، والخطر بالمصير إليها لتوسطها في البلاد وبعدها من طرف الشام، فما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليأمره بالتغريب بالمسلمين، فكيف يحمل الخبر عليها مع مخالفة لفظ الرواية وفساد المعنى. راجع: الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٩.

(٥) انظر: مالك بن أنس: المدونة الكبرى، ج ١، ص ٣٧٢. ابن قدامة المقدسي: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥١١. ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥١٠. بذل المجهود، ١٢، ص ١٢٤، ١٢٥. محمد علي الحسن: العلاقات الدولية، ص ١٦٩. أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦١٦، ج ٣، ص ٣٨.

الفرع الثاني: رأي المانعين وأدلتهم:

أولاً: رأي المانعين:

عدم الجواز، وبهذا قال الليث بن سعد وأبو ثور والأوزاعي ورواية عن أحمد^(١). جاء في بداية المجتهد: «وكره الأوزاعي قطع الشجر المثمر، وتخریب العامر كنيسة كانت أو غير ذلك»^(٢)، قال الأوزاعي: إذا كان في المظمورة العدو فعلمت أنك تقدر عليهم بغير النار، فأحب إلي أن يكف عن النار، وإن لم يمكن ذلك وأبوا أن يخرجوا فلا أرى بأساً وإن كان معهم ذرية، فقد كان المسلمون يقاتلون بها^(٣).

وجاء في المغني لابن قدامة وفي فتح البثوق عليهم ليغرقهم إن قدر عليهم بغيرهم لم يجر إذا تضمن ذلك إتلاف النساء والذرية الذين يحرم إتلافهم قصداً، وإن لم يقدر عليهم إلا به جاز^(٤).

ثانياً: أدلة المانعين:

١ - لأن إتلافه فساد محض، لا تدعو إليه حاجة حربية. وقد نهى عن الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تَغْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٥) فهذا إفساد

(١) انظر: موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي: المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٤٨٦. شمس الدين بن قدامة المقدسي: الشرح الكبير على متن الإقناع، ج ٥، ص ٥٠٨. ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥١٠. ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥١٠. البوطي: فقه السيرة، ٢٦٣.

(٢) محمد بن أحمد بن رشد القرطبي: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج ١، ص ٣٢٨.

(٣) ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٠٣.

(٤) انظر: شمس الدين بن قدامة المقدسي: الشرح الكبير على متن الإقناع، ج ٥، ص ٥٠٨. ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٠٦. موفق الدين بن قدامة المقدسي: المقنع، ج ١، ص ٤٨٦.

(٥) آية رقم ٧٤، سورة الأعراف.

يدخل في عموم قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ
الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(١).

ولذا نجد النبي ﷺ يوجه قادة الجيش في وصاياه إذ يقول : لا تهدموا بيتاً ولا
تعقرن شجراً، إلا شجراً يمنعكم قتالاً أو يحجز بينكم وبين المشركين^(٢). وهذا
من قوله ﷺ يفسر ما خفي على بعض الناس من محامل فعله ببعض ممتلكات
عدوه كبنى النضير، إذ أحرق بيوتهم وقطع بعض أشجارهم، وكبلاد خيبر إذ فعل
بهم مثل ذلك في بعض ما يروى، وكأهل الطائف^(٣) إذ ضربهم بالمجانيق وقطع
بعض كرومهم، فإنما كان ذلك لحاجة القتال لا عبثاً أو فساداً^(٤).

٢ - ما روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال ليزيد بن أبي سفيان^(٥)

(١) آية رقم ٢٠٥، سورة البقرة.

(٢) البيهقي : السنن الكبرى، ج ٩، ص ٨٤، ٩٠، ٩١.

(٣) الطائف : هي مسيرة يوم للطالع من مكة، نصف يوم للهابط من مكة، عمرها حسين بن
سلامة، ثم أتى مسعود الثقفي ومعه مال كثير وكان تاجراً، فقال : أحالفكم لتزوجوني
وأزوجكم وأبني لكم طوقاً عليكم مثل الحائط لا يصل إليكم أحد من العرب فبني بذلك
المال طوقاً عليهم سميت الطائف وتزوج إليهم فزوجوه ابنة، افتتحها الرسول صلى الله
عليه وسلم في سنة تسع من الهجرة صلحاً، وكتب لهم كتاباً.

راجع الحموي : معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢٠٩.

(٤) صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٩٨.

عبدالحق النواوي، العلاقات الدولية والنظم القضائية في الشريعة الإسلامية، دار الكتاب
العربي، الطبعة الأولى، بيروت، (١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م)، ص ١٣٩.

(٥) يزيد بن أبي سفيان (ت : ١٨ هـ / ٦٣٩ م) : يزيد بن صخر (أبي سفيان) بن حرب
الأموي، أمير صحابي من رجالات بني أمية شجاعة وحزماً، ولاه أبو بكر رضي الله عنه على
جيش وسيره إلى الشام وخرج معه يشيعه راجلاً، ولما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ولاه فلسطين، ثم ولي دمشق وخراجها، توفي في دمشق بطاعون عمواس.

انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب، طبعة ١، (١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م)، ج ١١،

ص ٣٣٢ - ٣٣٣. ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٠٥. ابن حجر :

الإصابة، المطبعة الشرقية، ج ٥، ص ٣٤١. الذهبي : سير أعلام النبلاء، مؤسسة

الرسالة، ط ١، ج ١، ص ٣٢٨.

وهو يوصيه حين بعثه أميراً على القتال بالشام: ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه^(١) ولا تقطعن شجراً ولا تخربن عامراً^(٢).

٣ - أن الأصل هو عدم قطع الشجر وهدم البناء، لأن الغرض من الحرب إلحاق الهزيمة بحيش العدو لا إيذاء الرعية^(٣).

٤ - أن التخريب والتدمير بغير قصد هو عبث محض.

ثم يمشون في مناقشة أدلة الفريق الأول فيقوله:

أما عن قطع اللينة فليس المراد هو النخيل وإنما المراد الثمرة، والنص القرآني يفيد ذلك ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾^(٤)، ولا يمكن فرض قيامها على أصولها إلا إذا كانت هي الثمرة لا أصل النخلة، وقطع الثمرة لا يعد تخريباً، وقد روي أن الرسول ﷺ استعمل أبا ليلى المازني وعبدالله بن سلام، وكان أبو ليلى يقطع العجوة وهي ثمر طيب وابن سلام يقطع اللون (جمع لينة) وهو ثمر رديء، وقيل لابن سلام: لم قطعت اللون؟ (أي الرديء)، فقال: لأنني علمت أن الله تعالى مظهر نبيه ومغنمه أموالهم، فأحببت إبقاء العجوة، وبالإتفاق قطع الثمر جائز، لأنه أكل لا تخريب فيه ما دام الأصل باقياً، لذا قال الشيخ أبو زهرة: وبذلك يسقط الإستدلال بهذا الدليل^(٥).

والواقع أن هذا التفسير مخالف:

١ - لتفسير المتقدمين الذين فسروا اللينة بمعنى النخلة، ويؤيدهم في

(١) انظر: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٠٦.

شمس الدين بن قدامة المقدسي: الشرح الكبير على متن الإقناع، ج ٥، ص ٥٠٨.

(٢) انظر: البيهقي: السنن الكبرى، ج ٩، ص ٨٥ - ٩٠. أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ٩٥.

(٣) النواوي: العلاقات الدولية، ص ١٣٩.

(٤) آية رقم ٥، سورة الحشر.

(٥) محمد علي الحسن: العلاقات الدولية، ص ١٦٩.

ذلك الأحاديث الصحيحة، فقد روى نافع عن عمر أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع وهو بالبويرة فأنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١). رواه البخاري^(٢) في الصحيح عن قتبية^(٣). فهذا الحديث يؤيد أن الرسول ﷺ أمر بقطع النخيل وليس بقطع ثمار النخيل.

٢ - أن النبي ﷺ لم يأمر بالقطع فقط، وإنما أمر بالقطع والحرق، والحرق لا يكون للثمار بل يكون للشجر، وقد روي أن النبي ﷺ قد حرق بعض نخيل بني النضير وقطع بعضاً، وقال في ذلك حسان^(٤) شعراً^(٥):

(١) آية رقم ٥، سورة الحشر.

(٢) البخاري: هو الإمام المحدث الحافظ أبو عبيد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ولد سنة (١٩٤ هـ)، سمع الحديث وحفظ تصانيف ابن المبارك وهو صبي، رحل إلى أقطار عديدة من أجل حفظ الحديث، فقد كان رأساً في العلم والورع والعبادة، من تصانيفه: الجامع الصحيح، التاريخ الكبير، الكنى، توفي سنة (٢٥٦ هـ/٨٦٩ م).

انظر: الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ/١٣٤٨ م): تذكرة الحفاظ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، (١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م)، ج ٢، طبعة ٣، ص ٥٥٥ - ٥٥٧.

(٣) صحيح البخاري، ج ٥، ص ١١٣. البيهقي: السنن الكبرى، ج ٩، ص ٨٣. وانظر: ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥١٠. الشافعي: الأم، ج ٧، ص ٣٢٤. ابن حزم الأندلسي: المحلى، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٤. أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦١٥، ج ٣، ص ٣٨. محمد علي الحسن: العلاقات الدولية، ص ١٧٠.

(٤) حسان بن ثابت الأنصاري: (٦٧٤/٥٦٣)، شاعر مخضرم، ولد ومات بالمدينة دافع عن قومه الخزرج في الجاهلية، واتصل بالفلاسفة والمناذرة ومدحهم، وادر عليه المناذرة معاشاً سنوياً، دافع عن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، أعجب به النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذته شاعره، عمي آخر حياته، ديوانه مطبوع، ولكن شعراً كثيراً نسب إليه، وهو من الهجائين يبرع في الفخر والهجاء والمدح.

انظر: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص ٧١٧.

(٥) انظر: ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥١٠. ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٠٩. صحيح البخاري، م ٢، ج ٥، ص ١١٣. محمد علي الحسن: العلاقات الدولية، ص ١٦٩.

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير
تركتم قدركم لا شيء فيها وقدر القوم حامية تفور
وقد أجابه أبو سفيان :

أدام الله ذلك من جشيع وحرقت في نواصيها السعير
ستعلم أينما فيها بنزه وتعلم أي أرضينا تضرير

فهذه روايات صحيحة تبين أن النبي ﷺ قد أمر بحرق بعض النخيل وقطع بعضه، ولذلك كان قول حسان ورد أبي سفيان إذ لو كان القطع للثمر لما كان داع لمثل هذا القول وذاك الرد^(١).

٣ - أن النبي ﷺ قد أمر بحرق النخيل في أبناء، فقد ورد في سنن البيهقي عن الزهري عن عروة بن الزبير^(٢) عن أسامة قال: أمرني النبي ﷺ أن أغير على ابني صباحاً وأحرق^(٣).

أما هدم بيوت اليهود بأيديهم وأيدي المؤمنين، فقد روى ابن عباس أن اليهود كانوا كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع موضع القتال وهم ينقبون دورهم من أدبارها إلى التي من بعدها ليتحصنوا بها، ويرموا بالتي أخرجوا منها المسلمين، وقيل ليسدوا بها أزقتهم، وقال عكرمة: بأيديهم

(١) انظر: مالك بن أنس: المدونة الكبرى، ج ١، ص ٣٧٢.

صحيح البخاري، ج ٥، ص ١١٣. البيهقي: السنن الكبرى، ج ٩، ص ٨٣.

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي (٩٣ هـ / ٧١٢ م)، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان عالماً بالدين صالحاً كريماً، وهو أخو عبدالله بن الزبير لأبيه وأمه. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤١٦ - ٤١٧. الأصبهاني: حلية الأولياء، ج ٢، ص ١٧٦ - ١٨٣.

(٣) انظر: البيهقي: السنن الكبرى، ج ٩، ص ٨٤.

أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦١٦، ج ٣، ص ٣٨. خليل أحمد السهارنفوري: بذل المجهود، ج ١٢، ص ١٢٤، ١٢٥.

في إخراج دواخلها لئلا يأخذها المسلمون وبأيدي المؤمنين في إخراجها ليصلوا بذلك إليهم^(١).

يتضح من هذا أن المسلمين ما هدموا بيوت اليهود إلا لاتخاذهم إياها حصوناً، ولإنزالهم الأذى بالمسلمين فكان لا بد من تحريقها وإتلافها توصلًا لمنع الأذى عن أنفسهم.

الفرع الثالث: الرأي الراجح والمختار:

والذي يظهر أن السبب في اختلافهم هو مخالفة فعل أبي بكر في ذلك لفعله عليه الصلاة والسلام إذ ثبت أن الرسول ﷺ حرق نخل بني النضير، وثبت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: لا تقطعن شجراً ولا تخربن عامراً. فمن ظن أن فعل أبي بكر هذا إنما كان لمكان علمه بنسخ ذلك الفعل منه ﷺ، إذ لا يجوز على أبي بكر أن يخالف مع علمه بفعله، أو رأى أن ذلك خاصاً لبني النضير لغزوهم، قال بقول أبي بكر، ومن اعتمد فعله ﷺ ولم ير قول أحد ولا فعله حجة عليه قال بتحريق وقطع الشجر.

والذي نراه أن الحكم الشرعي في أشجار العدو وإتلافها منوط بما يراه الإمام أو القائد من مصلحة النكاية بأعدائهم، وإنما كان قصد الرسول ﷺ بتصرفه هذا في النخل قطعاً أو إتلافاً لتحقيق المصلحة، وتلمس السبيل إليها، إرشاداً وتعليماً للأئمة من بعده.

ولو أجرينا مقارنة بين تحريق نخل بني النضير وبين الكف عن تحريق نخل الطوائف لاتضح لنا الفرق، فاليهود لا أمل في أن يهتدوا، ويتقرب المسلمون إلى الله بكل إيذاء وغيظ ينزلونه بهم، وبكل ما ينالونه منهم، وعلى العكس من ذلك أهل الطوائف الذين لانت عريكتهم وسرعان ما أجابوا

(١) محمد علي الحسن: العلاقات الدولية، ص ١٦٩.

المسلمين، وهذا يعني أن القائد يتدبر الأمر في حدود الصالح العالم للدولة الإسلامية.

وغير ممنوع شريعة باتفاق الجميع :

١ - أن تتلف الاستخبارات العسكرية جسراً أو ممراً لمنع العدو من التقدم نحوه.

٢ - أن تتلف السكك الحديدية الممتدة خلف خطوط الجيش، حتى لا يستعملها جيش العدو لمهاجمته من المؤخرة.

٣ - أن تهدم منازل أو مباني ليتسنى للجيش توجيه مدفعيته على العدو.

٤ - أن تخرب حصوناً كي لا يحتمي بها العدو.

٥ - أن تتلف الزروع في حقولها لضرورات الحرب.

المطلب الثاني

حكم قتل وذبح حيوانات العدو وما في حكمها أثناء المعركة أو في حالة الحرب من قبل الاستخبارات العسكرية أو من قبل عملائها أو بالتعاون مع الجيش :

الفرع الأول :

رأي المجيزين وأدلتهم :

أولاً : رأي المجيزين :

وبه قال الحنفية والأظهر عند المالكية وبعض الحنابلة .

قال الحنفية : إن ذبح الحيوان يجوز لغرض صحيح ، وإذا أراد الإمام العود ومعه مواشي فلم يقدر على نقلها إلى دار الإسلام ذبحها رجاله أو حرقوها

ولا يتركوها، بخلاف الشافعي الذي قال: يتركونها، لأنه عليه السلام نهى عن ذبح الشاة إلا لمأكلة^(١).

وروي عن مالك جواز ذبح الحيوان وعقره^(٢).

وروي عن أحمد قوله: «ويقوى عندي أي ما عجز المسلمون عن سياقته وأخذه إن كان مما يستعين به العدو كالنخيل جاز إتلافه، لأنه مما يحرم إيصاله إلى الكفار بالبيع فتركه لهم بلا عوض أولى بالتحريم، وإن كان مما يصلح للأكل فللمسلمين ذبحه والأكل منه مع الحاجة وعدمها، وما عدا هذين القسمين لا يجوز إتلافه لأنه مجرد إفساد وإتلاف وقد نهى النبي ﷺ عن ذبح الحيوان بغير مأكلة»^(٣).

ثانياً: أدلة المجيزين:

١ - إن ذبح الحيوان يجوز لغرض صحيح ولا غرض أصح من كسر شوكة الأعداء، ثم يحرق بالنار لتقطع منفعته عن الكفار، وصار كتخريب البنيان، بخلاف التحريق قبل الذبح لأنه منهي عنه، وبخلاف العقر لأنه مثله^(٤).

٢ - لأنه ذبح دواب الكفار في غير حال الحرب يكون غيظاً لهم وإضعافاً لقوتهم فأشبهه قتلها حال قتالهم^(٥)، والحجة في إباحة قتل ذلك قوله تعالى:

(١) انظر: المرغيناني: الهداية، ج ٢، ص ١٤٢.

الدردير: الشرح الصغير، ج ٢، ص ٢٨١.

(٢) انظر: الكشناوي: أسهل المدارك، ج ٢، ص ٥.

ابن قدامة: المغني، ج ١٠، ص ٥٠٧.

ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥٠٨.

ابن حزم: المحلى، ج ٧، ص ٢٩٥.

(٣) ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥٠٩.

(٤) المرغيناني: الهداية، ج ٢، ص ١٤٢.

(٥) ابن حزم الأندلسي: المحلى، ج ٧، ص ٢٩٥.

ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٠٧.

﴿وَلَا يَطُوتُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾^(١).

الفرع الثاني:

رأي المانعين وأدلتهم:

أولاً: رأي المانعين:

إن من الجائز ذبح ما يؤكل لغرض الأكل، وإتلاف ما يستخدمه العدو من الحيوانات في عملياته الحربية كخيول الفرسان، وبغال التموين، لأنه من قبيل إعداد القوة للعدو بما فيه من استضعاف أداة حربه^(٢) وقد قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(٣).

أما فيما عدا ذلك فذهب فريق من الفقهاء إلى تحريم قتل الحيوان الذي لا يضر لغير منفعة الأكل، ومن هؤلاء الشافعية والحنابلة والظاهرية وابن وهب من المالكية.

قال الشافعية: ويحرم إتلاف الحيوان إلا ما يقاتلونا عليه لدفعهم، أو ظفر بهم، لأنها كالألة للقتال، وكذلك إذا غنمناه وخفنا رجوعه إليهم وضرره علينا فيحق إتلافه دفعاً لهذه المفسدة ومغايرة لهم^(٤).

(١) آية رقم ١٢٠، سورة التوبة.

(٢) انظر: أحمد الطحطاوي: حاشية الطحطاوي، ج ٢، ص ٤٤٢.

الشربيني: مغني المحتاج، ج ٤، ص ٢٢٣.

ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٠٧.

ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥٠٨.

ابن حزم الأندلسي: المحل، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٤.

(٣) آية رقم ٦٠، سورة الأنفال.

(٤) انظر: الشافعي: الأم، ج ٧، ص ٢١٣.

الشربيني: مغني المحتاج، ج ٤، ص ٢٢٧.

وجاء في كتاب المغني لابن قدامة: «أما عقر دوابهم في غير حال الحرب لمغايظتهم والإفساد عليهم فلا يجوز سواء خفنا أخذهم لها أو لم نخف، وبهذا قال الأوزاعي والليث وأبو ثور^(١). وأما تغريق النحل وتحريقه لا يجوز في قول عامة أهل العلم، منهم الأوزاعي والشافعي والليث بن سعد. وقيل لمالك: أتحرق بيوت نحله؟، قال: أما النحل فلا أدري ما هو^(٢). وروي عن مالك أنه فرق بين الحيوان والشجر، لأن قتل الحيوان مثله، وقد نهى عن المثلة، ولم يأت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قتل حيواناً^(٣).

ويقول ابن حزم الظاهري:

ولا يحل عقر شيء من حيواناتهم البتة لا بقر ولا إبل ولا غنم ولا خيل ولا دجاج ولا حمام ولا أوز ولا غير ذلك إلا للأكل فقط، حاشا الخنازير جملة فتعقر، وحاشا الخيل في حال المقاتلة فقط، وسواء أخذها المسلمون أو لم يأخذوها أدركها العدو ولم يقدر المسلمون على منعها أو لم يدركوها ويخلى كل ذلك ولا بد إن لم يقدر على منعه ولا على سوقه، ولا يعقر شيء من نحله ولا يغرق ولا تحرق خلاياه، وكذا من وقفت دابته في دار الحرب فلا يحل له عقرها لكن يدعها كما هي^(٤).

ثانياً: أدلة المانعين:

١ - نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل شيء من الحيوان صبراً^(٥).

(١) انظر: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٠٧.

ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥٠٨.

(٢) ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٠٦.

(٣) القرطبي: بداية المجتهد، ج ١، ص ٣٢٩.

(٤) انظر: ابن حزم الأندلسي: المحلى، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٥.

أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ٩٧.

(٥) انظر: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٠٧.

ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥٠٨.

٢ - إن أبا بكر الصديق قال في وصيته ليزيد بن أبي سفيان حين بعثه أميراً
لا تعقرن دابة عجماء ولا شاة إلا لمأكلة^(١).

٣ - لأنه حيوان ذو حرمة فأشبهه النساء والصبيان، أما حال الحرب فيجوز فيها
قتل المشركين كيف أمكن بخلاف حالهم إذا قدر عليهم، ولهذا جائز قتل النساء
والصبيان في البيات وفي المظمورة إذا لم يتعمد قتلهم منفردين بخلاف حالة
القدرة عليهم، وقتل بهائمهم يتوصل به إلى قتلهم وهزيمتهم، وروي أن
حنظلة بن الراهب عقر فرس أبي سفيان به يوم أحد فرمت به فخلصه ابن
شعوب، وليس في هذا خلاف.

٤ - إن الله عز وجل أمرنا أن نغيظهم فيما لم ينه عنه لا بما حرم علينا
فعله^(٢).

المطلب الثالث

حكم أعمال الاغتيال لأعداء الإسلام من الحربيين وغيرهم

إن أعمال الاغتيال لأعداء الإسلام ربما يوكل ويسند القيام بها إلى
الاستخبارات العسكرية أو إلى عملائها، لذا رأينا أن نبين الحكم الشرعي لمثل
هذه الأعمال.

(١) انظر: البيهقي: السنن الكبرى، ج ٩، ص ٨٥، ٩٠، ٩١.

ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٠٧.

ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٩، ص ٥٠٨.

(٢) انظر: البيهقي: السنن الكبرى، ج ٩، ص ٨٨.

ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥٠٨.

ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٠٧.

ابن حزم الأندلسي: المحلى، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٥.

أجاز الإسلام قتل واغتيال من آذى الله ورسوله والمسلمين من الأعداء
دون خلاف ودليل ذلك :

الدليل الأول: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «من لي بآبن
الأشرف»^(١) حين انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر على أعدائه،
بعث زيد بن حارثة^(٢)، وعبدالله بن رواحة^(٣)، يبشران أهل المدينة بالنصر،
ويذكران لهم قتلى قريش وأسراهم، فلما سمع كعب بن الأشرف^(٤) بذلك قال:

(١) انظر: رواه البخاري في صحيحه، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٧٨، ج ٥،
ص ١١٥، ١١٦.

رواه مسلم في صحيحه، عدد الأجزاء ٥، دار إحياء التراث العربي، ط ١، حديث رقم
١٨٠١، ج ٣، ص ١٤٢٥.

رواه أبو داود في السنن، حديث رقم ٢٧٦٨، ج ٣، ص ٨٧. شهاب الدين أحمد بن
محمد القسطلاني (ت: ٩٢٣ هـ): إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة
الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة السادسة، ١٣٠٤ هـ، ج ٥، ص ١٥٦، وليد
الاعظمي: الرسول في قلوب أصحابه، ص ٤٩.

(٢) زيد بن حارثة: (ت: ٦٢٩) مولى الرسول ويسمى زيد بن محمد، أصغر من النبي بعشر
سنين، أول من أسلم من الرجال بعد علي، أبو أسامة بن زيد، عاد إلى مكة بعد هجرته
إلى المدينة، ليحضر سودة بنت زمعة وأولاد النبي، عرف بالشجاعة، اشترك في بدر
والخندق والحديبية، أرسل على رأس عدة سرايا، تولى أمر المدينة غير مرة عند غياب النبي
عنها، اشترك في غزوة مؤتة، استشهد وهو يحمل اللواء، وقد حزن عليه النبي صلى الله
عليه وسلم كثيراً.

انظر: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص ٩٣٧.

(٣) عبدالله بن رواحة (ت: ٨ هـ/٦٢٩ م): صحابي أنصاري خزرجي، من الشعراء
الشجعان، أحد حملة اللواء في غزوة مؤتة، لم يترك اللواء رغم جراحه حتى سقط شهيداً،
انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٨٦.

(٤) كعب بن الأشرف (ت: ٣ هـ/٦٢٥ م): شاعر جاهلي من طي، وأمه من يهود بني
النضير، كان يحرض قريش على المسلمين بعد بدر، ثم عاد من مكة إلى المدينة، تعرض
لنساء المسلمين، فتواعد نفر من الأنصار على قتله، فقتله محمد بن مسلمة. انظر: المنجد
في اللغة والأعلام، الأعلام، ط ٢، ص ٥٩٠، المنجد في اللغة، ط ٨.

أحق هذا؟، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها.

ولما تيقن من ذلك خرج من المدينة إلى مكة واجتمع برجال قريش، وجعل يحرضهم على الانتقام والثأر، وكان كعب بن الأشرف شاعراً فأنشد القصائد يبكي بها أصحاب القليب من قريش، ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة، فأخذ يتعرض لنساء المسلمين حتى آذاهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لي بابن الأشرف؟، فقال محمد بن مسلمة الأنصاري^(١) أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله، فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وأبو نائلة سلكان بن سلامة، وعباد بن بشر^(٢)، والحارث بن أوس، وأبو عيس بن جبر، وكلهم من الأوس^(٣)، فذهبوا إلى حصنه وقتلوه ثم عادوا وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل عدو الله^(٤).

(١) محمد بن مسلمة (٣٥ ق هـ - ٤٣ هـ = ٥٨٩ - ٦٦٣ م).

محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمن: صحابي من الأمراء، من أهل المدينة، شهد بدرًا وما بعدها إلا غزوة تبوك، وولاه عمر على صدقات جهينة، وكان عند عمر معداً للكشف أمور الولاة في البلاد، مات بالمدينة. انظر: الزركلي: الإعلام، ج ٧، ص ٩٧.

(٢) عباد بن بشر (٣٣ ق - ١٢ هـ = ٥٩١ م - ٦٣٣ م).

عباد بن بشر بن وقش الأشهلي الخزرجي الأنصاري: صحابي من أبطالهم، أسلم في المدينة، وشهد المشاهد كلها، وكان رسولاً يبعث إلى القبائل يصدقها (يجمع الصدقات)، وجعله على مقاسم حنين، واستعمله على حرسه بتبوك استشهد يوم اليمامة.

(٣) الأوس: أوس بن حارثة بن ثعلبة، من بني فريقاء، من الأزدي، من كهلان: جد قبيلة الأوس (إحدى قبيلتي الأنصار: الأوس والخزرج)، تحول بنوه من اليمن إلى يثرب (المدينة)، وجاء الإسلام وهم فيها، وتفرعت عنهم بطون متعددة، وكان صنمهم في الجاهلية (مناة)، منصوباً بفدك، مما يلي ساحل البحر، يشاركهم فيه الخزرج. انظر: الزركلي: الإعلام، ج ٢، ص ٣١.

(٤) انظر: صحيح البخاري، مطابع دار الشعب، ج ٥، ص ١١٦.

صحيح مسلم، ط ٣، ج ١٢، ص ١٥٦.

وليد الأعظمي: الرسول في قلوب أصحابه، ص ٤٩.

هكذا أجاز الرسول صلى الله عليه وسلم، بل طلب من أصحابه من يقتل ابن الأشرف، لأنه اعتبر ناقضاً للعهد بتحريضه على حرب النبي صلى الله عليه وسلم، وإيذاء الرسول، وتعرضه لنساء المسلمين^(١).

الدليل الثاني: أذن الرسول صلى الله عليه وسلم في قتل أبي رافع عبدالله بن أبي الحقيق، ويقال سلام بن الحقيق. قال عبدالله بن كعب بن مالك^(٢): لما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت الخزرج^(٣): والله ما يذهبوا بها فضلاً علينا أبداً، فتذاكروا من رجل لرسول الله في العداوة كابن الأشرف؟، فذكروا أبا رافع بن أبي الحقيق وهو بخير، فاستأذنوا رسول الله في قتله فأذن لهم، وكان ذلك بعد فراغ الرسول من أمر الخندق وشأن بني قريظة، فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر وهم: عبدالله بن عتيك^(٤)، ومسعود بن سنان، وعبدالله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، وخزاعي بن أسود - من أسلم وهو حليف بني سلمة -، فخرجوا، وأمر عليهم الرسول عبدالله بن عتيك، ونهاهم رسول الله عن أن يقتلوا

مرآة المناقب

(١) القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٦.

(٢) عبدالله بن كعب (.... هـ - ٣٠ هـ = ٦٥٠ - ٦٥٠ م).

عبدالله بن كعب بن عمرو النجاري الأنصاري: صحابي، شهد بدرًا، كان على غنائم النبي فيها وفي غزوات أخرى. انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ١١٥.

(٣) الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو فريقياء، من الأزد، من قحطان، جد جاهلي، بنوه من أصل يمني، نزلوا يثرب (المدينة) هم وأبناء عمهم الأوس، وتعرف القبيلتان بالأنصار، وبطون الخزرج كثيرة، منها (بنو النجار) و(بنو جشم). انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٤) عبدالله بن عتيك (١٢ هـ - ٦٣٣ م).

عبدالله بن عتيك بن قيس بن الأسود الخزرجي الأنصاري: صحابي، استشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقيل بعدها، وقيل كان يرطن باليهودية. انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ١٠٤.

وليداً أو امرأة، فانطلقوا حتى إذا تمكنوا منه قتلوه ثم عادوا وأخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم بمقتل عدو الله^(١).

الدليل الثالث: عن سلمة بن الأكوع قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم عين من المشركين وهو في سفر فجلس مع أصحابه يتحدث ثم انفتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اطلبوه فاقتلوه، قال: فقتلته فنفلني سلبه^(٢).

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بطلب عين المشركين وقتله، لأنه أذى المسلمين بكشف مواطن الضعف فيهم، وجعل لقاتله سلبه وهذا يدل على جواز إرسال من يتولى قتل أعداء الله ورسوله ومن يكشف ستر وستر المسلمين.

الدليل الرابع: صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أغار على بني المصطلق وهم غارون لأنه أذوا الله ورسوله والمسلمين، وعهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أسامة رضي الله عنه أن يغير على أبناء صباحاً ثم يحرق^(٣). ويجوز قتل من لا يحل قتلهم كالرهبان والنساء إذا حصل منهم خيانة أو قتال أو كان لهم رأي في الحرب^(٤) فإذا جاز قتل من لا يحل قتلهم إذا حصل منهم خيانة

(١) انظر: صحيح البخاري، ج ٤، ص ٧٧، ج ٥، ص ١١٧. وليد الأعظمي: الرسول في قلوب أصحابه، ص ١٢٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٧٧. رواه أبو داود في السنن، حديث رقم ٢٦٥٣، ٢٦٥٤، ج ٣، ص ٤٨، ٤٩. انظر: القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥ ص ١٦٨. أبو يحيى: شرح روضة الطالبين، ج ٤، ص ٢٥٤، ابن حزم: المحلى، م ٤ ج ٧، ص ٣٣٥، ٣٤٠. منصور علي ناصف: التاج، ج ٤، ص ٤٠١. ابن رشد القرطبي: بداية المجتهد، ج ١، ص ٣٣٨.

(٣) رواه أبو داود في السنن، حديث رقم ٦١٦، ج ٣، ص ٣٨ بذل المجهود، ج ١٢، ص ١٢٤، ١٢٥. انظر: مالك بن أنس: المدونة الكبرى، ج ١، ص ٣٧٢. ابن قدامة: المغني، ج ١٠، ص ٥١١. ابن قدامة: الشرح الكبير، ج ٥، ص ٥١٠. محمد علي: العلاقات الدولية، ص ٦٩.

(٤) انظر: الشافعي: شرح روضة الطالبين، ج ٤، ص ٢٥٤، الشربيني: مغني المحتاج، ج ٤، ص ٢٢٣. الخرشي على متن سيدي خليل، ج ٣، ص ١١٣. ابن حزم: المحلى، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٤.

فالأولى جواز قتل من يجوز قتلهم مع الخيانة، ومن الخيانة التحريض على قتال المسلمين.

من هذه الأدلة يتضح أن الأعداء إن حصل منهم تجسس أو خيانة أو سب للمسلمين جاز اغتيالهم وقتلهم بواسطة استخبارات المسلمين أو بواسطة العملاء أو بأي وسيلة أخرى، بل وبجميع أنواع الحرب.



المبحث الثالث

الحرب النفسية «حرب الأفكار»

المطلب الأول

تعريف الحرب النفسية ومصطلحاتها

يعرف الدكتور أحمد بدر الحرب النفسية بأنها: «حرب هجومية يخوضها جيش بأسلحة فكرية وعاطفية من أجل تحطيم قوة المقاومة المعنوية في جيش العدو، وبين السكان المدنيين، وتخاض هذه الحرب للتقليل من نفوذ العدو في أعين الدول المحايدة».

وفي تعريف آخر قال: «الكلمات والأفعال التي توهم من تصميم العدو على القتال بإضعاف روحه المعنوية^(١)».

عرض الدكتور فخري الدباغ مفهوماً للحرب النفسية فقال: «هي شن هجوم مبرمج على نفسية وعقل الفرد والجماعة لغرض إحداث التفكك والوهن والارتباك فيهما وجعلهما فريسة لمخططات وأهداف الجهة صاحبة العلاقة مما يمهّد للسيطرة عليها وتوجيهها إلى الوجهة المقصودة ضد مصلحتها الحقيقية أو ضد تطلعاتها وآمالها في التنمية أو الإستقلال أو الحياد أو الرفض^(٢)».

(١) د. أحمد بدر: الإنصال بالجماهير والدعاية الدولية، دار القلم، ط ١، الكويت ١٣٩٤ - ١٩٧٤، ص ٢٠٧.

(٢) انظر: أحمد نوفل، الحرب النفسية، ص ٣٤، نقلاً عن الدكتور فخري الدباغ: الحرب النفسية، وزارة الثقافة، الموسوعة الصغيرة رقم ٣٨، بغداد، ١٩٧٩، ص ٣.

استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول في وقت الحرب أو في وقت السلام لإجراءات إعلامية، بقصد التأثير في آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية معادية أو محايدة أو صديقة بطريقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة أو الدول المستخدمة^(١).

وقالت الموسوعة العسكرية في تعريف الحرب النفسية.

هي مجموعة الأعمال التي تستهدف التأثير على أفراد العدو، بما في ذلك القادة السياسيين والأفراد المقاتلين، بهدف خدمة أغراض مستخدمي هذا النوع من الحرب^(٢).

والذي نراه أن الحرب النفسية هي استخدام أية وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أية جماعة لغرض عسكري معين، فهي تهدف إلى شل إرادة الخصم وتحطيم رغبته في القتال بإيصاله إلى وضع لا يرى فيه أملاً للنصر.

إن الحرب النفسية كمضمون وممارسة موجودة منذ بدايات الصراع الإنساني، أما مصطلح الحرب النفسية الذي وضع ليدل على ذلك المضمون وليكون عنواناً له معبراً عنه فكان أول استخدام له عام ١٩٤١، ولكن حتى وقتنا الحاضر فإن الحرب النفسية غير واضحة في أذهان الكثيرين، والحرب النفسية تبدو في أذهان الناس بمفاهيم مختلفة متغيرة، ولم يتمكن حتى أولئك الذين تخصصوا في هذا الموضوع أن يضعوا هذا الاصطلاح في إطار واضح المعالم،

(١) انظر: الدكتور أحمد نوفل: الحرب النفسية، ص ٣٤، نقلاً عن الدكتور حامد عبدالسلام زهران في كتابه علم النفس الاجتماعي، ص ٣٣٤. وغسل الدماغ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣، الدكتور مختار التهامي في كتاب الرأي العام والحرب النفسية، ص ١٢٥.

(٢) الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ١، ص ٧٦٧.

وإذا حدد المضمون فلا بأس ولا إشكال في التعبير عنه بأي من الاصطلاحات التي سنذكرها أو بغيرها، ومن هذه التسميات أو الاصطلاحات: حرب الأفكار، حرب الأعصاب، حرب المعنويات، حرب الإشاعات، حرب الدهاء، حرب الكلمة والمعتقد*.

المطلب الثاني

أهداف الحرب النفسية^(١)

١ - بث اليأس من النصر في نفوس القوات المعادية، وخفض قوة العدو القتالية بإضعاف روحه المعنوية، والتشكيك في قدرته على النصر، وبث الرعب في قلوب القوات المسلحة، وبث التذمر في أوساط الجنود، وذلك عن طريق المبالغة في وصف القوة ووصف الانتصارات، والمبالغة في وصف هزائم العدو، حتى يشعر هذا العدو أنه أمام قوة لا يمكن أن تقهر، وعن طريق استخدام مبدأ الحشد في عدد الطائرات والدبابات والصواريخ.

٢ - إضعاف الجبهة الداخلية للعدو وإحداث ثغرات داخلها، وذلك عن طريق إظهار عجز النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عن تحقيق آمال الجماهير، والضغط الاقتصادي على حكومة العدو، وتشجيع بعض الطوائف على مقاومة الأهداف العامة وإيجاد التفرقة بين القوات المسلحة وباقي قطاعات الشعب.

(*) انظر: أحمد نوفل، الحرب النفسية، دار الفرقان، ص ٣٦.

(١) انظر: د. أحمد نوفل: الحرب النفسية، ص ٧٤ - ٧٦.

د. حامد عبدالسلام زهران، علم النفس الاجتماعي، ط ٣، القاهرة: عالم الكتب، ص ٣٣٧. د. فخري الدباغ: غسل الدماغ، صيدا، ص ٢٦٣، ص ٣٥٤، ص ٣٧١.

محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٤٦، ١٤٧.

٣ - إضعاف المعنويات : إذ «إن الهدف الحيوي من الحرب، هو تحطيم الطاقات المادية والمعنوية للعدو، فإذا انتصر عليه في ميدان الحرب، استطاع أن يحطم طاقاته المادية، فلا بد من جهود أخرى لتحطيم طاقاته المعنوية ليكون النصر كاملاً يؤدي إلى الاستسلام وهنا تبدأ الحرب النفسية التي تستهدف الطاقات المعنوية في الدرجة الأولى وقبل كل شيء».

٤ - تفتيت وحدة الأمة، وإحداث الفركة بين صفوفها وتشجيع بعض أطرافها وأعضائها على الخروج على ما تجمع الغالبية، وإثارة المخاوف بين أجزاء الأمة بعضهم من بعض.

٥ - التشكيك في القيادة وكفايتها وإخلاصها.

٦ - تعزيز وتمكين الصداقة مع الشعوب الحليفة.

المطلب الثالث

أهمية الحرب النفسية

في الحروب الحديثة تجهد الدول المتحاربة على إضعاف الروح المعنوية في نفوس الخصم بأقوال وأفعال طابعها التضليل والتخذيل، وتستخدم في ذلك جميع وسائل الأعلام، بما فيها النشرات تلقيها الطائرات والأراجيف يرفج بها العملاء، وتنفق في هذا السبيل أموال طائلة وجهود شاقة متواصلة، كل ذلك لا بد أن يلبس في لغة الحرب ثوب التهويل والتضخيم^(١). والواقع أن العلم العسكري وخبرة الحروب يجمعان على أن الحرب النفسية سلاح فعال وشديد التأثير في المعركة ويساهم مساهمة كبيرة مع أعمال القتال وغيرها من أساليب الصراع في تحقيق الانتصار بسرعة وبأقل الخسائر في الأرواح والمعدات.

(١) النواوي: العلاقات الدولية، ص ١٣٥.

والحرب النفسية أخطر أنواع الحروب لأنها تستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وقلبه، لكي تحطم روحه المعنوية وتقضي على إرادة القتال فيه، وتقوده بالتالي نحو الهزيمة.

ومن هنا جاءت خطورة سلاح الحرب النفسية الذي أصبح في العصر الحديث يحتل مكاناً بين أسلحة الحروب، والذي يؤمن العسكريون بأن قد يكون أشد أثراً من الأسلحة الأخرى في تحقيق هدف النصر بسرعة وبأقل الخسائر^(١).

ولقد نوه القادة والزعماء بأهمية الحرب النفسية وأثرها في إداره الصراع وفي نتائجه فمن ذلك قول القائد الألماني روميل^(٢) «إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم»^(٣).

وقول الجنرال ديجول^(٤): ولكي تنتصر دولة ما في حرب عليها أن تشن

(١) محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٤٦.

(٢) روميل: عسكري ألماني من أشهر قواد الحرب العالمية الثانية، وهو فيلد مرشال اروين روميل ولد بإقليم سويسيا ١٨٩١ وهو ابن أستاذ للرياضيات في ميونخ، التحق بكلية أركان الحرب بعد ذلك وعمل أستاذاً بها، اشترك في الحرب العالمية الأولى وأصاب شهرة بانتصاره في معركة كابوريتو ١٩١٧ ضد الإيطاليين، اتصل بالحركة النازية وانضم إلى جيش العاصفة ونظم فرق شباب هتلر ١٩٣٣، ارتبط اسم روميل بالحرب في شمال إفريقيا حين عين قائداً عاماً لقوات المحور عام ١٩٤١، استدعي إلى الميدان الأوروبي لتنظيم الدفاع عن أوروبا الغربية عند بداية غزو نورمانديا عام ١٩٤٤، توفي متأثراً بجراح من أثر انفجار قنبلة في العام نفسه ١٩٤٤.

انظر: أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ط ٣، ص ٥٧٨، ٥٧٩.

(٣) محمود شيت خطاب: اقتباس النظام العسكري، ص ١٤٧.

(٤) ديجول: عسكري وسياسي فرنسي، وهو الجنرال شارل أندريه جوزيف ديجول ولد في ٢٢ نوفمبر ١٨٩٠ ببلدة ليل من أب كان يعمل أستاذاً للفلسفة والآداب، تخرج في الكلية العسكرية الحربية بسان سير، والتحق بالجيش عام ١٩١١ واشترك في الحرب العظمى، ووقع أسيراً عام ١٩١٦، اشترك في الحرب العالمية الثانية قائداً لإحدى فرق المدرعات، =

الحرب النفسية قبل أن تحرك قواتها إلى ميادين القتال، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتها^(١).

ويقول تشرشل^(٢): «كثيراً ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ^(٣)».

يقول مونتجمري:

«ما من قائد عصري يستطيع النجاح في قيادته إذا أخفق في فهم العوامل البشرية في الحرب، فينبغي أن يكون دارساً للطبيعة البشرية، مدركاً حق الإدراك الحقيقة القائلة: إن المعارك تكسب في قلوب الرجال أولاً».

أرسل عمرو بن العاص أثناء فتوحه في مصر إلى عمر بن الخطاب يطلب المدد فأرسل إليه أربعة آلاف على رأسهم أربعة من كبار الصحابة: الزبير،

حتى سقوط فرنسا عام ١٩٤٠، وفي عام ١٩٤٤ عاد إلى باريس وتولى رئاسة الوزراء. وفي عام ١٩٥٩ تولى رئاسة الجمهورية الفرنسية الخامسة. وأعيد انتخابه للرئاسة للمرة الثانية في ١٩ ديسمبر ١٩٦٥. تضمنت سياسة ديغول الخارجية، المطالبة بالعودة إلى قاعدة الذهب في المعاملات الدولية، الدعوة إلى عقد مؤتمر دولي لبحث إعادة التوازن في منظمة الأمم المتحدة، زار موسكو في ١٣ يونيو ١٩٦٦ وزار أثيوبيا وبعض الممتلكات الفرنسية في المحيط الهادي وأعلن بعد عودته منح الصومال الفرنسي حق تقرير مصيره.

انظر: أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ط ٣، ص ٤٥٢، ٥٤٣.

(١) انظر: محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٤٧.

(٢) تشرشل: سياسي بريطاني من المحافظين، وهو سير ونستون تشرشل، ولد ١٨٧٤ أبوه لورد رندولف تشرشل وأمه جني جيبروم الأمريكية، دخل البرلمان عام ١٩٠٠ وعين وزيراً للتجارة عام ١٩٠٨ ثم وزيراً للداخلية والبحرية عند نشوب الحرب العالمية الأولى وفي عام ١٩٤٠ دعي لرئاسة الوزارة القومية التي قادها خلال سنوات الحرب الخمس وعاد إلى الحكم بعد عزله عام ١٩٥٠ وفي عام ١٩٥٥ تنحى عن رئاسة الوزارة لخليفته إيدن، توفي في يناير ١٩٦٥. انظر أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ط ٣، ص ٢٩٦.

(٣) محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٤٧.

وعبادة ومسلمة بن مخلد، والمقداد بن الأسود، وجاء في كتاب الفاروق: «لقد أمددتك بأربعة آلاف، وعلى رأس كل ألف منهم رجل بألف رجل»^(١).

لعبت عوامل عديدة في جعل الحرب النفسية إحدى أهم الفعاليات التي تطور إليها الصراع الدولي في عصرنا الراهن، وليست هذه الأهمية في الحقيقة إلا انعكاساً لإحدى الخصائص الواضحة التي تميز مجتمعنا الدولي، وهي خاصية الصراع، إن أكثر المفكرين عسكريين كانوا أو سياسيين يعتبرون أن الحرب النفسية أصبحت جزءاً مكملًا للحرب العسكرية والحرب السياسية ومتفاعلاً معها، لذا نجد أن معظم الدول اليوم تسعى إلى تسخير جزء كبير من مجهودها في تطوير وسائل الحرب النفسية^(٢).

ولئن كانت المعنويات لكل إنسان مرتكزه وأساس في نجاحه فهي في الحياة العسكرية ألزم والجندي لها أحوج، والقوات المسلحة لها مصدران للقوة مصدر معنوي ومصدر مادي والمصدر المعنوي للقوة أهم بكثير من المصدر المادي، ولإحراز النصر يجب توجيه ضربات نفسيه قوية إلى معنويات العدو باعتبارها من مصادر القوة لديه، وإن أفضل سلاح لتوجيه الضربات النفسية للعدو هو الحرب النفسية، وإن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة العدو دون قتال^(٣)..

وتتضمن الحرب النفسية استخدام الدعاية ضد العدو بالإضافة إلى

(١) د. أحمد نوفل: الحرب النفسية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ج ١، ص ٤.

(٢) د. أحمد نوفل، الحرب النفسية الكتاب الأول، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٣٠ سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: د. أحمد نوفل: الحرب النفسية.

(٣) أحمد نوفل: الحرب النفسية، ص ٥٧.

محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٤٦.

استعمال وسائل أخرى لها طابع النشاط الحربي أو الاقتصادي أو السياسي على النحو الذي يكون مكملاً لنشاط الدعاية^(١).

المطلب الرابع

أدلة مشروعية الحرب النفسية

الفرع الأول

الأدلة من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾^(٢). نفهم من الآية الكريمة:

إن كل ما يقوم به المسلمون في سبيل الواجب القتالي الذي فرضه الله على أعدائه مهما كان شأنه بدنياً، أو مالياً، أو فكرياً، أو استعداداً أو مرابطة، إنما هو داخل في شمول هذا الواجب، لأنه يعتبر نيلاً من الأعداء، فيه ترويع لهم، ونكاية بهم، وإضعاف لقوتهم، الأمر الذي يؤدي إلى الظفر بهم بأسهل الطرق والوسائل وبأقل الخسائر^(٣).

(١) أحمد نوفل: الحرب النفسية، ص ٣٢.

النواوي: العلاقات الدولية، ص ١٣٥.

(٢) آية رقم ١٢٠، سورة التوبة.

(٣) انظر: المرغيناني: الهداية شرح بداية المبتدي، ج ٢، ص ١٣٦، ١٣٧.

الشربيني: مغني المحتاج على متن منهاج الطالبين، ج ٢، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

ابن حزم: المحلى، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٢.

سيد قطب: في ظلال القرآن، م ٤، ج ١١، ص ٣٢٢.

محمد عزة دروزة: التفسير الحديث، ج ١٢، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

محمد جمال الدين القاسمي: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، م ٥، ج ٨،

ص ٣٥٧.

وجه الاستدلال :

تدل الآية الكريمة بمضمونها على أن الجهاد باللسان بإقامة الحجّة على أعداء الله ودعائهم إلى الله ورفع الأصوات عليهم عند اللقاء، وزعزعة ثقتهم بأنفسهم جائز شرعاً، إذا كان ذلك لأغراض جهادية إذ أن النيل كما يكون بالسلاح قد يكون باللسان أيضاً، وكما يكون بقذف القنابل والرصاص على الأعداء يكون أيضاً بقذف الرعب في نفوس جندهم بشتى صور الحرب النفسية التي سوف نتحدث عنها فيما بعد.

الفرع الثاني

الأدلة في السنة النبوية الشريفة

الدليل الأول :

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»^(١).

الدليل الثاني :

حدثنا عمر الناقد وإسحق بن إبراهيم وابن أبي عمر. كلهم عن سفيان. قال عمرو: حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة: أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه. فقال: قد كنت أنشد، وفيه من هو خير منك. ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله! أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أجب عني. اللهم أيده بروح القدس!»؟ قال: اللهم! نعم^(٢).

(١) رواه أبو داود، سنن، حديث رقم ٢٥٠٤ دار إحياء التراث العربي، ج ٣، ص ١٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه حديث ٢٤٨٥، ط ٢، ١٩٧٢، ج ٤، ص ١٩٣٢.

الدليل الثالث :

حدثنا عبيد الله بن معاذ . حدثنا أبي . حدثنا شعبة عن عدي (وهو ابن ثابت) قال : سمعت البراء بن عازب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت «اهجهم ، أو هاجهم ، وجبريل معك»^(١).

الدليل الرابع :

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب . قالا : حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه ، أن حسان بن ثابت كان ممن كثر على عائشة . فسبته . فقالت : يا ابن أختي ! دعه . فإنه كان ينافح^(٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٣).

الدليل الخامس :

حدثنا^(٤) عبد الملك بن شعيب بن الليث . حدثني أبي عن جدي . حدثني خالد بن يزيد ، حدثني سعيد بن أبي هلال عن عمارة بن غزية ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«اهجوا قريشاً ، فإنه أشد عليها من رشق بالنبل»^(٥).

فأرسل إلى ابن رواحة فقال «اهجهم» فهجاهم فلم يرض . فأرسل إلى كعب بن مالك . ثم أرسل إلى حسان بن ثابت . فلما دخل عليه قال حسان : قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه^(٦) . ثم أدلع لسانه فجعل

(١) رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٢٤٨٦ ، ط ٢ ، ١٩٧٢ ، ج ٤ ، ص ١٩٣٣ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٢٤٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٧٢ ، ج ٤ ، ص ١٩٣٣ .

(٣) ينافح : أي يدافع ويناضل . انظر صحيح مسلم - الهامش ، ج ٤ ، ص ١٩٣٣ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، حديث رقم ٢٤٩٠ ، ط ٢ ، ج ٤ ، ص ١٩٣٥ وما بعدها .

(٥) رشق النبل : بفتح الراء ، وهو الرمي بها . وأما الرشق ، بالكسر ، فهو اسم للنبل التي ترمى

دفعه واحدة ، انظر : صحيح مسلم ج ٤ ، ص ١٩٣٥ بالهامش .

(٦) الضارب بذنبه : قال العلماء : المراد بذنبه ، هنا ، لسانه . فشبه نفسه بالأسد في انتقامه =

يحرّكه . فقال : والذي بعثك بالحق ! لأفرينهم بلساني فري الأديم^(٤) . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تعجل . فإن أبا بكر أعلم قریش بأنسابها . وإن لي فيهم نسباً . حي يلخص لك نسبي » فاتاه حسان . ثم رجع فقال : يا رسول الله ، قد لخص لي نسبك . والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين .

قالت عائشة : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان .

« إن روح القدس لا يزال يؤيدك ، ما نافحت عن الله ورسوله » .

وقالت عائشة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« هجاهم حسان فشفى واشتفى^(١) » .

قال حسان :

يبارين الأعنة^(٣) مصعدات^(٤) على أكتافها الأسل^(٥) الظماء^(٦) .

= وبطشه إذا اغتاظ ، وحيث يضرب بذنبه جنيبه . كما فعل حسان بلسانه حين أدلعه ، فجعل يحركه . فشبه نفسه بالأسد ، ولسانه بذنبه ، انظر : هامش صحيح مسلم ، ج ٤ ، ص ١٩٣٥ .

(١) (لأفرينهم بلساني فري الأديم) . أي لأمزقن أعراضهم تمزيق الجلد . انظر هامش صحيح مسلم ، ج ٤ ، ص ١٩٣٦ .

(٢) فشفى واشتفى : أي شفى المؤمنين واشتفى هو بما ناله من أعراض الكفار ومزقها ونافع عن الإسلام والمسلمين .

(٣) يبارين الأعنة : يعني أن الخيول لقوتها في نفسها وصلابة أضراسها تضاهي اعنتها الحديد في القوة ، وقد يكون ذلك في مضغها الحديد في الشدة .

وقيل أنها تجاري الأعنة في اللين وسرعة الإنقياد ، وقيل : يعارضنها في الجذب لقوة نفوسها وقوة رؤوسها وعلك حداندها . انظر : صحيح مسلم - الهامش ، ج ٤ ، ص ١٩٣٧ .

(٤) مصعدات : أي مقبلات إليكم ومتوجهات . يقال : اصعد في الأرض ، إذا ذهب فيها مبتدئاً . ولا يقال للراجع . انظر : صحيح مسلم - الهامش - ص ٤ ، ص ١٩٣٧ .

تظل جيادنا متمطرات^(١) تلطمهن^(٢) بالخمير النساء
 فإن أعرضتموا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
 وإلا فاصبروا لضراب يوم يعز الله فيه من يشاء
 وقال الله: قد يسرت جنداً هم الأنصار عرضتها اللقاء^(٣)
 الدليل السادس:

حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبدة، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه
 عن عائشة. قالت: استأذن حسان بن ثابت النبي صلى الله عليه وسلم في هجاء
 المشركين^(٤).
 الدليل السابع:

قال صلى الله عليه وسلم: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»^(٥) يدل على
 جواز قذف الرعب في نفوس الأعداء بوسائله المختلفة سواء كانت بالدعاية أو
 التحييد أو زعزعة الثقة وغيرها.
 تدل هذه الأحاديث على وجوب الجهاد بالنفس والمال واللسان:

مركز بحوث الدراسات الإسلامية

= (٥) الأسل: الرماح.

(٦) والظماء: الرقاق: فكأنها لقلة مائها عطاش. وقيل المراد بالظماء العطاش لدماء الأعداء.
 انظر: صحيح مسلم - الهامش - ج ٤، ص ١٩٣٧.

(١) تظل جيادنا متمطرات: أي تظل خيولنا مسرعات يسبق بعضها بعضاً.

(٢) تلطمهن بالخمير النساء: الخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها. أي يزلن عنهن
 الغبار وهذا لعزتها وكرامتها عندهم، انظر: صحيح مسلم الهامش، ج ٤، ص ١٩٣٧.

(٣) عرضتها اللقاء: أي مقصودها ومطلوبها. العرضة من قولهم بعيد عرضه للسفر، أي قوي
 عليه وفلان عرضه للشر أي قوي عليه. يريد أن الأنصار أقوياء على القتال، همها لقاء
 القوم الصناديد. انظر: صحيح مسلم - الهامش - ج ٤، ص ١٩٣٨.

(٤) رواه مسلم في صحيحه: حديث رقم ٢٤٨٩، ط ٢، ج ٤، ص ١٩٣٤، ١٩٣٥.

(٥) انظر: صحيح البخاري، مطابع دار الشعب، ج ١، ص ٩١-٩٢.

صحيح مسلم، حديث رقم ٥٢١، ج ١، ص ٣٧٠، ٣٧١.

أ - الجهاد بالنفس وهو القتال المباشر.

ب - الجهاد بالمال: وهو بذل المال في إتمام ما يحتاج إليه في الجهاد كالسلام ونحوه وهذا ما يستفاد من آيات الجهاد التي وردت في القرآن الكريم. ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).

ج - الجهاد باللسان: بإقامة الحجة على الأعداء، ودعائهم إلى الله تعالى، ورفع الأصوات عند اللقاء وبزجرهم ترويعاً لهم ونحو ذلك من كل ما فيه نكاية للعدو. قال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾^(٢).

وتدل الأحاديث أيضاً على أن الجهاد باللسان لا يقل أهمية ولا أثراً عن الجهاد بالنفس والمال، بل قد يكون أشد أثراً على الأعداء من القتال.

نستخلص من ذلك المبادئ الأساسية الآتية:

أ - الجهاد باللسان واحد من أساليب جهاد الأعداء.

ب - الجهاد باللسان واجب وجود الجهاد بالنفس والمال.

ج - الجهاد باللسان قد يكون أسرع وأشد تأثيراً على الأعداء من القتال.

المطلب الخامس

صور الحرب النفسية في الإسلام

نذكر فيما يلي بعض الأمثلة من صور الحرب النفسية وأشكالها التي زخرت بها معارك الإسلام في عصر النبوة.

(١) آية رقم ٤١، سورة التوبة.

(٢) آية رقم ١٢٠، سورة التوبة.

أولاً: الشعارات والهتافات^(١).

اتخذ المسلمون الشعارات والهتافات لتحقيق عدة أهداف منها التعارف فيما بينهم أثناء الالتحام بالأعداء أو في الظلام ومنها إشارة انفعالات الشجاعة والحماسة في نفوسهم مع ترويع العدو وبث الرهبة والخوف في قلبه، ومن أمثلة صيحات القتال التي استخدمها المسلمون في عصر النبوة «أحد، أحد» في غزوة بدر، و«أمت أمت» في غزوة أحد، ومنها أيضاً «يا خيل الله اركبي» في غزوة ذي قرد، هذا إلى جانب التكبير الذي كان شعار كل مسلم «الله أكبر».

وما تزال كل الجيوش في هذا العصر تتخذ لرجالها صيحات للقتال تحمسهم وتحفزهم إلى الاقدام والاستبسال في المعركة، وهي تستند في هذا على إدراكها للعوامل النفسية وأثرها على إرادة القتال.

ثانياً: التفريق بين العدو وحلفائه:

في غزوة الخندق^(٢) تجمعت قوى قريش والقبائل الأخرى واليهود للقضاء على المسلمين وحدث أن جاء نعيم بن مسعود^(٣) الغطفاني^(٤) وكانت غطفان من

(١) انظر: أبو داود: سنن، دار إحياء التراث العربي، حديث رقم ٢٥٦٠، ج ٣، ص ٢٥ - ٢٦.

محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٤٧.

محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة، ط ٨، ص ٣٣٠.

عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ط ٨، ص ٢٣٠.

محمد الغزالي: فقه السيرة، ط ٧، ص ٣٧١.

بسام العسلي: فن الحرب، دار الفكر، ص ٣٥ - ٤٣.

(٢) غزوة الخندق حدثت في شوال من السنة الخامسة الهجرية، كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، وعدد أعداء المسلمين عشرة آلاف من قريش وحلفائها عدا يهود المدينة وكانت نتائج هذه الغزوة: عودة الأحزاب عن حصار المدينة المنورة خائبين.

انظر: محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ٥٤، ٥٥.

(٣) نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي.

القبائل التي انضمت إلى قريش في التجمع المذكور إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أنه أسلم ولم يعلم قومه، وطلب منه أن يأمره بما يشاء، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم:

إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت، «فإن الحرب خدعة»^(١).
فقام نعيم بهذه المهمة بأسلوب بارع حاذق بحيث حققت مهمته هدفها في
الوقية بين المتحالفين وفي إزالة الثقة فيما بينهم.

فقد ذهب نعيم إلى يهود بني قريظة - وكان لهم نديماً في الجاهلية - فقال
لهم: «قد عرفتم ودي إياكم» وقد ظاهرتم قريشاً وغطفان على حرب محمد
«وليس كان البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدر أن تتحولوا
منه، وأن قريشاً وغطفان إن رأوا نهزة (أي فرصة) وغنيمة أصابوها وإن كان غير

صحابي من ذوي العقل الراجح، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق
 واجتماع الأحزاب، فأسلم وكنم إسلامه، وعاد إلى الأحزاب المجتمعة لقتال المسلمين،
فألقي الفتنة بين قبائل قريظة وغطفان وقريش في حديث طويل، فتفرقوا، فكان نعيم بن
مسعود بعد ذلك يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم على سره، وسكن المدينة، وكان رسول النبي صلى الله عليه
وسلم إلى «ابن ذي اللحية»، ومات في خلافة عثمان، وقيل قتل يوم الجمل قبل قدوم علي
إلى البصرة.

انظر: الزركلي: الأعلام. ج ٨، ص ٤١.

(٤) غطفان: غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، من مضر، من العدنانية: جد جاهلي
قديم، بنوه بطون كثيرة ترجع أنسابها إلى ابنه «أعصر» و«ريث» منها «باهلة»، و«غني» من
نسل الأول، و«أشجع» و«بغيض» و«العزى» وهي شجرة عندها وثن قطعها خالد بن
الوليد وكسر الوثن.

انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ١٢٠.

(١) رواه البخاري في صحيحه، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٧٧، ٧٨، رواه مسلم في
صحيحه، ط ١، حديث رقم ١٧٤٠، ج ٣، ص ١٣٦٢.
رواه أبو داود في السنن، حديث رقم ٢٦٣٦، ج ٣، ص ٤٣.

ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهناً (رهائن) من أشrafهم حتى تناجزوا محمداً.

قالت بنو قريظة: أشرت بالنصح ولست عندنا بمتهم.

ثم خرج نعيم إلى قريش فقال لهم: «بلغني أن قريظة ندموا، وقد أرسلوا إلى محمد: هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجلاً من أشrafهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم، فأجابهم أن نعم. فإن طلبت قريظة منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا لهم رجلاً واحداً.. وجاء نعيم غطفان فقال لهم «أنتم أهلي وعشيرتي» وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم.

أرسل أبو سفيان وسادة غطفان إلى قريظة عكرمة بن أبي جهل^(١) في نفر من قريش وغطفان في ليلة سبت وطلبوا منهم الاستعداد للهجوم نهار السبت، ثم طلبت رهائن من قريش وغطفان قبل أن تشرع بأي هجوم.

قالت قريش وغطفان: لقد صدق نعيم.. ولما رفض طلب قريظة بإعطائها رهائن من قريش وغطفان قالت: لقد صدق نعيم.. وهكذا كانت دعوة نعيم البارعة سبباً في تفريق جمع الأعداء^(٢).

(١) عكرمة بن أبي جهل. (١٠٠ - ١٣ هـ = ٦٣٤ - ١٠٠ م): عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي: من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام، كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم عكرمة بعد فتح مكة، وحسن إسلامه، فشهد الوقائع، وولي الأعمال لأبي بكر، واستشهد في اليرموك، أو يوم مرج الصفر، وعمره ٦٢ سنة، انظر: الزركلي: الأعلام، ط ٦، ج ٤، ص ٢٤٤.

(٢) انظر: الألف المختارة من صحيح البخاري: ج ٢، ص ١٠٩ - ١١١.

البيهقي: سنن، ط ١، ج ٩، ص ١٥٠. شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، ج ١، ص ١١٩. أحمد عبد الكريم: المبادئ الأساسية للعقيدة العسكرية السوفياتية، ص ١١٢. القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٥. الشوكاني: نيل

ثالثاً: تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من محالفتها^(١).

اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سياسة تقوم على عقد الاتفاقات والمعاهدات مع مختلف القبائل لكفالة حرية الدعوة وحسن الجوار والمعاملة، وكانت النتيجة المباشرة لتلك المعاهدات حرمان قريش من قوى كان يمكنها أن تتحالف معها وتشد أزرها في صراعها مع المسلمين.

رابعاً: زعزعة ثقة العدو في إحراز النصر^(٢).

وتعتبر غزوة الفتح مثلاً فذاً في هذا المجال، فقد أدى التخطيط العبقري الذي وضعه الرسول القائد صلى الله عليه وسلم والذي اعتمد فيه إلى أقصى حد

الأوطار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج ٧، ص ٢٩٠ - ٢٩١. العسقلاني: فتح الباري، ط ٢، ج ٦، ص ١١٩. محمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج ٢، ص ٢٠١. أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ٩١. محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٤٩.

محمد الخضري: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، حققه وعلق عليه نايف العباس ومحيي الدين مستو. مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة، دمشق - بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص ١٧٠ وما بعدها.

عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١، ص ١٨٨ وما بعدها.

البوطي: فقه السيرة ٢٨٩ وما بعدها.

محمد الغزالي: فقه السيرة، ط ٧، دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية، ١٩٧٦، ص ٣١٦ وما بعدها، ١٣٠ وما بعدها.

(١) محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٥٠.

انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الفكر، ص ٣٢٨.

عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ط ٨، ص ٢٢٦.

محمد الخضري: نور اليقين، ط ٣، ص ١٠٥.

محمد الغزالي: فقه السيرة، ط ٧، ص ٣٦٠.

(٢) محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٥٠.

انظر محمد الخضري: نور اليقين، ط ٣، ص ٢٢٨.

على العوامل النفسية إلى زعزعة ثقة قريش في إمكان النصر على المسلمين، حتى قال زعيمهم أبو سفيان لقومه «يا معشر قريش»، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به».

وقد حقق تخطيط رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدافه بفتح مكة بلا قتال.

خامساً: التخويف والضغط النفسي:

كتب أبو سفيان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول:

«نريد منك نصف ثمار المدينة فإن أجبتنا إلى ذلك، وإلا ابشر بخراب الديار وقلع الآثار».

تجاوبت القبائل من نزار لنصر اللات في البيت الحرام وأقبلت الضراغم من قريش على خيل مسومة ضرام

فأجابه الرسول ﷺ بكتاب جاء في مضمونه أنه قد وصل كتاب أهل الشرك والنفاق والكفر والشقاق وفهمت مقالتهن، فوالله ما لكم عندي جواب إلا أطراف الرماح وأشفار الصفاح، فارجعوا ويلكم عن عبادة الأصنام وابشروا بضرب الحسام وبفلق الهام، وخراب الديار وقلع الآثار^(١).

أبو دجانة^(٢) الذي تناول السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد بحقه، أخذه وراح يتبختر بين الصفوف، فما أنكر عليه رسول الله

محمد الغزالي: فقه السيرة، ط ٧، ص ٤١٠.

محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة، دار الفكر، ص ٣٥٨، ٣٥٩.

عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ط ٨، ص ٢٥٣.

(١) محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٥٠، ١٥١.

(٢) أبو دجانة (٠٠٠ - ١١ هـ = ٦٣٢ م)، سماك بن خرشنة الخزرجي البياضي الأنصاري، المعروف بأبي دجانة، صحابي، كان شجاعاً بطلاً، له آثار جميلة في الإسلام، =

صلى الله عليه وسلم وإنما قال: «من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله: فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة، وإن من الخيلاء ما يبغض الله، ومنها ما يحب الله. فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال واختياله عند الصدقة، وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي^(١)».

على إن من مظاهر الكبر المحرمة في الأحوال العامة قد تزول حرمتها في حال الحرب، فمن مظاهر الكبر المحرمة أن يسير المسلم في الأرض مرحاً متبختراً، ولكن ذلك في ميدان القتال أمر حسن وليس بمكروه، فمظهر الكبر هنا إنما هو في حقيقته افتخار بعزة الإسلام على أعدائه، ثم هو من معاني الحرب النفسية التي ينبغي أن لا تفوت المسلمين أهميتها^(٢).

المطلب السادس

طرق الوقاية من الحرب النفسية في الإسلام^(٣)

أولاً: الإيمان وقوة العقيدة:

إن المؤمن لا يزيده التهديد والوعيد وأساليب الحرب النفسية المختلفة إلا

شهد بداراً، وثبت يوم أحد، وأصيب بجراحات كثيرة، واستشهد باليمامة، كانت له مشية عجيبة في الخيلاء يضرب بها المثل، نظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم في معركة، وهو يتبختر بين الصفين، فقال: هذه مشية يبغضها الله إلا في هذا المكان، وكان يقال له «ذو المشهرة» وهي درع يلبسها في الحرب، «ذو السيفين» لقتاله يوم أحد بسيفه وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل في نسبه: سمالك بن أوس بن خرشة. انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ١٣٨، ١٣٩.

(١) رواه أبو داود في السنن، طبعة دار إحياء التراث العربي، حديث رقم ٢٦٥٩، ج ٣، ص ٥٠.

(٢) انظر: محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة، ط ٨، ص ٢٤٥.

(٣) انظر: محمود شيت خطاب: اقتباس النظام العسكري، ص ١٥١ وما بعدها.

إيماناً وثباتاً واستعداداً للبذل والتضحية كأولئك الذين قال فيهم جل شأنه :
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١).

ويتفق علماء النفس وخبراء الحرب النفسية على أن الحرب النفسية «تؤثر بفعالية أكثر على الجنود الخالين من العقائد الثابتة وذوي الوعي السياسي الضيق وغير المثقفين». لذلك كان الإيمان بالنسبة للمسلمين نوراً يهديهم وكان بالنسبة للأعداء صخرة تتحطم عليها أساليبهم ومحاولاتهم للنيل من معنويات المسلمين.

ثانياً: الوعي والمعرفة بأهداف العدو وأسابيليه في الحرب النفسية :

عني القرآن الكريم أشد العناية بكشف أهداف أعداء الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين وأسابيلهم ومحاولاتهم للتفريق بين المسلمين والقضاء على وحدتهم وأمتهم وللتخذيل والتوهين وتشبيط العزائم، وأرشد المسلمين إلى طريق مواجهتها ومقاومتها والقضاء عليها.

ومن أهم وسائل تحصين المقاتل ضد آثار تلك الحرب هي الوعي والمعرفة بأساليب هذه الحرب بالإضافة إلى الإيمان والعقيدة الراسخة. ويكون ذلك :
أ - كشف محاولات التخذيل وتشبيط العزائم :

يقرر القرآن الكريم أن الدور الذي لعبه أعداء الدين في التخذيل وتشبيط العزائم وإضعاف الهمم له خطورته إذا انساق في تياره أبناء الأمة .

وفي الأمثلة التي أوردها القرآن الكريم في هذا المجال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين - عندما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالإعداد لغزوة تبوك - إلى أن يتخلفوا عن الرسول ولا ينفروا في لظى الشمس ووهج الحر،

(١) آية رقم ١٧٣ ، سورة آل عمران .

فجاءت الآية الكريمة تحذر من اتباعهم وتنبئهم أن جهنم أشد حراً وتطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ألا يستعين بهم في غزوة أخرى.

قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَكُونُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾^(١).

ب - فضح محاولات التفرقة ومقاومتها:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾^(٢).

والمعنى القرآني: إن هؤلاء أعداؤكم يعملون دائماً على تفريقكم ومحاولة إضلالكم والإيقاع بينكم. فإن تطيعوهم فإنهم لا يكتفون منكم بتفريق يوهن قوتكم ويزيل أخوتكم وإنما يظنون يتابعون عملهم ضدكم حتى تكفروا وتخضعوا لهم وتصيروا مثلهم.

﴿يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾^(٣).

وينهى الله التفرق الذي هو الضعف والفسل فيقول:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٤).

(١) آية رقم ٨١ - ٨٣، سورة التوبة.

(٢) آية رقم ١٠٠، سورة آل عمران.

(٣) آية رقم ١٠٠، سورة آل عمران.

(٤) آية رقم ١٠٣، سورة آل عمران.

ويأمر المسلمين أن يذكروا ما كانوا عليه في الجاهلية من عداوة وتقاتل
وتفرق مما تسبب عنه إضعاف شأنهم وتسلبت عدوهم عليهم.
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١).



(١) آية رقم ١٠٣ ، سورة آل عمران .

الفصل الثالث

حكم الاستخبارات العسكرية

الوقائية - المضادة -

استخبار المخذلين والمبطلين ورصد جواسيس الأعداء في
الجيش بواسطة الاستخبارات العسكرية الوقائية.

مركز بحوث ودراسات
مركز بحوث ودراسات

حكم الاستخبارات العسكرية الوقائية - المضادة -

من غير المستبعد أن تستخدم أجهزة الاستخبارات المعادية كل النوعيات من الأشخاص الذين تمكنوا من جمع المعلومات لصالحها لتستعين بهم في تحقيق أهدافها، ومن المحتمل أن يكون هؤلاء من الأجانب أو من المواطنين^(١).

وحتى يتم تطهير الجيش من مثل هؤلاء، والحد من نشاطهم، لا بد من مراقبتهم ومعرفتهم والوقوف على جلية أمرهم، وغالباً ما يتم ذلك بواسطة أجهزة الاستخبارات العسكرية الوقائية التي تعمل على كشف هؤلاء^(٢).

من صفات القيادة الواعية أن يمتد سمعها وبصرها لكل موطن من المواطن بين صفوف الجيش، لتصيد عناصر الخذلان والتشيط والنفاق، حتى لا تكون سبباً في تثبيط الهمم وكسر شوكة الصمود وتفتيت عضد الجنود، وتبعث في نفوسهم روح التمرد والفتور، فتكون من عوامل الهزيمة^(٣).

وقد وصف الله تبارك وتعالى هذا الصنف من المخذلين وبين خطورتهم فقال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَتَفَوَّنُكُمْ أَلْفِئَةً وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ

(١) انظر: أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٢٨٩.

(٢) انظر: أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ١١٦.

(٣) انظر: محمد صادق عفيفي، المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية، موسوعة الحضارة والنظم الإسلامية، مؤسسة الخانجي، شارع عبدالفريد، القاهرة، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٤) آية رقم ٤٧، سورة التوبة.

طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا^(١).

وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَاتَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا^(٢)﴾. ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا^(٣)﴾.

وقد يكون للعدو بين صفوف الجيش المسلم عملاء يكاتبونه بأخبار المسلمين، وقد يكون هؤلاء العملاء من المسلمين كما فعل حاطب بن أبي بلتعة المسلم، إذ كتب إلى قريش خبر خروج محمد صلى الله عليه وسلم لفتح مكة، وأرسل الكتاب مع امرأة لدفع الشك عنه^(٤).

وقد يكون هؤلاء العملاء والجواسيس من الأجانب الذين يعيشون بين المسلمين كأهل الذمة والمستأمنين، وقد يرسل الجواسيس من العدو نفسه ليندسوا بين صفوف الجيش المسلم لمعرفة أخباره، ومثال ذلك ما روي عن سلمة بن الأكوع إذ قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما نحن

(١) آية رقم ٨١، سورة النساء.

(٢) آية رقم ١٣، ١٤، سورة الأحزاب.

(٣) آية رقم ١٢، سورة الأحزاب.

(٤) انظر: صحيح البخاري، دار الشعب، ج ٤، ٥، ص ٧٢، ٩٩.

البخاري بشرح الكرماني، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، ج ١٣، ص ١٩ - ٢١.

البخاري بشرح عمدة القاري، ج ١٤، ص ٢٥٤. أبادي: عون المعبود، حديث رقم

٢٦٣٣، باب ١٠٨، ج ٧، ص ٣١٠ - ٣١٣. البيهقي: سنن، ج ٩، ص ١٤٦.

صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ط ١، حديث رقم ٢٤٩٤، ج ٤،

ص ١٩٤١.

أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦٥٠، ج ٣، ص ٤٧.

نتضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على جمل أحمر فأناخه ثم انتزع طلقاً - العقال من جلد - من حقه فقيد به الجمل ثم تقدم يتغدى مع القوم، وجعل ينظر وفينا ضعفة - ورقة في الظهر وبعضنا مشاة، فلما اطلع على حال المسلمين أتى جملة وأطلق قيده ثم أناخه وقعد عليه فأناره ليذهب ويخبر العدو بما رأى من أحوال المسلمين^(١)...

وإذا كان هذا هو نشاط الأعداء في إرسال الجواسيس والعملاء فإنه يتحتم على قادة الجيوش الإسلامية منع مثل هذا النشاط والحد منه إذا وجد، وذلك برصد هؤلاء العملاء والجواسيس بواسطة الاستخبارات العسكرية الوقائية بأجهزة الرصد المختلفة.

وقد كان للرسول صلى الله عليه وسلم استخبارات وقائية - عيون - يخبرونه بنوايا المنافقين والمبطلين منهم زيد بن أرقم^(٢)، إذ أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن نوايا ابن سلول^(٣) في غزوة بني المصطلق^(٤)، عندما حاول المنافقون إثارة ميزان الفتنة.

مركزية كبرى للدراسات والبحوث الإسلامية

-
- (١) انظر: أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦٥٣، ٢٦٥٤، ج ٣، ص ٤٩.
- (٢) زيد بن أرقم بن النعمان بن مالك الخزرجي الأنصاري، غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة، نزل الكوفة وشهد حنين، مات بالكوفة سنة ٦٨٥.
- انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، عدد الأجزاء ١٢، ط ١، مصطفى البابي بمصر، ج ٣، ص ٧٢٦.
- (٣) عبدالله بن أبي بن مالك الخزرجي: أحد المسلمين الأول المتهمين في عقيدتهم نعت برأس المنافقين في الإسلام، كان سيد الخزرج، توفي سنة ٩ هـ / ٦٣٠ م.
- انظر: أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، عدد الأجزاء ٥، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣ م، ج ٣، ص ٤٤٨.
- (٤) غزوة بني المصطلق: خرج الرسول صلى الله عليه وسلم في سنة ست لغزو بني المصطلق بن خزاعة. انظر: ابن هشام: سيرة، عدد الأجزاء ٤، تحقيق مصطفى السقاء، دار القلم، بيروت، ج ٣، ص ٣٠٢، ٣٠٩.

ولقد اهتم قادة المسلمين بالاستخبارات الوقائية - العيون - ومن ذلك: وصية علي بن أبي طالب واليه على مصر الحارث الأشتر^(١) بقوله: وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم قوة لهم على استعمالهم الأمانة والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان، فإن أحداً منهم بسط يده إلى خيانة، اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصابه من عمله، ثم نصيبه بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة^(٢). جاء في كتاب الوزارة للماوردي:

حق عليك أيها الوزير أن تكون لأعوانك مختبراً، ولأحوالهم متطلعاً، وبهما على نفسك وعليهم مستظهماً، لأنهم من بين من تسوسه وتستعين بهم لتعلم ما فيهم من فضل ونقص وعلم وجهل وخير وشر، وتتحرر من غرور المتشبه وتدليس التصنع، فتعطي كل واحد حقه، وافرق بين الأخيار والأشرار فإن ذا الخير يبني وذا الشر يهدم^(٣).

وروي عن أبي جعفر المنصور أنه قال لأصحابه: ما أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون أعف منهم، منهم صاحب شرط يكتب خبر هؤلاء - الأعوان على الصحة^(٤). وجاء في كتاب الخراج لأبي يوسف:

(١) مالك بن الحارث الأشتر: (٣٧ - ١٠٠ هـ = ٦٥٧ - ١٠٠٠ م) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر: أمير من كبار الشجعان كان رئيس قومه، شهر اليرموك وشهد يوم الجمل. انظر: الزركلي: الأعلام، ط ٦، ج ٥، ص ٢٥٩.

(٢) مصطفى نجيب: حماة الإسلام، الأجزاء ١، ط ١، دار الكتاب العربي، ص ١٢٣.

(٣) الماوردي، أبو الحسن الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ)، الوزارة، ط ١، مطبعة الشاعر، الناشر دار الجامعات المصرية بالإسكندرية، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م، ص ١٤٤.

(٤) الطبري: تاريخ، حوادث سنة ١٤٤.

المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٣١ - ٣٣٤.

ومما ينبغي أن تتفقده، وتأمر باختيار الثقات العدول من أهل كل بلد ومصر، فتوليهم البريد والأخبار، وكيف ينبغي ألا يقبل خبر إلا من ثقة عدل، ويجرى عليهم الرزق من بيت المال، وتتقدم إليهم في أن لا يسترؤا عنك خبراً عن رعيك ولا عن ولاتك، ولا يزيد فيما يكتبون به عليك خبراً، فمن لم يفعل منهم فنكل به، ومتى لم يكن أصحاب البريد والأخبار في النواحي ثقات عدولاً فلا ينبغي أن يقبل لهم خبر في قاض ولا وال، إنما يحتاص بصاحب البريد على القاضي والوالي وغيرهما، فإذا لم يكن عدلاً فلا يحل ولا يسع استعمال خبره ولا قبوله^(١).

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: الإمارات المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها^(٢).



(١) أبو يوسف: الخراج، ص ١٨٦.

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين، بقلم الدكتور بدوي طبانة، ج ٢، ص ٣٢١.

الفصل الرابع

صفات موظف الاستخبارات العسكرية.

- الصفة الأولى : الطاعة وتنفيذ الأوامر.
- الصفة الثانية : الشعور العميق بحب العمل وأهميته.
- الصفة الثالثة : النصيحة والصدق.
- الصفة الرابعة : الدهاء والحيل والخديعة والتمويه.
- الصفة الخامسة : الخبرة والمهارة.
- الصفة السادسة : الصبر.
- الصفة السابعة : أن تكون له درية بالأسفار.
- الصفة الثامنة : أن يكون ذو حدس صائب.
- الصفة التاسعة : الإخلاص والتضحية.
- الصفة العاشرة : حفظ الأسرار وكتمان الأخبار.
- الصفة الحادية عشرة : إمكانية تكييف النفس لأحوال المعيشة خارج أرض الوطن.
- الصفة الثانية عشرة : القدرة على التخفي والتنكر.
- الصفة الثالثة عشرة : توخي دقة المعلومات في الوقت المناسب.
- الصفة الرابعة عشرة : الشجاعة والنجدة.
- الصفة الخامسة عشرة : تعلم لغة العدو.
- الصفة السادسة عشرة : استخدام الشفرة «لغة الرموز».
- الصفة السابعة عشرة : التهذيب والأخلاق.

صفات موظف الاستخبارات العسكرية

إن كفاية أجهزة الاستخبارات ترجع أولاً إلى كفاية القائمين عليها، إن الاختيار السليم لرجال الاستخبارات على جميع درجاتهم هو أفضل الحلول للوصول إلى التقويم الصحيح في مجال عملهم، وبما أن عمل رجل الاستخبارات من أشق الأعمال وأصعبها فلا بد أن تتوافر فيمن يقوم به صفات معينة لكي يستطيع تحمل هذه المسؤولية ويؤديها بنجاح^(١).

الصفة الأولى

الطاعة وتنفيذ الأوامر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾^(٣).

(١) الرائد خالد الحب «كفاية الاستخبارات»، المجلة العسكرية، (٢٧/١١/١٩٨٤) العدد ١٩٨، ص ١٢٨، ١٣١، مديرية المطابع العسكرية، عمان. العقيد الركن عيسى إبراهيم، مميزات رجال الاستخبارات، مجلة الأقصى، مديرية التوجيه المعنوي، عمان، (٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٧ آذار ١٩٨٢ م)، العدد ٦٢٠، ص ٣٢، ٣٣.

(٢) آية رقم ٥٩، سورة النساء.

(٣) آية رقم ٢٠، سورة محمد.

قال صلى الله عليه وسلم: «السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(١).

إن الضبط أساس النظام العسكري، ولا ينجح الجيش الذي لا يتحلى بالضبط في أية معركة مهما يكن عدده كثيراً وسلاحه مؤثراً، وإذا كان هناك فرق واضح بين العسكريين والمدنيين فهو الضبط الذي يتمسك به العسكريون في كل شيء^(٢).

تحلى رجال استخبارات الرسول صلى الله عليه وسلم بالطاعة التامة له وبتنفيذ أوامره أثناء قيامهم بواجبهم الاستخباري، ومثل ذلك:

طاعة حذيفة بن اليمان لرسول الله في غزوة الأحزاب عندما أرسله لاستطلاع أخبار قريش ومن معهم أثناء حصارهم المدينة، وفي ذلك يقول حذيفة:

«إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال اذهب فأنني بخبر القوم ولا تدعهم عليّ، فلما وليت رأيت أبا سفيان فوضعت سهماً في كبد القوس فذكرت قول رسول الله «ولا تدعهم عليّ» ولو رميته لأصبته»^(٣).

(١) رواه البخاري في صحيحه، مطابع دار الشعب، م ٢، ج ٤، ص ٦٠.

(٢) انظر: اللواء الركن محمود شيت خطاب، الرسول القائد، منشورات مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٠، ص ٢٨٣. سعيد حوى: الرسول، عدد الأجزاء ٢، ج ١، ص ٢٦٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٦٠. البخاري بشرح عمدة القاري، ج ١٤، ص ١٤٢.

صحيح مسلم بشرح النووي، دار التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت، (١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م)، ج ١٢، ص ١٤٤، ١٤٦.

عبدالرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٢١٤. ظاهر القاسمي: الجهاد والحقوق الدولية، ط ١، ص ٣٤.

الصفة الثانية

الشعور العميق بحب العمل وأهميته

قال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾^(٢).

يجب أن يغمر رجل الاستخبارات شعور عميق بأهمية عمله من خلال تفهمه الكامل لطبيعة ما يؤديه من واجبات جليلة هدفها حماية البلاد وصيانة مؤسساتها الفكرية، عليه أن يكون دائم اليقظة شعاره «أنا مسلم مهم يؤدي عملاً أكثر أهمية في خدمة الوطن والمواطنين»^(٣)، وهذا يقتضي منه أن يكون مجباً لعمله راغباً فيه مقبلاً عليه غير مكره.

لوحظ في كتاب النبي لعبدالله بن جحش عندما أرسله على سرية يترصد بها عير قريش في السنة الثانية للهجرة وصايته إليه ألا يكره أحداً منهم على المسير معه بعد معرفته بوجهته^(٤)، لأن الرجل قد يحارب وهو مكره ولكنه لا يستطلع وهو مكره ثم يفيد استطلاعاً من أرسلوه، بل لعله يحرف الأخبار أو يتلقاها على غير اكتراث، أو يطلع الأعداء على أخبار من أرسلوه^(٥).

(١) آية رقم ٢٤، سورة التوبة.

(٢) آية رقم ٦١، سورة يونس.

(٣) كامل أحمد: الاستخبارات الإسرائيلية ومكافحتها، ص ١١٢.

(٤) انظر: البيهقي: سنن، دار الفكر، ج ١، ص ١٢. أبو محمد عبد الملك بن هشام

المعافري (ت: ١٣ هـ)، السيرة النبوية بهامش الروض الأنف، دار المعرفة للطباعة

والنشر، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ج ٣، ص ١٨.

النيسابوري: أسباب النزول، ص ٣٦.

(٥) سعيد حوى، الرسول، ٢، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م، =

الصفة الثالثة

النصيحة والصدق

أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه^(١) وبهذا يوصي الخليفة عمر بن الخطاب بضرورة توافر هذه الصفة في الاستخبارات العسكرية برسالته إلى سعد بن أبي وقاص: «إذا وطئت أرض عدوك فأذك العيون بينك وبينهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذب لا ينفعك خبره، وإن صدقك في بعضه، والغاش عين عليك وليس عيناً لك»^(٢).

ومن سياسة الحرب يقول الشاعر أبو بكر النصير في الأندلسي فيما نقله ابن خلدون:

واجعل من الطلاع أهل شهامة للصدق فيوم شيمة لا تخدع
لا تسمع الكذاب جاءك مرجفاً لا رأي للكذاب فيما يصنع^(٣)

كان لبعض القادة حيل مبتكرة يعرف بها صدق الطلائع، ومدى قيامها

ج ١، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

مجلة الأقصى، ١٧ آذار، ١٩٨٢، العدد ٦٢٠، ص ٣٣.

(١) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (٨٢١ هـ - ١٤١٨)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، مطابع كوستانتوماس وشركاه، القاهرة، ج ١، ص ١٢٣، ج ١٠، ص ٢١٤. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: القلقشندي، صبح الأعشى.

(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ١، ص ٤٨١، ٤٨٢. صلاح نصر، حرب العقل والمعرفة، ص ٥٥. بسام العسلي: فن الحرب، ص ٤٣.

(٣) العلامة ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، بيروت، ص ٢٧٦ - ٢٧٨. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: ابن خلدون: مقدمة.

بواجبها وهو في مقر قيادته، كان «قتيبة بن مسلم» إذا بعث طليعة جاء بلوح فنقش عليه نقشاً، ثم شقّه نصفين بطوله، فيحفظ نصفه عنده، ويعطي الطليعة نصفه، ويأمرهم بدفنه في موضع يصفه ويعينه لهم في منطقة عملهم، ثم يبعث بعدهم من يستخرجه ليعلم مدى صدقهم بعد أن يطابق بين النصفين^(١). وكان بعض القادة يستدعي صدق جواسيسه، يبذل المال فيعطي من يأتيه منهم بما يكره من الأخبار، أكثر مما يأتيه بما يحب منها، ليلزموا الدقة والصدق في الأخبار التي يجمعونها^(٢).

الصفة الرابعة

الدهاء والحيل والخديعة والتمويه

أن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة^(٣) والتمويه^(٤)، ليتوصل بدهائه إلى كل موصل، ويدخل بحيلته في كل مدخل، ويدرك مقصده من أي طريق أمكنه، فإنه متى كان قاصراً في هذا الباب أوشك أن يقع ظفر العدو به أو يعود صفر اليدين من طلبته^(٥).

(١) عبدالرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٢١٨.

ظاهر القاسمي: الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣١٠.

(٢) عبدالرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٢١٥، ٢١٦.

(٣) الخديعة: هي مجمل التدابير الرامية إلى إخفاء العمليات الحقيقية عن العدو، ودفعه إلى الانتباه نحو عمليات موهومة، وتشيت قواه بشكل يسمح للعمليات الحقيقية بتحقيق القسط الأكبر من الفاعلية والمفاجأة، وقلب توازن قوائه المادية والمعنوية.

انظر: الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ٢، ص ٥٣.

(٤) التمويه: هو مجموعة التدابير الخاصة التي يتخذها الأفراد أو القوات، للاختفاء عن رصد العدو البري والجوي بكل أشكاله (البصري والتصويري والإلكتروني)، دون أن يعطل هذا الاختفاء المهمة القتالية.

انظر: الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٣٠٩.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٢٣.

ذكر عن سعيد بن ذي حدان قال: أخبرني من سمع علياً رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ قال: «الحرب خدعة»^(١) وخدعة بالنصب وكلاهما لغة.

وفيه دليل على أنه لا بأس للمجاهد أن يخادع قرنه في حالة القتال، وإن ذلك لا يكون غدرًا منه، وقيل المراد استعمال المعاريض.

وقال عمر بن الخطاب أن في معارضض الكلام لمندوحة عن الكذب. وتفسير هذا: أن يكلم من يبارزه بشيء، وليس الأمر كما قال، ولكنه يضمخ خلاف ما يظهره له، كما فعل علي رضي الله عنه يوم الخندق، حين بارزه عمرو بن عبد ود^(٢)، قال: أليس قد ضمنت لي أن لا تستعين علي بغيرك؟ فمن هؤلاء الذين دعوتهم؟ فالتفت كالمستبعد لذلك، فضرب على ساقيه ضربة قطع رجله^(٣) ومن أمثال العرب رب حيلة أنفع من قبيلة^(٤).

قال ابن إسحاق: لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، مر حتى وقف على

ابن قتيبة الدينوري، المختار من كتاب عيون الأخبار، اختيار أحمد عبدالعليم البردوني، مراجعة إسماعيل مرزوق، الإدارة العامة للثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، ١٥ شعبان، ١٣٧٩ هـ / ١٢ فبراير ١٩٦٠ م، ص ١٤١.

(١) رواه البخاري في صحيحه، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٧٧، ٧٨.

رواه مسلم في صحيحه، ط ١، حديث رقم ١٧٤٠، ج ٣، ص ١٣٦٢.

رواه أبو داود في السنن، حديث رقم ٢٦٢٦، ج ٢، ص ٤٣.

(٢) عمرو بن عبد ود (٥٠٠ - ٥ هـ = ٦٢٧ - ٦٠٠ م): عمرو بن عبد ود العامري، من بني لؤي من قريش، فارس قرشي شجاعاً في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، وعاش إلى أن كانت وقعة الخندق، فحضرها وقد تجاوز الثمانين، فقتله علي بن أبي طالب، ولم يشتهر عمرو واشتهار غيره من فرسان الجاهلية. انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٨١.

(٣) ظافر القاسمي: الجهاد والحقوق العامة في الإسلام، ص ٤٠٦، أحمد عبدالكريم: المبادئ الأساسية للعقيدة العسكرية السوفياتية، ص ١١٢.

(٤) ابن خلدون: مقدمة، ص ٢٧٧.

شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين. فقال الشيخ: لا أخبركم حتى تخبروني ممن أنتم. فقال رسول الله: «إذا أخبرتنا أخبرناك». فقال الشيخ: خبرت أن قريشاً خرجت من مكة وقت كذا، فإن كان الذي أخبرني صدق فهي اليوم بمكان كذا، للموضع الذي به قريش، وخبرت أن محمداً خرج من المدينة وقت كذا، فإن كان الذي أخبرني صدق، فهو اليوم بمكان كذا، للموضع الذي به رسول الله ﷺ، ثم قال: من أنتم؟ فقال رسول الله: «نحن من ماء» ثم انصرف، فجعل الشيخ يقول نحن من ماء! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا^(١).

كان القادة أحياناً يظهرون لعدوهم ما يحب أن يعلمه عنهم، ليكيدوا له ويغرروا به، كما وضع الهرثمي في قوله: «لقد تحتاج في بعض الأحوال أن يعرف عدوك بعض أحوالك وتديرك لما تحاول من مكائده، فتلطف في ذلك بإظهاره لجواسيسه، ليوصلوه إليه على ما يظهر فيه^(٢)».

انطلق حذيفة حتى دخل في غمار قريش ومن معهم في الخندق فسمع أبا سفيان يقول - يا معشر قريش ليتعرف كل امرئ منكم جليسه واحذروا الجواسيس والعيون، وخشي حذيفة أن يقطن به فأخذ بيد جليسه على يمينه وقال: من أنت - معاوية بن أبي سفيان^(٣) وقبض يد من على يساره وقال من أنت؟^(٤).

(١) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ)، عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، القاهرة، محرم سنة ١٣٨٣ هـ/حزيران ١٩٦٣ م، ج ٢، ص ١٩٤. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الدينوري: عيون الأخبار. عبدالسلام: تهذيب سيرة ابن هشام، ص ١٧٠، ١٧١.

(٢) عبدالرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٢١٥.

(٣) معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠ هـ، ١٨٠ م) بن صخر بن حرب بن عبد شمس بن عبد مناف، مؤسس الدولة الأموية في الشام، ومن دهاة العرب، أسلم يوم فتح مكة ٨ هـ، =

الصفة الخامسة

الخبرة والمهارة

تعتبر الخبرة من المميزات لرجل الاستخبارات، فهو يتعلم ويكسب خبرة ويلم بالموضوع الذي يتولى معالجته وتقييمه بصورة أساسية سواء على الصعيد السياسي أو العسكري أو الاقتصادي أو العلمي.

وتتم هذه العملية بواسطة الدراسة الأكاديمية أو الدراسة في دورات عسكرية، وفي الأساس بواسطة كسب الخبرة خلال العمل بحيث يصبح رجل الاستخبارات مرجعاً معتمداً في مجال بحثه^(١).

فيستحسن أن يكون رجل الاستخبارات ممن يملك المؤهلات اللازمة لعمله، لأن الاستخبار يتطلب أذكى الرجال الذين يتحلون بالجرأة وضبط النفس مع التدريب الكافي على يد الاختصاصيين في فنون الاستخبار^(٢). والبلاد العربية تنتقي رجال استخباراتها من الذين يتميزون بالذكاء والحنكة بالإضافة إلى القوة البدنية واحتمالهم المصاعب ليصار إلى اتباعهم دورات شاقة لتعلم فنون الاستخبار وليصبحوا جاهزين للمهام التي توكل إليهم في أي مكان وزمان.

الاستخبارات الإسرائيلية لا يكفي أن يكون رجل الاستخبارات أو العميل ممن تنتقيهم الاستخبارات من الطلاب أو العسكريين أو من رجال الاستخبارات المحترفين بل إن هناك العديد من العملاء من الشخصيات السياسية، نواب أو

جعله الرسول في كتابه، وتولى قيادة الجيش في عهد أبي بكر، راجع: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٠٦، ٤٠٧.

وابن الأثير: أسد الغابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ٣٨٥ - ٣٨٨.
(٤) عبد الحميد جودة السحار، السيرة النبوية، غزوة أحد وغزوة الخندق، دار مصر للطباعة، ص ٤٦.

(١) مجلة الأقصى، العدد ٦٢٠، ص ٣٢. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٠، ص ٢١٦.
(٢) سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، ص ١٥.

وزراء في بعض الأحيان، بحيث يتم تجنيدهم على مستوى عالٍ للإتصال بهم لدى زيارتهم للبلدان التي يعملون فيها فيما بعد^(١).

فعلى ضابط الاستخبارات المسؤول أن يجمع في شخصه بين مؤهلات الاستخبار وطبيب الأمراض النفسية^(٢) لأن الاستخبارات فن وحرفة^(٣).

الصفة السادسة

أن يكون صبوراً على ما لعله يصير إليه من عقوبة إن ظفر به العدو بحيث لا يخبر بأحوال بلده، ولا يطلع على وهن في بلده، فإن ذلك لا يخلصه من يد عدوه، ولا يدفع سطوته عنه، بل ولا يعرف أنه جاسوس أصلاً، فإن ذلك ما يحتم هلاكه ويفضي إلى حتفه^(٤).

الصفة السابعة

أن يكون له دربة بالأسفار ومعرفة بالبلاد التي يتوجه إليها ليكون أغنى له عن السؤال عنها وعن أهلها، فربما كان في السؤال تنبه له وتيقظ لأمره فيكون ذلك سبباً لهلاكه، بل ربما وقع في العقوبة وسئل عن حال بلده فدل عليه وكان عيناً عليه لا له^(٥). ومعرفة الطرق والمداخل ضرورية للجاسوس وللدليل لأنه لا

(١) نفس المرجع، ص ١٦، ١٧.

برناردهاتون، مدرسة الجواسيس، ترجمة غسان، درويش، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، مطبعة معتوق إخوان، بيروت، ١٩٦٣ م، ص ٣٣.

(٢) كامل أحمد: الاستخبارات الإسرائيلية، ص ١١٢.

(٣) أحمد هاني، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٧٨. صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٠٦.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٢٤.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٤٨٢.

عباس محمود العقاد، عبقرية خالد، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، ص ١٦٤.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٢٤.

يعقل أن يسأل عن الطريق فيعرف أنه غريب، وعندها يتنبه له، فيقع في قبضة العدو وهو لا يدري^(١).

وكثيراً ما كان الرسول ﷺ يختار الأدلاء والجواسيس من أهل البلاد ومن القبائل التي لها خبرة بالمناطق، واعتادوا زيارة مناطق العدو في الجاهلية وقد استعمل الرسول ﷺ في هجرته دليلاً له معرفة بالطرق، كما استعمل في غزوة خيبر، وحسيل بن خارجة «وعبدالله بن نعيم» وكلاهما من قبيلة أشجع النجدية التي يرتاد رجالها دائماً في الجاهلية منطقة خيبر^(٢).

وها هو ذا «عبدالله بن أنيس»، بعثه الرسول ﷺ لاستطلاع أخبار هذيل وبني اللحيان من قبائل الحجاز وكان يعرف تلك القبائل لمجاورتها ديار قومه «جهينة»^(٣).

الصفة الثامنة

أن يكون ذو حدس صائب وفراصة تامة: ليدرك بوفور عقله وصائب حدسه من أحوال العدو بالمشاهدة ما كتموه من النطق به، ويستدل فيما هو فيه ببعض

(١) منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (ت: ١٠٥١ هـ)، كشف القناع على متن الإقناع، راجعه: هلال مصطفى مصيلحي مصطفى هلال، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، جـ ٣، ص ٦٥.

(٢) محمد أحمد باشميل، غزوة خيبر، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٧١ م، ص ١١١.

(٣) محمود شيت خطاب: دروس في الكتمان من الرسول القائد، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة، بيروت، ١٢٩٨ هـ/١٩٧٨، ص ٢٩، ٣٠.

محمود شيت خطاب، الرسول القائد، منشورات مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٠، ص ١٦٥.

محمد فرج: العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول، ص ٤٨٧.

محمد رضا: محمد، ص ٢٤٣.

الأمور على بعض، فإذا تفرس في قضية ولاح له أمر آخر يعضدها قوي بحته فيها بانضمام بعض القرائن إلى بعض^(١).

انظر إلى ما فعلته الجاسوسة الحسنة التي كانت تعمل كمتسولة على شواطئ قبرص حيث عرفت (عبدالله بن قيس) الذي خرج طليعة للمسلمين، فسألته الصدقة فأعطاهها فرجعت ودلت عليه، وقالت، إن عبدالله بن قيس في الميناء. ولما قيل لها بأي شيء عرفته قالت: كان كالتاجر فلما سأله أعطاني كالملك فعرفته بهذا^(٢).

الصفة التاسعة

الإخلاص والتضحية

يجب أن يكون رجل الاستخبارات مخلصاً في عمله بضمير حي واستقامة ونزاهة ومستعداً للتضحية في أي وقت يفترض فيه التضحية، ذلك أن رجل الاستخبارات قد يتعرض لشتى المغريات أثناء عمله من مال ونساء رائعات الجمال ووعود بمنصب أو مستقبل زاهر وغير ذلك كثير، وإذا لم يكن ذا قناعة ذاتية صلبة ضد كل المغريات انغمس في الملذات وغاص في أحوال الشهوات وأهمل واجبه وتعالى عن طريق الحق وأصبح شراً على دولته أو أمته لكونه حرماً من جهوده وعرضها للخطر^(٣).

فيجب أن يتصف بالشعور السامي بأداء الواجب بكل إخلاص وأمانة ووفاء

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٢٣.

(٢) محمود شلبي: حياة عثمان، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨١، ص ١٤٢، ١٤٣.

محمد راكان الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، جمعية عمال المطابع التعاونية، الطبعة الأولى، عمان، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

(٣) الرائد كامل أحمد: الاستخبارات الإسرائيلية، ص ١١٢.

سعيد الجزائري، المخابرات والعالم، ص ١٢٨.

وأن يكون عنده الإحساس بالتضحية في سبيل الغاية التي يعمل من أجلها، وتنفيذ ما أمره به قائده^(١).

عندما يكون رجل الاستخبارات مخلصاً في عمله مبتغياً به رضوان الله وخدمة وطنه لا يضره الهلاك أو الموت، ولا تهمه السمعة أو الصيت بل يكون مبتغاه أجل وأكبر من ذلك.

عن أبي موسى عبد الله بن موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاقل حمية ويقاقل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه^(٢).

حاصر (مسلمة بن عبد الملك بن مروان) المتوفى «سنة ١٢٠ هـ» حصناً، فندب الناس إلى نقب منه فما دخله أحد. فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتح الله عليه وعليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى أني قد... عزمت عليه إلا جاء، فجاء رجل فقال... أنا أخبركم عنه، إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألا تسودوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة «أي تكتبوه» ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو، قال: فذاك له. قال: أنا هو. فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب^(٣).

(١) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٧٤.

سعيد حوى، الرسول، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) انظر: رواه البخاري في صحيحه، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٢٥.

رواه مسلم في صحيحه، ط ١، حديث رقم ١٩٠٤، ج ٣، ص ١٩٣.

رواه أبو داود، حديث رقم ٢٥١٧، ج ٣، ص ١٤.

يحيى بن شرف النووي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ)، رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

(٣) انظر: ابن قتيبة الدينوري، المختار من كتاب عيون الأخبار، اختيار أحمد عبد العليم البردوني، مراجعة إسماعيل مرزوق، الإدارة العامة للثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦٠، ص ٥٧.

هذا نموذج من جند الإسلام الذين يخلصون بعملهم ويضحون بأنفسهم
ابتغاء مرضاة الله .

الصفة العاشرة

حفظ الأسرار وكتمان الأخبار

جرت العادة قبل خوض المعارك أن يهيم القائد الأذهان إليها، ولكنه
يكتُم عن الناس سرها، ويحاول معرفة الكثير من أسرار عدوه، فبقدر معرفة
القائد قوات عدوه ومدى استعدادها، وستر أسرار قواته عنه يكون ظفـره به أو
هزيمته أمامه .

عرف الرسول الله ﷺ أهمية حفظ السر فكتمه في معظم حروبه حتى عن
أصدق الناس به، ولم يصرح لأحد بقصده إلا في غزوة تبوك^(١) لبعـد الشقة وثقل
المؤونة الداعيان للاستعداد، ولصعوبة إيصال الأخبار إلى أهل تبوك .

قبل غزوة الخندق التي عبأ فيها المشركون عشرة آلاف مقاتل عدا اليهود
لمهاجمة المدينة كان النبي صلى الله عليه وسلم على علم بنوايا أعدائه من خلال رجال
استخباراته في مكة والقبائل العربية، وحفر المسلمون خندقاً حول المدينة كان
مفاجأة للمشركين حتى قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

هذه الواقعة لا تدل على نجاح استخبارات النبي ﷺ التي عرفت بنوايا
أعدائه مبكراً فحسب بل تدل على عجز استخبارات الأعداء، على الرغم من أن

(١) تبوك: بالفتح ثم الضم، واو ساكنة وكاف: موضع بين وادي القرى والشام، توجه النبي
في سنة تسع للهجرة إلى تبوك من أرض الشام، وهي آخر غزواته، لغزو من انتهى إليه أنه
قد تجمع من الروم وعاملة ولخم وجذام، فوجدهم قد تفرقوا، فلم يلقوا كيداً، وأقام النبي
تبوك أياماً حتى صالحه أهلها وبين تبوك والمدينة اثنتا عشرة مرحلة، وكان ابن عريض
اليهودي قد طوى بثر تبوك، لأنها كانت تنظم في كل وقت، وكان عمر بن الخطاب أمره
بذلك. انظر: الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، ج ٢، ص ١٤، ١٥ .

حفر الخندق استغرق حوالي عشرين يوماً في المتوسط، إذ كانت كافية جداً لرجال الاستخبارات لكشفه والإعلام عنه. كما تدل الواقعة على نجاح الاستخبارات الوقائية للمسلمين، وعلى مدى كتمانهم لسر خطتهم الحربية وحرمان العدو من الحصول على معلومات عنها.

وهذا ما عبر عنه خبير الاستخبارات والجاسوسية العالمي (لاديسلاس فاراجو) في قوله: عندما قرر المكيون (قريش)، أن يتخلصوا من محمد نهائياً عبأوا ضده قوة تتكون من عشرة آلاف مقاتل، ولم ينزعج النبي ﷺ لأنه كان قد ترك في مكة عملاء أكفاء أبلغوه بخطط أعدائه، أما خصومه فلم يكن لهم عملاء عنده، ولذلك عندما وصل المكيون إلى المدينة أذهلهم أن يجدوا خندقاً وجداراً يحيطان بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم حمياً محمد وأتباعه من العدوان^(١).

وقد عمل الرسول بمبدأ السرية في العام الثاني من الهجرة، لما خرج بأصحابه ودنا من بدر أمر أصحابه أن يقطعوا الأجراس من أعناق الإبل حتى لا يعلم بهم أحد^(٢).

بل إنه قبل بدر أبدع مبدأ لم يشهر إلا في الجيوش الحديثة وهو مبدأ الأوامر المختومة في سرية عبدالله بن جحش^(٣).

(١) انظر: محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٧٠.

محمود شيت خطاب: دروس في الكتمان، ص ٣٢.

عبد الحميد جودة السحار، السيرة النبوية، دار مصر للطباعة، ص ١٥ - ٢٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٧٢.

(٣) انظر: البيهقي: سنن، دار الفكر، ج ٩، ص ١٢.

النيسابوري: أسباب النزول، ص ٣٦.

ابن هشام: سيرة بهامش الروض الأنف، ج ٣، ص ١٨.

سعيد حوى: جند الله ثقافة وأخلاقاً، ص ١٨٢.

محمد فرج: العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول، ص ٢٣٤.

محمد المراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٤، ٣٢٥.

إن الرسالة التي كتبها حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش بخبر الفتح لدليل على عناية الرسول بكتمان الأسرار، فلما علم بالرسالة أرسل من استردها من حاملتها، وأحضر إليه حاطباً ليحاسبه، فاعتذر له مؤكداً بإسلامه فعفا عنه^(١).

أما خلفاء الرسول فقد ملئت وصاياهم إلى قادتهم بنصائح كثيرة تحض على كتمان السر ومعرفة الأسرار عن الأعداء، وأهمها وصية «أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان» حين أرسله إلى الشام ووصيته إلى خالد بن الوليد في قتال أهل الردة، ووصية عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص^(٢). وقد عمل أيضاً بهذا المبدأ خلفاء الدولة الأموية والعباسية وهو مبدأ يطابق الطبيعة البشرية. أورد الهرثمي في مخطوطه ما نصه: «قالوا ما استطعت أن تحترس في كتمان سر في حربك من ثقاتك فافعل، فإن في ذلك بإذن الله إمضاء تدبيرك، وقطع مكيدة من يكيدك، واكفف لسانك عن فلتة كل منطق، ينكشف به ما تضر من أمر أو تخفيه من سر، واعلم أنه قد يستدل بلحن المنطق على مصون السر ومكنون الضمير، ولا تستهين في إظهار سر بصغير لصغره، ولا بأعجمي لعجمته، فرب سر مصون قد أذاعوه وأطلعوا عليه»^(٣).

على رجل الاستخبارات أن يحافظ على سرية عمله وذلك بعدم البوح بشيء من طبيعة عمله حتى أمام زوجته وأعز أصدقائه^(٤). ولا يجوز إعطاء الكافرين أسرار المؤمنين، فمن أخبر المشركين بعورة المسلمين يعاقب على

(١) انظر: صحيح البخاري، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٧٢، وج ٥، ص ٩٩. صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، حديث رقم ٢٤٩٤، ج ٤، ص ١٩٤١. أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦٥٠، ج ٣، ص ٤٧.

(٢) انظر: عبدالرؤوف عون: الفن الحربي، ص ٢١٢. بسام العسلي: فن الحرب، ص ٥٣ - ٥٥.

(٣) عبدالرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ١٥٢ - ١٥٦.

(٤) انظر: كامل أحمد: الاستخبارات الإسرائيلية، ص ١١٢. سعيد الجزائري: المخابرات والعام، ص ١٢٨، ١٢٩. صلاح نصر: عملاء الخيانة، ص ٣٩.

هذا ويحبس، وقال مالك رحمه الله هو ناقض للعهد بما صنع فيقتل إن كان الكاشف من أهل الذمة^(١) وكذا إن حصل من الرسل تجسس أو خيانة جاز قتلهم^(٢). كتب أبرويز إلى ستيرويه من ملوك الفرس المعروفين بالأكاسرة: «اجعل عقوبتك على السير من الخيانة كعقوبتك على الكثير منها، فإذا لم يطمع فيك في الصغير لم يجترأ عليك في الكبير». وكان قال: «كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة»^(٣). وكانت الحكماء تقول: «سرك من دمك» والعرب تقول: «من ارتاد لسره موضعاً فقد أذاعه». أسر رجل إلى صديق له حديثاً فلما استقصاه قال له: أفهمت؟ قال: لا بل نسيته^(٤). ولقد صدق الحكيم في قوله: لسان العاقل في قلبه وقلب الجاهل في فيه^(٥). ولعل أبرز مثل هو ما فعله نابليون حين خرج بأسطوله من موانئ فرنسا الجنوبية متجهاً إلى مصر، فإنه لم يعلن عن وجهته مما جعل خروجه مشكلة أمام أعدائه، حتى أن عدوه نلسون ظل يجوب البحر الأبيض بحثاً عنه حتى علم أخيراً أنه وصل إلى الإسكندرية، ولكن جاءت معرفته بذلك بعد أن أظله الكتمان فترة سمحت لنابليون بالوصول إلى هدفه^(٦).

(١) انظر: شمس الدين السرخسي، كتاب المبسوط، دار المعرفة، الطبعة الثانية بيروت، ج ١٠، ص ٨٥، ٨٦. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: السرخسي: المبسوط. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١ هـ - ٧٦ هـ)، روضة الطالبين، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ج ١٠، ص ٣٢٩.

سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد كهذا: النووي: روضة الطالبين.

(٢) ابن حجر الهيتمي، حواشي الشرواني وابن القاسم على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، دار صادر، ج ٩، ص ٢٤١.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، المختار من كتاب عيون الأخبار، اختيار أحمد عبدالمعطي البردوني، مراجعة إسماعيل مرزوق، الإدارة العامة للثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، ١٥ شعبان ١٣٧٩ هـ / ١٢ فبراير ١٩٦٠ م، ص ٢٢. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الدينوري: المختار من كتاب عيون الأخبار.

(٤) نفس المرجع السابق.

(٥) انظر: الهروي: التذكرة الهروية.

إمكانية تكييف النفس لأحوال المعيشة خارج أرض الوطن

على رجال الاستخبارات أن يكونوا قادرين على تكييف أنفسهم لأحوال المعيشة خارج أرض الوطن وأن تكون عندهم قدرة عالية على تمييز معاني الأشياء وأهميتها، ومعرفة ما هو مطلوب وما هو الشيء الهام وغير الهام^(١).

سمع رسول الله ﷺ باجتماع هوازن^(٢) وثقيف لقتاله بقيادة مالك بن عوف^(٣)، فبعث برجل استخباراته عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي إليهم وأمره أن يدخل فيهم، ويسمع منهم ويعرف أخبارهم، ذهب عبدالله ودخل بين القوم ومكث يومين ثم عاد إلى الرسول ﷺ يخبره خبرهم، إذ قال: يا رسول الله، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا (وسمى جبلاً)، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بضلعهم ونعمهم وشبابهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم الرسول ﷺ وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله تعالى»^(٤). وأخبر

(٦) انظر: محمد فرج، العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول، دار الفكر العربي، مطبعة المدني، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٧٧ م، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

فكتور مارشيتي وجون د. ماركس، الجاسوسية تتحكم بمصائر الشعوب، الدار المتحدة للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٥ م، ص ٢٣.

(١) صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) هوازن بن منصور بن عكرمة، من قيس عيلان، من عدنان: جد جاهلي، بنوه بطون كثيرة، كانت منازلهم ما بين غور تهامة وناحية السراة والطائف، من بطونهم وقبائلهم: بنو سعد وثقيف وفروعها عقيل وهلال بن عامر. انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ١٠١.

(٣) مالك النضري (١٠٠ - نحو ٢٠ هـ = ٦٠٠ - نحو ٦٤٠ م). مالك بن عوف بن سعد بن يربوع النضري، من هوازن: صحابي، من أهل الطائف، كان رئيس المشركين يوم حنين، قاد المشركين لحرب رسول الله، أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم، شهد القادسية وفتح دمشق. انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٦٤.

(٤) انظر: أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٥٠١، ج ٣، ص ٩.

الرسول أنه تسلسل إلى مواقع القوم ووصل إلى خباء مالك بن عوف، فوجده قد جمع رؤساء القوم في مؤتمر يضع فيه لمساته الأخيرة لخطة القتال وسمعه يقول: «إن محمداً لم يقاتل قوماً قط قبل هذه المرة وإنما كان يلقي قوماً لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم، فإذا كان السحر فضعوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم ثم تكون الحملة منكم واكسروا غماد سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف، واحملوا حملة رجل واحد واعلموا أن الحملة لمن حمل أولاً^(١). هكذا استطاع الرسول أن يعرف نوايا أعدائه لقتاله من خلال رجل استخباراته الذي عاش بينهم وسمع من كلام زعيمهم حتى عرف خطته.

الصفة الثانية عشرة

القدرة على التخفي والتكر

إن رجل الاستخبارات الناجح ليس من يجيد التكر بل هو الذي لا يحتاج إلى التكر، وهو رجل حرفة أكثر منه رجلاً ذكياً وأكثر تحملاً للمشاق منه رجلاً جريئاً^(٢).

وضع الرسول ﷺ منهجاً لاستخباراته فكان ينهى عيونه عند خروجه أن يحدث أحدهم حدثاً^(٣) ينبه إليه أو يقتل أحداً إلا إذا أجبر على ذلك، ففي الخندق أرسل حذيفة بن اليمان عيناً على قريش ونهاه أن يحدث شيئاً حتى يعود إليه^(٤) وأرسل مرة أخرى عبدالله بن حدرد الأسلمي ليقيم متنكراً في هوازن حتى

(١) انظر: محمد فرج: العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول، ص ٥٨٧، ٥٨٩. محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٧٠، ١٧١.

(٢) انظر: أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٧٨. أبو بكر الهروي: التذكرة الهروية، ص ٧٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٧٢.

(٤) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم ١٧٨٨، ج ٣، ص ١٤١٤. صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، ج ١٢، ص ١٤٥، ١٤٦.

يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ففعل^(١). واستطاع نعيم بن مسعود^(٢) أن يكتسب انفعالاته دون أن يبدي أي قلق أثناء مهمته التي قام بها في الإيقاع بين قريش وغطفان من جهة وبين يهود بني قريظة من جهة أخرى حيث تمكن من خدعهم وخذلهم جميعاً. وكان يلبس لكل حالة لبوسها من الانفعالات المصاحبة بحيث لا يظهر في كل حالة إلا الاهتمام لمصلحة القوم فمرة يبدي اهتمامه وغيته على مصلحة اليهود ومرة يبدي حرصه على مصلحة قريش وغطفان دون أن تظهر عليه أية علامة تخالف ما يقوله هكذا نجح نعيم بن مسعود في الإيقاع بينهم^(٣).

جاء في كتاب صبح الأعشى :

واحذر أن يعرف عيونك في معسكرك أو يشار إليهم بالأصابع وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وأمين شرك ويكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم، واعلم أن لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة وجواسيس متجسسة وأنه لن يقع رأيته عن مكائدتك بمثل ما تكايد به وسيحتال لك كاحتيالك له، ويعد لك كإعدادك فيما تزاوله منه، ويحاولك كمحاولتك إياه فيما تقارعه عنه فاحذر أن يشهر رجل من عيونك في معسكرك فيبلغ ذلك عدوك

(١) محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٧٠، ١٧١. محمد فرج: العبقريّة العسكريّة، ص ٥٨٧. الزحيلي: العلاقات الدوليّة، ص ٦١. محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٧.

(٢) نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي: صحابي، من ذوي العقل الراجح، قدم على رسول الله سرّاً أيام الخندق واجتماع الأحزاب فأسلم وكنم أسلامه، عاد إلى الأحزاب المجتمعمة لقتال المسلمين فألقى الفتنة بين قبائل قريظة وغطفان وقريش ففرقوا، فكان نعيم بعد ذلك يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله على سره، سكن المدينة، مات في خلافة عثمان وقيل قتل يوم الجمل قبل قدوم علي إلى البصرة. انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ٤١.

(٣) انظر: صحيح البخاري، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٧٧، ٧٨. القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٦، ١٥٧. وليد الأعظمي: الرسول في قلوب أصحابه، ص ١١٩، ١٢٢. محمود شيت خطاب: اقتباس النظام العسكري، ص ١٤٨، ١٤٩.

ويعرف موضعه فيعد له المراصد ويحتال له بالمكايد فإن ظفر به فأظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وخذلهم عن تطلب الأخبار من معادنها واستقصائها من عيونها واستعذاب اجتثاثها من يبايعها حتى يصيروا إلى أخذها مما عرض من غير الثقة ولا المعاينة، لقطاً لها بالأخبار الكاذبة والأحاديث المرجفة، واحذر أن يعرف بعض عيونك بعضاً فإنك لا تأمن تواطؤها عليك وممالأتهم عدوك واجتماعهم على غشك وتطابقهم على ذلك واجتماعهم على حياتك وأن يورط بعضهم بعضاً عند عدوك^(١).

الصفة الثالثة عشر

توخي دقة المعلومات في الوقت المناسب

أصبحت مسؤولية جمع المعلومات وتثبيتها وتصنيفها وإرسالها من أهم العمليات اللازمة لوضع أي خطة عمل أيا كانت أهدافها أو أدواتها أو ميادينها، وهي عملية تتخصص لها أجهزة الاستخبارات على كل مستوى، وسواء كانت الاستخبارات حربية أو أمنية أو استراتيجية فكلها يلتقي على مطلب واحد وهو سرعة الحصول على أكبر قدر من المعلومات بأكبر قدر من الدقة والوضوح^(٢).

في غزوة بدر أراد الرسول ﷺ أن يعرف من خرج لقتاله من قريش، وكم عددهم، وأين بلغوا، فأرسل دورية من أجل الحصول على معلومات دقيقة عن قريش، فوجدت غلامين لقريش يستقيان فأتت بهما إلى النبي فتولى هو استجواب الغلامين حتى توصل إلى معلومات دقيقة منهما وفي الوقت المناسب،

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٠، ص ٢١٥.

(٢) انظر: المجلة العسكرية، العدد ١٩٨، ص ١٢٦، ١٢٨. مجلة الأقصى، العدد ٦٢٠،

ص ٣٢. أكرم دبيري، الوجيز في الحرب، ص ١٣٠، ١٣١. محمود شيت خطاب:

دروس في الكتمان من الرسول القائد، ص ١٣، ١٤.

فعرف أن قريشاً بالعدوة القصوى وأنهم بين التسعمائة والألف وعرف أن أشراف قريش جميعاً قد خرجوا للقتال^(١).

إن المعلومات السرية والحساسة والتي لا يحق لأحد الاطلاع عليها سوى الشريك في المسؤولية هي الميزة لرجل الاستخبارات، والمغزى المترتب على ذلك هو أنه كلما تكاثرت المعلومات السرية المتنوعة وازدادت، كلما كانت هذه المعلومات أكثر مصداقية وأكثر دقة وموثوقة وحديثة وتمريها جيد تعززت هذه الميزة لرجل الاستخبارات^(٢). فعلى رجل الاستخبارات أن يتوخى المعلومات الدقيقة في الوقت المناسب.

الصفة الرابعة عشرة

الشجاعة والنجدة

كان المسلمون يختارون استخباراتهم من الذين عرفوا بالشجاعة والنجدة، يحملونهم على سوابق الخيل ويرسلونهم متخفين من كل ثقل يعوق حركتهم لتحقيق خفة الحركة المطلوبة وكانت هذه صفة الرسول ﷺ وسنته في اختياره لطلائعه، ثم صارت تلك عادة المسلمين دائماً جرياً على عادتهم من الحذر والاحتراس^(٣).

(١) انظر: صحيح مسلم، ط ١، حديث رقم ١٧٧٩، ص ٣، ص ١٤٠٣، ١٤٠٤. أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦٨١، ج ٣، ص ٥٨. محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٨.

(٢) انظر: مجلة الأقصى، العدد ٦٢٠، ص ٣٢، ٣٣. صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١١٠. ترجمة جبرائيل بيطار: المظاهر العسكرية للصراع العربي الإسرائيلي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص ٣٢٣، ٣٢٤.

(٣) انظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ص ٤٨٢. عبدالرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٢١٧، ٢١٨. محمد فرج: العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول، ص ٢٣٥. أحمد عادل: الطريق إلى المدائن، ص ٣٦٣.

قال ابن عمر رضي الله عنه: «ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أَرْضَى من رسول الله ﷺ»، لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة إذ سمعوا صوتاً قوياً غير عادي فانطلق بعض الناس نحو الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وعرف الخبر، وكان راكباً فرساً عارياً والسيف في عنقه وهو ينادي أصحابه بأن لا يخافوا ولا يرتاعوا وهكذا كان أسبق القوم إلى النجدة^(١).

أوصى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائده سعد بن أبي وقاص: اختر للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك. وقال أبو بكر الصيرفي حول اختيار عناصر الطليعة:

واجعل من الطلائع أهل شهامة للصدق فيهم شيمة لا تخدع

وأوصى مروان بن محمد الخليفة الأموي عندما وجه ابنه عبدالله للقتال: تقدم في طلائعك فإنها أول مكيدتك ورأس حربك ودعامة أمرك، فانتخب لها من كل قادة وصحابة رجالاً ذوي نجدة وبأس وصرامة وخبرة... ثم انتقمهم على عينك واعرض كراعهم «خيولهم» بنفسك وإياك أن تقبل من دوابهم إلا إناث الخيل فإنها أسرع طلباً وأنجى مهرباً، وألين معطفاً وأبعد في اللحق غاية واصبر في معترك الأبطال إقداماً^(٢).

الصفة الخامسة عشرة

تعلم لغة العدو

من الضرورات الحيوية في مجال الاستخبارات معرفة لغة العدو وإجادتها سواء من حيث التحدث بها أو الكتابة^(٣) ولقد عني النبي ﷺ بذلك فأمر زيد بن

(١) محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٢٨.

(٢) انظر: بسام العسلي: فن الحرب، ص ٥٤، ٥٥.

(٣) انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ١٢٤.

ثابت^(١) بتعلم لغة اليهود، وفي هذا يقول زيد: «أمرني رسول الله فتعلمت له كتاب اليهود السريانية. وقال: «إني والله ما آمن يهود على كتابي». ثم يقول زيد: فوالله ما مر بي نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه، فكنت أكتب له إليهم وأقرأ له كتبهم إليه^(٢). وصدق من قال: «من عرف لغة قوم أمن شرهم»^(٣).

لقد اتبع المسلمون سنة الرسول ﷺ في ذلك، فكان القائد عمرو بن العاص أثناء حروبه مع الروم يحتفظ بمجموعة من عيونه الاستخبارية من الذين يتكلمون الرومية، كان يرسلهم إلى الروم متكرين ليعودوا إليه بأخبارهم^(٤).

في وقتنا الحاضر نجد الاستخبارات العالمية تهتم بدراسة لغة الغير ونجد الاستخبارات الإسرائيلية تهتم بدراسة اللغة العربية وتركز على ذلك كثيراً لأن الجيش الإسرائيلي قلق لأسباب عسكرية من ضالة عدد الذين يجيدون اللغة العربية.

وقد صدرت جريدة عال همشمار بتاريخ ١٤/٣/١٩٧٥ بعنوان باللغة

(١) زيد بن ثابت الأنصاري: (ت: ٦٧٤)، من كبار الصحابة، ولد قبل الهجرة بنحو عشر سنين، اتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم بمجرد وصوله بالمدينة، لم يشهد بدرأ ولا أحداً لصغر سنه، أحسن الكتابة بالعبرية والسريانية، فاتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كاتباً له وللوحي خاصة، وبقي كاتباً للخلفاء الثلاثة من بعده، ومنظماً لبيت المال ورئياً للديوان، حفظ القرآن وأتقنه، وكتبه في صحف في عهد أبي بكر، واشترك في جمعه في مصاحف في عهد عثمان.

انظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ص ٩٣٧.

(٢) رواه أبو داود: سنن، حديث رقم ٣٦٤٥، ج ٣، ص ٣١٨.

انظر: الطبري: تاريخ، دار القلم، بيروت، م ٢، ج ٣، ص ٤٢.

ابن الأثير: أسد الغابة، م ٢، ص ٢٧٩. أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة العاشرة، ١٩٦٩ م، الباب الخامس، ص ١٤٢.

(٣) انظر: محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري في الإسلام، ص ١٧١.

صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١١٢.

(٤) انظر: عبدالرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ٢١٣ - ٢١٥.

الإسرائيلية «أيها اليهود تعلم اللغة العربية»، وعقب ذلك تصريح اللواء شلومو غازيت رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية جاء فيه :

هناك حاجة ملحة إلى مئات الذين يعرفون اللغة العربية، إن الجيش الإسرائيلي يفتش عن هؤلاء في كل مكان، إننا نعيش في الشرق الأوسط ويجب أن نندمج فيه، لا سيما وتعيش بين ظهرانينا أقلية تشكل ١٥٪ من السكان ولا نسمح لأنفسنا بأن لا نعرف لغتها.

وبعد ذلك أخذت الاستخبارات الإسرائيلية تعد دورات خاصة لتعليم اللغة العربية تستمر عدة شهور على حساب الخدمات العسكرية، وسوف يستفاد من الناجحين بالدرجة الأولى في الاستخبارات^(١).

الصفة السادسة عشرة

استخدام الشفرة^(٢): (لغة الرموز)

في مجال الاستخبارات عادة ما تحول لغة الرسائل سواء الشفوية أو المكتوبة إلى لغة أخرى تستخدم فيها الرموز بحيث لا يستطيع فهم مضمونها سوى مرسلها والمرسلة إليه، وهو ما يعرف باسم الشفرة.

واستخدام الشفرة أمر حيوي لإخفاء محتويات الرسائل عن الأعداء، ومن المعروف أن كل طرف من الأطراف المتحاربة يضع لنفسه شفرة خاصة، وفي نفس الوقت يسعى جاهدًا بكل الوسائل لكشف سر الشفرة التي يستخدمها

(١) سعيد الجزائري: المخابرات والعالم، ص ٦١، ٤٦٢.

(٢) الشفرة: لغة اصطلاحية تستخدم في نقل الرسائل في نطاق من السرية، وذلك لمنع تسرب محتوياتها إلى الغير، والشفرة السرية تستخدم غالباً في ثلاثة ميادين هامة، الأولى: في الرسائل الدبلوماسية، والثاني: في الرسائل العسكرية أبان الحروب، والثالث: يشمل أعمال الجاسوسية.

انظر: أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ٦٨٧، ٦٨٨.

الطرف الآخر (أي حل رموزه) ومن أجل ذلك فإن الجيوش في العصر الحديث لا تستخدم شكلاً واحداً من أشكال الشفرة لمدة طويلة حتى لقد يصل الأمر إلى تغيير الشفرة عدة مرات في اليوم الواحد.

ولقد عني النبي ﷺ بهذا الأسلوب الذي تبدو فكرته واضحة تماماً في الواقعة التالية: في غزوة الخندق علم النبي أن يهود بني قريظة قد نكثوا عهدهم الذي كان بينهم وبين المسلمين وذلك بعد أن أحاط بالمدينة عشرة آلاف مقاتل من قريش والقبائل العربية الأخرى وتخرج موقف المسلمين كثيراً - وكان عدد مقاتليهم ثلاثة آلاف مقاتل - بعد أن نكث بنو قريظة عهدهم وهم داخل المدينة - فأصبح الخطر يهدد المسلمين من داخل المدينة ومن خارجها، فبعث النبي ﷺ سعد بن معاذ^(١) وسعد بن عباد^(٢) وعبدالله بن رواحة وخوات بن جبير إلى بني قريظة ليوقفوا على جلية الأمر. وأمرهم بأن (يلحنوا) بالقول حين يعودون ولا يفصحون في حالة تأكدهم من خبر نكث بني قريظة للعهد.

ولقد كان سبب حرص النبي ﷺ على استخدام هذا الأسلوب من أساليب الشفرة هو خوفه على معنويات المسلمين من الانهيار^(٣).

(١) سعد بن معاذ (٥٠٠ - ٥ هـ = ٦٢٦ - ٦٠٠ م).

سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأوسي الأنصاري: صحابي، من أهل المدينة، كانت له سيادة الأوس، حمل اللواء يوم بدر، وشهد أحداً، رمي بسهم يوم الخندق فمات من أثر جرحه، ودفن في البقيع، وعمره سبع وثلاثون سنة.

انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٨٨.

(٢) سعد بن عباد (١٤٠ - ١٤ هـ = ٦٣٥ - ٦٠٠ م).

سعد بن عباد بن وليم بن حارثة، الخزرجي، أبو ثابت، صحابي من أهل المدينة، كان سيد الخزرج، شهد بيعة العقبة، وشهد أحداً والخندق وغيرهما، وكان أحد النقباء الإثني عشر.

انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٨٥.

(٣) انظر: محمود شيت خطاب: اقتباس النظام العسكري، ص ١٧١ - ١٧٣.

محمود شيت خطاب: دروس في الكتمان من الرسول القائد، ص ٢٦، ٢٧.

الصفة السابعة عشرة

التهذيب والأخلاق

ستبقى أخلاقيات الإنسان وأمانته وسلوكه هي كلها العنصر الأساسي الذي يتحكم في باقي العناصر والركائز التي يقوم عليها العمل الصعب في الاستخبارات^(١).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

فهنا علق الفلاح على أخلاق ثلاثة: التقوى، وابتغاء الوسيلة، والجihad في سبيل الله، ولا شك أن الأخلاق الأساسية في الإسلام كثيرة، ولكن عند التبع يجد الإنسان أن كثيراً من الأخلاق التي ذكرت في الكتاب والسنة تنفرع عن أصل جامع، إن أمهات الأخلاق التي تنفرع عنها كل الأخلاق الإسلامية هي التي وصف الله عز وجل في قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا

محمود شيت خطاب: الرسول القائد، ط ٢، ص ١٥٨.

صلاح نصر: الحرب الخفية، ص ٣٤٨.

(١) الرائد خالد الحب (كفاية الاستخبارات)، المجلة العسكرية، (١٩٨٤/١١/٢٧)، العدد

١٩٨، ص ١٢٨، ١٣١، مديرية المطابع العسكرية، عمان.

كامل أحمد: الاستخبارات الإسرائيلية، ص ١١٢. سعيد الجزائري: المخابرات والعالم،

ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) آية رقم ٣٥، سورة المائدة.

وَلِيُكْمِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٣﴾ .
وقد ذكرت الآيات التي ذكرنا خمسة أخلاق هي ^(١).

١ - يحبهم ويحبونه ٢ - أذلة على المؤمنين ٣ - أعزة على الكافرين
٤ - يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ٥ - إنما وليكم الله والذين
آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.



(١) آية رقم ٥٣ - ٥٦ ، سورة المائدة .

(٢) سعيد حوى: جند الله ثقافة وأخلاقاً، ص ١٦٨ - ١٧١ .

البَابُ الثَّالِثُ

حُكْمُ الاسْتِخْبَارِ ضِدَّ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ
وَعُقُوبَةُ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ
حُكْمُ كَذِبِ رَجُلِ الاسْتِخْبَارَاتِ وَقَتْلِهِ لِنَفْسِهِ
وَاسْتِيسْلَامِهِ إِذَا أُحِيطَ بِهِ مِنْ قِبَلِ الْأَعْدَاءِ
أَوْ ظَنَّ الْهَلَاكَ فِي الثَّبَاتِ أَوِ الْفِرَارِ

الفصل الأول: حكم الاستخبار ضد دولة الإسلام وعقوبة ذلك في الإسلام.

الفصل الثاني: حكم كذب رجل الاستخبارات واستسلامه وقتله لنفسه إذا أحيط به أو ظن الهلاك في الثبات أو الفرار.

الفصل الأول

حكم الاستخبار ضد دولة الإسلام وعقوبة ذلك في الإسلام

المبحث الأول: حكم الاستخبار ضد دولة الإسلام
المبحث الثاني: عقوبة الاستخبار ضد دولة الإسلام.

المطلب الأول: عقوبة الجاسوس المسلم.

الرأي الأول: يقتل إطلاقاً.

الرأي الثاني: يقتل إذا تكرر منه التجسس.

الرأي الثالث: لا يقتل وتعزيره راجع للإمام.

أدلة الرأي الأول.

أدلة الرأي الثاني.

أدلة الرأي الثالث.

الرأي الراجع والمختار.

المطلب الثاني: عقوبة الجاسوس الذمي.

الرأي الأول: ينتقض عهده بالتجسس.

الرأي الثاني: لا ينتقض عهده بالتجسس إلا إذا شرط عليه ذلك.

الرأي الثالث: لا ينتقض عهده بالتجسس سواء شرط عليه أم لا.

أدلة الرأي الأول، ووجه الاستدلال.

أدلة الرأي الثاني.

أدلة الرأي الثالث.

الرأي الراجع والمختار.

المطلب الثالث: عقوبة الجاسوس المستأمن.

الرأي الأول: ينتقض أمان المستأمن بالتجسس.

الرأي الثاني: لا ينتقض أمان المستأمن بالتجسس.

أدلة الرأي الأول.

أدلة الرأي الثاني.

الرأي المختار.

المطلب الرابع: عقوبة الجاسوس الحربي.

أولاً: حكمه.

ثانياً: الأدلة، ووجه الاستدلال.

ثالثاً: الرأي المختار.



المبحث الأول

حكم الاستخبار ضد دولة الإسلام

إن استخبار أحوال المسلمين لصالح أعدائهم حرام بإجماع الفقهاء سواء كان ذلك بالتجسس أو بالعمالة أو بالخيانة أو بأي وسيلة أخرى^(١) وسواء حصل ذلك من المسلم أو من غيره^(٢) لورود النهي عن ذلك.

(١) انظر: الطبطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ط ٢، ج ١١، ص ٢٣٤. الشوكاني: فتح القدير، دار المعرفة، ج ٣، ص ٤٩. السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت، ج ٤، ص ٣٣. صديق حسن خان (ت: ١٣٠٧ هـ): فتح البيان في مقاصد القرآن، دار الأنصار، القاهرة، ج ٥، ص ٤٠. تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٤٣٦. محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، مطبعة الاستقلال ط ٤، ج ١٣، ص ١٧. ابن كثير: تفسير، دار إحياء الكتب العربية، ج ٤، ص ٢١٣. الخازن: تفسير، دار الفكر، ج ٤، ص ١٧١. مغنية: تفسير، ط ١، م ٧، ص ١٢٠، ١٢١. المراغي: تفسير، ج ١١، ص ١٣٨. ميد قطب: تفسير، ط ١، م ٦، ج ١٨، ص ٨٧، ٨٩. البنا: الفتح الرباني، ط ١، ج ١٧، ص ٣٤٢. المنذري: الترغيب والترهيب، دار الاتحاد العربي للطباعة، ج ٣، ص ٦٣٥. الألوسي: روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، ج ١٨، ص ٢١٦. البخاري: الأدب المفرد، ط ٢، ص ٣٧٠، ٣٧٥. الشربيني: تفسير، ط ٢، ج ٤، ص ٧٠.

(٢) انظر: شمس الدين السرخسي، المبسوط، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت، ج ١٠، ص ٨٦. المرغيناني: الهداية، ج ٢، ص ١٦٣. أبو يوسف: الخراج، ص ١٩٠. الخرشبي على مختصر سيدي خليل، دار صادر، ج ٢، ص ١١٥. الدردير: الشرح الصغير، دار المعرفة، ج ٢، ص ٣١٦. الكشناوي: أسهل المدارك، ط ٢، ج ٢، ص ١٨. مالك بن أنس: المدونة الكبرى، دار الفكر، ج ١، ص ٣٧٢. الخطاب: مواهب الجليل، ج ٣، ص ٣٥٧. الشافعي: الأم، ط ١٩٦٨، ج ٤، ص ١٦٦ =

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١). وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢). وقال تعالى : ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(٣). وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾^(٤).

ونظراً لخطورة استخبار الأعداء بأحوال المسلمين نجد فقهاء المسلمين قد فرعوا أحكاماً لهذه الجريمة كما سنرى في عقوبة الجاسوس.



الشيرازي: المذهب، دار المعرفة، جـ ٢، ص ٢٤٣. تكملة المجموع شرح المذهب، المكتبة السلفية، جـ ١٩، ص ٣٤٠. المرداوي: الإنصاف، ط ٢، جـ ٤، ص ٢٥٣. ابن قدامة المقدسي: المقنع، جـ ١، ص ٥٣٣، ٥٣٤. مغنية: فقه الإمام جعفر الصادق، ط ٢، جـ ٢، ص ٢٦٩.

- (١) آية رقم ٢٧، سورة الأنفال.
- (٢) آية رقم ٥١، سورة المائدة.
- (٣) آية رقم ١٢، سورة الحجرات.
- (٤) آية رقم ١، سورة المتحنة.

المبحث الثاني

عقوبة الاستخبار ضد دولة الإسلام

المطلب الأول

عقوبة الجاسوس المسلم

الرأي الأول^(١): أنه يقتل إطلاقاً حكمه كحكم الجاسوس الحربي أو
المشرك ليكون ذلك رادعاً له ولغيره عن التجسس على حساب المسلمين، وهو

(١) انظر: أبو يوسف: الخراج، ص ١٩٠. الحرشي على مختصر سيدي خليل وبهامشه حاشية
الشيخ علي العدوي عدد الأجزاء ٨، دار صادر، بيروت، م ٢، ج ٢، ص ١١٩.
الخطاب: مواهب الجليل، ج ٣، ص ٣٥٧. أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي:
الأم، بهامشه مختصر الإمام الجليل أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني الشافعي المتوفى
سنة ٢٦٤ هـ. رمضان سنة ١٣٨٨ هـ، ديسمبر سنة ١٩٦٨ م، ج ٤، ص ١٦٦. أبو
إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي (ت: ٤٧٦ هـ)، المذهب في
فقه الإمام الشافعي، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت،
(١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م)، ج ٢، ص ٢٤٣. بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت:
٨٥٥ هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الناشر محمد أمين دمج، إدارة الطباعة
المنيرية بالأوفست، بيروت، ج ١٤، ص ٢٩٧. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد
هكذا: العيني: عمدة القاري. ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي
بكر الدمشقي، زاد المعاد في هدى خير العباد، عدد الأجزاء ٥، حقق نصوصه شعيب
الأرنؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الأولى،
الكويت، ج ٣، ص ١١٥، ٤٢٢. الراميني: الجهاد والنظم الإسلام، ص ١٢٨. أحمد
شليبي: الجهاد والنظم، ص ١١٥. د. محمود أبو ليل: أسس العلاقات الدولية،
ص ٣٥٣. الزحيلي: العلاقات الدولية، ص ٦٥. محمد المعراوي: شريعة الحرب في
الإسلام، ص ٣٣٩.

منهج مالك وبعض أصحابه، كما حكى القاضي عياض وابن عقيل من الحنابلة أنه يقتل.

الرأي الثاني^(١): يقتل الجاسوس المسلم في حالة تكرار التجسس، واتخاذة عادة، وبه قال عبد الملك بن الماجشون من المالكية.

الرأي الثالث: لا يقتل وإنما يعززه الإمام بما يراه من ضرب أو حبس استناداً إلى فعله ﷺ في حاطب بن أبي بلتعة، فقد عفا عنه الرسول ﷺ ولم يأمر بقتله لأنه مسلم ودمه حرام، وإنما يجازى بأوجع ما يراه الإمام في العقوبة وعليه أن يطيل حبسه وينفى بموضع ينأى عن الكفار حتى يتوب. وهو مذهب الحنفية والشافعية وظاهر مذهب أحمد بن حنبل وبعض المالكية وابن قيم الجوزية والشيعة الزيدية^(٢).

بل قال الشافعي: إذا كان التجسس من الرجل ذي الهيئة بجهالة كما كان من حاطب بجهالة وكان غير متهم أحببت أن يتجافى عنه، وإن كان من غير ذي الهيئة كان للإمام تعزيره^(٣). ويرى ابن قيم الجوزية أن قتله وإبقاءه راجع للإمام^(٤).

(١) انظر: الخطاب: مواهب الجليل، ج ٣، ص ٣٥٧. الشافعي: الأم، ج ٤، ص ١٦٦. القرطبي: تفسير، ج ١٨، ص ٥٣. ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج ٣، ص ٤٢٣. محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٣٩.

(٢) انظر: أبو يوسف: الخراج، ص ١٩٠. تكملة المجموع شرح المذهب، الناشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة، م ١٩، ج ١٩، ص ٣٤٠. الشيرازي: المذهب، ج ٢، ص ٢٤٢. الشافعي: الأم، ج ٤، ص ١٦٦. إملأ السرخسي: شرح السير الكبير، ج ٥، ص ٢٠٤. ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ط ١، ١٩٧٩ م، ج ٣، ص ١١٥. صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٣ م، ج ١٢، ص ٥٢، ٥٣. البيهقي: السنن الكبرى، ج ٩، ص ١٤٧. أبادي: عون المعبود، ط ٢، ١٩٦٨، ج ٧، ص ٣١٠. أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ط ٢، ص ١١٥. أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥٣. محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٣٩. الرامي: الجهاد والنظم، ص ١٢٨.

أدلة الرأي الأول: (حدثنا علي بن عبدالله حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار سمعته منه مرتين قال أخبرني حسن بن محمد أخبرني عبيدالله بن أبي رافع^(١) قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول بعثني رسول الله ﷺ أنا^(٢) والزبير والمقداد بن الأسود^(٣) قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ^(٤) فإن بها ظعينة^(٥)، ومعهما كتاب^(٦) فخذوه منها فانطلقنا تعادى^(٧) بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة

(٣) انظر: تكملة المجموع شرح المذهب، ج ١٩، ص ٣٤٣. البيهقي: سنن، ج ٩، ص ١٤٧.

(٤) انظر: ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ط ١٩٧٩ م، ج ٣، ص ٤٢٣. محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٣٩.

(١) ابن أبي رافع: ضد الخافض واسمه أسلم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ٤٨٨.

(٢) قوله أنا: هو تأكيد الضمير المنصوب وقد توضع الضمائر بعضها موضع بعض استعارة وفي بعضها إياي. انظر: أبادي: عون المعبود، ط ٢، ج ٧، ص ٣١٠.

(٣) المقداد بن الأسود: بكسر الميم وإسكان القاف، هو ابن عمرو الكندي. انظر: أبادي: عون المعبود، ط ٢، ج ١، ص ٣٦٠.

(٤) خاخ: موضع باثني عشر ميلاً من المدينة، مكان بين مكة والمدينة. انظر: الحموي: معجم البلدان، دار صادر، ج ٢، ص ٣٣٥.

(٥) الظعينة: المرأة في الهودج ولا يقال ظعينة إلا وهي كذلك لأنها تظعن بارتحال الزوج، وقيل: أصلها الهودج وسميت بها لأنها تكون فيه، والظعينة المقصود بها هنا امرأة اسمها سارة، وقيل: سارة مولاة لقريش أو لعمران بن صيفي كما أنها مولاة لبعض بني عبدالمطلب بن مناف كانت تغني بمكة وقدمت المدينة وأعلنت إسلامها ثم ارتدت عن الإسلام، ووضع لها حاطب بن أبي بلتعة عشرة دنائير وكساها برداً وطلب لها حفظ الكتاب ما استطاعت وجعلته في إزارها أو في ذوائب شعرها وأمرها حاطب أن لا تمر بالطريق فإن به حرساً، فسلكت غير الطريق المعتاد. انظر: صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ج ٤، ص ١٩٤١. أبادي: عون المعبود، ط ٢، ج ٧، ص ٣١٠، ٣١١. البخاري بشرح الكرماني، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، ج ١٣، ص ١٩، ٢٠.

(٦) كتاب: أي مكتوب من أهل المدينة إلى أهل مكة.

(٧) تعادى: بلفظ الماضي أي تباعد وتعادى بالمضارع بحذف إحدى التاءين والمعنى تتسابق وتتسارع من العدو. انظر: صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٤١.

فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجني الكتاب^(١) فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين^(٢) الثياب، فأخرجته من عقاصها^(٣)، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة^(٤) إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟» قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ أني كنت امرأ ملصقاً^(٥) في قريش، ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من السبب فيه أن أتخذ عندهم يداً

(١) أخرجني الكتاب: أعطيه وفي لفظ هلمي الكتاب. انظر: أبادي: عون المعبود، ط ٢، ج ٧، ص ٣١١.

(٢) لتخرجن: لتظهري. انظر: أبادي: عون المعبود، ط ٢، ج ٧، ص ٣١١.

(٣) لتلقين أو لتلقين: المعنى لترمين الثياب وتتجردين عنها ليتبين لنا الأمر، وفي ذلك دليل على جواز تفتيش المرأة للحاجة إذا عرف منها الخيانة ومخاطرة الأعداء، فإن علياً والمقداد قالا للظعينة لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب أي لفتشني. انظر: ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد، ط ١، ١٩٧٩، ج ٣، ص ٤٢٣.

(٤) عقاصها: بكسر العين جمع عقيصه وهو الشعر المصفور، وقيل هي التي يتخذ من شعرها مثل الوقاية، وكل خصلة منه عقيصه، والجمع بينه وبين رواية «أخرجته من حجرتها» أي معقد الإزار، لأن عقيصتها طويلة بحيث تصل إلى حجرتها، فربطته في عقيصتها وغرزه بحجرتها. انظر: أبادي: عون المعبود، ط ٢، ج ٧، ص ٣١١.

(٥) حاطب بن أبي بلتعة: اسمه عامر، مات سنة ثلاثين. انظر: البخاري بشرح الكرماني، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، ج ١٣، ص ٢٠. يعني له حلف بمكة في بني أسد، شهد بدرًا والحديبية، وهو صحابي، نزل فيه قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾. آية رقم ١، سورة المتحنة. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عبداً لحاطب جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يشكو حاطباً وقال: يا رسول الله ليدخل حاطب النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية. انظر: الرزكلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٥٩. صحيح مسلم، حديث رقم ٢١٩٥، ج ٤، ص ١٩٤٢.

(٦) ملصقاً: أي حليفاً، ولم يكن من نفس قريش وأقربائهم. انظر: أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٣١٢.

يحمون بها قرابتي وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لقد صدقكم»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل^(١) الله أن يكون قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم^(٢)»، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٣).

يفهم من نص الحديث أن العلة في عدم قتل حاطب كونه من أهل بدر لا كونه مسلماً فقط وهذه العلة لا توجد في غيره، فلو كان الإسلام مانعاً من قتله لم يعلل بأخص منه لأن الحكم إذا علل بالأعم كان الأخص عديم التأثير^(٤)، وعلى ذلك يكون عدم قتل الجاسوس المسلم خاصاً بأهل بدر فقط، وأما عن سواهم من المسلمين فيقتل من تجسس منهم لصالح الأعداء^(٥)، لذا قال عليه السلام:

(١) لعل: استعملت استعمال عسى. انظر: البخاري بشرح الكرماني، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، ج ١٣، ص ٢٠، ٢١.

(٢) فقد غفرت لكم: المراد غفران ذنوبكم في الآخرة، وإلا فلو وجب على أحدهم حد مثلاً لم يسقط في الدنيا. انظر: أبادي: عون المعبود، م ٢، ج ٧، ص ٣١٢.

(٣) آية رقم ١، سورة الممتحنة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٧٢. رواه مسلم في صحيحه، دار إحياء التراث العربي، حديث رقم ٢٤٩٤، ج ٤، ص ١٩٤١.

انظر: البخاري بشرح الكرماني، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، ج ١٣، ص ١٩، ٢١. البخاري بشرح عمدة القاري، ج ١٤، ص ٢٥٤. أبو داود: سنن حديث رقم ٢٦٥٠، ج ٣، ص ٤٧. البيهقي: سنن، ج ٩، ص ١٤٦. أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، ضبط وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، عدد الأجزاء ١٤، الناشر محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، مطبعة المجد، ط ٢، (١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م)، حديث رقم ٢٦٣٣، باب ١٠٨، ج ٧، ص ٣١٠، ٣١١. ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ط ١، ١٩٧٩، ج ٣، ص ١١٥.

(٥) انظر: ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج ٣، ص ٤٢٣.

(٦) انظر: د. محمود أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥٥.

«وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم»^(١).

أن النبي ﷺ قد أقرَّ عمر على إرادة القتل لولا وجود المانع وهو شهود غزوة بدر فهذه العلة هي المانعة من قتل حاطب، فإذا لم تتوفر هذه العلة في غيره كان قتل الجاسوس مشروعاً لا مانع منه^(٢)، وهذه العلة وهي شهود بدر لا تتوفر في غير عصر النبوة^(٣).

ولذا فإن الجاسوس المسلم الذي يفشي بأسرار المسلمين للأعداء يقتل لإضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الأرض وربما كان بعمله هذا أضرَّ على المسلمين من المحاربين أنفسهم^(٤).

ولذلك عدّه ابن القاسم وسحنون بأنه كالزنديق، ولا تقبل توبته، وتضرب عنقه^(٥).

أدلة الرأي الثاني: أن المسلم إذا تجسّس على المسلمين لصالح الأعداء فإنه لا يقتل بفعله هذا لأول مرة إذ لا يكون المرء جاسوساً حقيقة إلا إذا اتخذ التجسس عادة وفي هذه الحالة فقط^(٦)، فإن عرف بذلك تكون عقوبته القتل، وإن لم يعرف بذلك حين قصد بذلك عزر وضرب ونكل به، وذلك إن كانت

(١) انظر: الخرشي على مختصر سيدي خليل، ج ٣، ص ١١٩.

(٢) انظر: الزحيلي: العلاقات الدولية، ص ٦٤.

(٣) محمد المعراوي: العلاقات الدولية، ص ٦٤.

(٤) انظر: القرطبي: تفسير، ج ١٨، ص ٥٣.

(٥) انظر: ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج ٢، ص ١٩٤. الخرشي على مختصر سيدي خليل

وبهامشه حاشية الشيخ علي العدوي، دار صادر، بيروت، م ٢، ج ٣، ص ١١٩.

العيني: عمدة القاري، ج ١٤، ص ٢٩٧. القرطبي: تفسير، ج ١٨، ص ٥٣.

الراميني: الجهاد والنظم العسكرية، ص ١٢٨. أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ١١٥.

(٦) انظر: القرطبي: تفسير، ج ١٨، ص ٥٣. أبو ليل: أسس العلاقات الدولية،

ص ٣٥٥.

فعلته عارضة دون قصد كما حصل من حاطب^(١)، حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة عن الدين.

أدلة الرأي الثالث: لو كان تجسس حاطب هذا يستوجب القتل كفراً أو حداً لما تركه رسول الله ﷺ ولقتله، لأن كونه من أهل بدر لا يمنع من ذلك لو كان مستوجباً له، لأن الرسول ﷺ حد بعض البدرين وعزر بعضاً كذلك^(٢).

ولذا يؤخذ من قصة حاطب وترك الرسول ﷺ له وعدم قتله أن التجسس لا يوجب القتل^(٣).

وقد استدلوا:

١ - بما رواه الحاكم في المستدرک عن فرات بن حيان أن رسول الله ﷺ أمر بقتله. وكان عيناً لأبي سفيان، فمر بمجلس الأنصار، فقال: إني مسلم، فذهبوا به إلى الرسول، فقالوا أنه يزعم أنه مسلم، فقال: «إن منكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم منهم فرات بن حيان»^(٤).

ففي هذه دلالة على عدم جواز قتل المسلم إذا تجسس لصالح الأعداء لأن الرسول ﷺ رفع عنه القتل ووكله إلى إيمانه بعدما أعلن فرات إسلامه وعرف بذلك الرسول ﷺ.

(١) انظر: ابن فرحون تبصرة الحكام، ج ٢، ص ١٩٤. صحيح مسلم بشرح النووي،

ج ١٢، ص ٦٧. القرطبي: تفسير، ج ١٨، ص ٥٢.

(٢) أقام الرسول صلى الله عليه وسلم الحد على مسطح وهو بدري، وعزر كعب بن مالك بالمقاطعة وهو بدري. انظر: د. أبو ليل: أسس العلاقات، ص ٣٥٥.

(٣) انظر: الشافعي: الأم، ط ١٩٦٨، ج ٤، ص ١٦٦. الشيرازي: المذهب، ط ٢،

ج ٢، ص ٣٤٢. تكملة المجموع شرح المذهب، المكتبة السلفية، ج ١٨، ص ٣٤٣.

ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ط ١، ج ٣، ص ٤٢٣ وما بعدها.

(٤) انظر: أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦٥٢، ج ٣، ص ٤٨. الحاكم النيسابوري،

المستدرک، الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، دمشق، بيروت، ج ٢،

ص ١١٥.

ولهذا قال أصحاب هذا الرأي: أن للإمام أن يقرر العقوبة التي يراها مناسبة ورادعة له ولغيره دون أن تصل هذه العقوبة إلى القتل^(١).

٢ - قال رسول الله ﷺ: «لا يحل قتل مسلم إلا في إحدى ثلاث خصال زان محصن فيرجم ورجل يقتل مسلماً متعمداً ورجل يخرج من الإسلام فيحارب الله عز وجل ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفي من الأرض»^(٢).

يدل هذا الحديث على أن دم المسلم لا يحل إلا بالقتل العمد أو الزنى بعد الإحصان أو بالارتداد عن الإسلام فهذه الثلاثة التي يحل بها دم المسلم، وليست الدلالة على عورة المسلمين وإفشاء أسرارهم بكفر يستوجب القتل، إذ لا يعد هذا العمل ارتداداً عن الإسلام حتى يحل به دمه. كما كان من حاطب لأن الذي حمله على هذا هو الطمع لا خبث الاعتقاد أو الارتداد عن الإسلام^(٣).

أن الجاسوس المسلم إذا تجسس على المسلمين طمعاً أو بسبب دنيوي

(١) انظر: أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠ هـ)، أحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٥، ص ٣٢٦. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: الرازي: تفسير.

أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م)، ج ١٨، ص ٥٣. أبو ليل: أسس العلاقات، ص ٣٥٦.

(٢) رواه النسائي: سنن النسائي شرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، عدد الأجزاء ٨، المجلدات ٤، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت، (١٣٤٨ هـ/١٩٣٠ م)، ج ٨، ص ٢٣. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: النسائي: سنن.

(٣) الشافعي: الأم، ج ٤، ص ١٦٦، ١٦٧. إملاء السرخسي: شرح السير الكبير، ج ٥، ص ٢٠٤١. العيني: عمدة القاريء شرح صحيح البخاري، إدارة الطباعة المنيرية، ج ١٤، ص ٢٥٧. القرطبي: تفسير، ج ١٨، ص ٥٢، ٥٣.

عارض فإن ذلك لا يخرجُه عن إيمانه إذا كان اعتقاده سليماً كما حصل لحاطب بن أبي بلتعة^(١).

أن ما حكم به الرسول ﷺ على حاطب بن أبي بلتعة بعدم قتله إنما هو حكم عام لا يختص بحاطب وحده حتى يرد دليلاً على إرادة الخصوص من كتاب الله أو سنة رسوله أو إجماع المسلمين، ومع عدم وجود الدليل على تخصيص ذلك بحاطب فإن الحكم يبقى عاماً لا مخصص له^(٢).

أن العقوبات غير الحدود، فالحدود ليس للإمام أن يعطلها بحال بخلاف العقوبات فللإمام أن يرى فيها ما يناسب المصلحة العامة^(٣).

ويؤكد الشافعي رضي الله عنه أن للإمام العفو عنه إذا كان من ذوي الهيئة كما يفهم من قصة حاطب رضي الله عنه. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال تجافوا وقيل في الحديث ما لم يكن حداً. قال عليه السلام: «أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود»^(٤)، فإذا كان هذا من الرجل ذي الهيئة بجهالة وكان غير متهم فإنه يتجافى له كما كان ذلك من حاطب بن أبي بلتعة، وإن كان من غير ذوي الهيئة كان للإمام تعزيره^(٥).

قال الطبري: إذا ظهر للإمام رجل من أهل السر أنه قد كاتب عدواً من المشركين ينذره بما أسره المسلمون فيهم من عزم ولم يكن معروفاً بالغش للإسلام وأهله، وكان ذلك من فعله هفوة وزلة من غير أن يكون لها أخوات يجوز العفو عنه كما فعل رسول الله ﷺ بحاطب عن جرمه بعد ما أطلع عليه^(٦).

(١) القرطبي: تفسير، ج ١٨، ص ٥٢.

(٢) الشافعي: الأم، ج ٤، ص ١٦٧.

(٣) الشافعي: الأم، ج ٤، ص ١٦٧.

(٤) البيهقي: سنن، ج ٩، ص ١٤٧. أبو داود: سنن، باب الحدود، ج ٤، ص ٤٤٦.

(٥) انظر: البيهقي: سنن، ج ٩، ص ١٤٧. تكملة المجموع شرح المذهب، المكتبة السلفية، ج ١٩، ص ٣٤٣.

(٦) العيني: عمدة القاري، إدارة الطباعة المنيرية، ج ١٤، ص ٢٥٧.

ولو كان شهود بدر مانعاً من إقامة الحد لما أقام عمر بن الخطاب الحد على قدامة بن مظعون وقد شهد بدرًا وعمر معني بقصة حاطب وهو أحرص الناس طاعة لرسول الله ﷺ^(١).

الرأي المختار: أن المسلم إذا تجسس على المسلمين لصالح الأعداء فترى أن يفوض أمره إلى الإمام ليرى العقوبة المناسبة لهذه الخيانة بما يتناسب وحالة الشخص الذي قام بها والخطورة التي ترتبت عليها، فإذا لم يكن للمتجسس تأويل مقبول ولا عذر معقول وإنما قام بعمله خيانة للمسلمين وخدمة للأعداء وموالة لهم فمثل هذا يجوز للإمام أن يتشدد في عقوبته حتى تصل إلى درجة القتل، وإنني أميل لرأي الإمام مالك ومن وافقه في هذا الحكم حفاظاً على المصلحة العامة للمسلمين، لذا يجب على كل من يرى ويطلع من المسلمين على أمر الجاسوس أن يخبر الدولة عنه حذراً ودفعاً لشره وضرره لترى رأيها المناسب فيه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ آية رقم ١، سورة الممتحنة.

وإذا كان المتجسس المسلم قد قام بعمله عن تأويل مقبول أو ظرف خاص أحاط به ودفعه على عمله كما كان شأن حاطب بن أبي بلتعة فإن كان المتجسس على هذه الشاكلة أو ما يعاثلها لم يجز للإمام قتله كما لم يقتل الرسول ﷺ حاطب بن أبي بلتعة وقرات بن حيان. ولم يقتل أبا لبابة الذي كان مناصحاً لليهود خلال غزوة بني قريظة إذ أشار بيده إلى الذبح عندما استشاره بنو قريظة في النزول على حكم سعد بن معاذ.

(١) انظر: تكملة المجموع شرح المذهب، ج ١٩، ص ٣٤٣. شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني المعروف بابن حجر (٧٧٣/٨٥٢ هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٢٠. البيهقي: سنن، ج ٩، ص ١٤٧.

وإذا لم يجر قتل مثل هذا المتجسس فإنه يجوز للإمام تعزيره بما يراه الإمام مناسباً ورادعاً له ولأمثاله.

وإذا كان أمر الجاسوس المسلم مبهماً فإن أمره يرجع إلى الإمام فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله وإن كان استبقاؤه أصلح استبقاه والله أعلم.

المطلب الثاني

عقوبة الجاسوس الذمي^(١)

للفقهاء في عقوبة الذمي إذا تجسس على عورات المسلمين لصالح الأعداء أو آوى عيونهم ثلاثة أقوال هي :

الرأي الأول^(١) : ينقض عهده ويخير فيه الإمام بين القتل أو الصلب أو الاسترقاق وبه قال الإمام مالك والأوزاعي وأحمد في الراجح عنه وأبو يوسف والشيعة الزيدية والإمامية.

(١) الذمي : الذمة في اللغة الأمان والعهد، وأهل الذمة هم المعاهدون من اليهود والنصارى وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام بمقتضى عقد ذمة يعقد معهم وبهذا العقد يصبح مواطناً له الحقوق وعليه الواجبات. انظر: عبدالكريم زيدان: أحكام أهل الذمة، ص ٢٤٠. الكاساني: بدائع الصنائع، ج ٩، ص ٤٣٣٢. تقي الدين الشافعي: كفاية الأخيار، ط ٢، ج ٢، ص ١٣٤. محمد جواد مغنية: فقه الإمام جعفر الصادق، ط ٢، ج ٢، ص ٢٦٩.

(٢) أحمد بن محمد بن أحمد الدردير، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك وبهامشه حاشية أحمد بن محمد الصاوي المالكي، أخرج أحاديثه د. مصطفى كمال وصفي، عدد الأجزاء ٤، دار المعرفة، القاهرة، ج ٢، ص ٣١٦. أبو بكر الكشناوي، أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في فقه الإمام مالك، دار الفكر، الطبعة الثانية، ج ٢، ص ١٨. الخرشبي على مختصر سيدي خليل، ج ٣، ص ١١٩. مالك بن أنس: المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون بن سعيد التلوخي عن الإمام عبدالرحمن بن قاسم ومعها مقدمات ابن رشد، عدد الأجزاء ٤، دار الفكر، بيروت، (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)، ج ١، ص ٣٧٢. تكملة المجموع شرح المذهب، ج ١٩، ص ٣٤٢، ٤٥٠ =

الرأي الثاني^(١): أن الجاسوس الذمي لا ينقض عهده بالتجسس إلا أن يكون شرط عليه ولكن يوجع عقوبة ويبطال حبسه وهو قول الشافعية وقول مرجوح عند الحنابلة.

الرأي الثالث^(٢): لا ينقض عهده سواء شرط عليه أم لا، ويوجع عقوبة في كلتا الحالتين وبه قال الحنفية وبعض الشافعية.

علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المجل أحمد بن حنبل، صححه وحققه محمد حامد، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت، (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)، ج ٤، ص ٢٥٣. موفق الدين بن قدامة المقدسي: المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل ج ١، ص ٥٣٣، ٥٣٤. موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمود بن قدامة (ت: ٦٣٠ هـ)، المغني والشرح الكبير على مختصر الإمام أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبدالله بن أحمد الخرقى (ت: ٣٣٤ هـ)، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت، (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)، ج ١٠، ص ٦٠٨. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير. محمد جواد مغنية، فقه الإمام جعفر الصادق، ط ٢، بيروت، ١٩٧٧، ج ٢، ص ٢٦٩. أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت: ٨٤٠ هـ)، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار وبهامشه كتاب جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجنة البحر الزخار للعلامة المحقق محمد بن يحيى مهران الصعدي (ت: ٩٥٧ هـ)، مؤسسة الرسالة، ط ٢، بيروت، (١٣٩٤ هـ / ١٩٧٥ م)، ج ٦، ص ٤٥١. صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢، ص ٦٧. أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٣١٤. د. أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥٧.

(١) انظر: أبوزكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ولد ٦٣١ وتوفي ٦٧٦، روضة الطالبين، المكتب الإسلامي، ج ١٠، ص ٦٠٨. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: النووي: روضة الطالبين. الشريبي: مغني المحتاج، ط ١٩٧٨ م، ج ٤، ص ٢٥٨. الشيرازي: المهذب، ج ٢، ص ٢٥٨. ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٦٠٨. صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢، ص ٦٧. أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٣١٤. أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥٧.

(٢) انظر: المرغيناني: الهداية، ج ٢، ص ١٦٣. النووي: روضة الطالبين، ج ١٠، ص ٣٢٩. علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (ت: ٥٨٧ هـ)، بدائع =

أدلة الرأي الأول:

١ - حديث فرات بن حيان^(١).

حدثنا محمد بن بشار قال حدثني محمد بن محبوب أبو همام الدلال قال حدثنا سفيان بن سعيد عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن فرات بن حيان أن رسول الله ﷺ أمر بقتله وكان عيناً^(٢) لأبي سفيان وكان حليفاً لرجل من الأنصار فمر بحلقة من الأنصار فقال إني مسلم، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله: إنه يقول إني مسلم، فقال رسول الله ﷺ: «إن منكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم منهم فرات بن حيان»^(٣).

وجه الاستدلال:

أن رسول الله ﷺ أمر بقتل فرات باعتباره عيناً لأبي سفيان وكان يعيش في كنف المسلمين، ويعتبر من رعايا الدولة الإسلامية وكان يعمل جاسوساً

الصنائع في ترتيب الشرائع، الناشر زكريا علي يوسف، مطبعة الإمام، القاهرة، ج ٩، ص ٤٣٣٣، ٤٣٣٤. . سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الكاساني: بدائع الصنائع. تكملة المجموع شرح المذهب، ج ١٩، ص ٣٤٢. ابن قدامة المقدسي: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٦٠٨. أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٣١٤. أبو ليل: أسس العلاقات، ص ٣٥٧.

(١) فرات بن حيان: صحابي جليل، هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل يغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض الرسول، فنزل الكوفة وبقي فيها حتى مات. انظر: أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٣١٤.

(٢) عيناً: أي جاسوساً، وسمي الجاسوس عيناً لأن عمله بعينه، أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها، كأن جميع بدنه صار عيناً. انظر: أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٣١٤.

(٣) انظر: أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦٥٢، ج ٣، ص ٤٨. الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ص ١١٥. أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٣١٣. تكملة المجموع شرح المذهب، ج ١٩، ص ٣٤٢. أبو ليل: أسس العلاقات، ص ٣٥٧.

لعدوهم، فلما عرف الرسول الله ﷺ أنه ينقل أخبار المسلمين إلى عدوهم أمر بقتله بسبب تجسسه على المسلمين، ولكن عندما أعلن إسلامه أمر الرسول الله عليه الصلاة والسلام برفع القتل عنه، فهذا يدل على جواز قتل الجاسوس الذمي الذي يتجسس على المسلمين لصالح أعدائهم، ففرات كان من أهل الذمة، وكان عيناً لأبي سفيان وهذا يدل بوضوح على أن التجسس ينقض العهد ويستوجب القتل، إذ لم يرفع حكم القتل عن فرات إلا بإعلانه الإسلام^(١).

٢ - الجاسوس يعتبر عيناً للمشركين على المسلمين، فإذا فعل ذلك أهل الذمة انتقض عهدهم، فالصلح معهم نافذ على ما أنفذه عمر بن الخطاب إلى يوم القيامة، وإن من شروط الصلح عليهم أن لا يدلوا على عورات المسلمين ولا يشترط ذلك عليهم بل يكتفى بشرط عمر رضي الله عنه، فإذا وجد في بلاد الإسلام من أهل الذمة من يكاتب العدو بعورات المسلمين يقتل ليكون عبرة لغيره وينقض عهده^(٢).

٣ - ورد في كتاب الأحكام السلطانية لأبي يعلى: أن على أهل الذمة أن يلتزموا ترك ما فيه ضرر على المسلمين. وهي (الاجتماع على قتال المسلمين، وأن لا يزني بمسلمة ولا يصيها باسم نكاح ولا يفتن مسلماً عن دينه، ولا يقطع عليه الطريق، ولا يأوي للمشركين جاسوساً ولا يعاون على المسلمين بدلالة،

(١) انظر: تكملة المجموع شرح المذهب، ج ١٩، ص ٣٤٢. أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥٨.

(٢) انظر: أبو يوسف: الخراج، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٣٩٢ هـ، ص ١٥٩. عبدالغني بن عبدالواحد بن سرور المقدسي: (ت: ٦٠٠ هـ)، العدة شرح العمدة، ط ٢، ١٣٨٢ هـ، ص ٦١٩. ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبدالله (ت: ٧٥١ هـ)، أحكام أهل الذمة، مطبعة جامعة دمشق، ط ١، ١٩٦١ م، ج ٢، ص ٧١٤، ٨٠١.

أي لا يكاتب المشركين بأخبار المسلمين، ولا يقتل مسلماً ولا مسلمة) فإذا فعلوا ذلك أو شيئاً منه نقض العهد في أحد الروايتين.

قال ابن القاسم ينتقض عهد الذمي بهذه الثمانية أشياء، ولا فرق بين أن تشرط عليه أم لم تشرط^(١).

فإذا تجسس الذمي على المسلمين أو آوى عيناً للمشركين انتقض عهده وخرج من الذمة وجرى عليه أحكام الحربيين، وما دام انتقض عهده فالإمام مخير فيه ويعتبر كأسير المحاربين لأن نقض العهد يوجب الرجوع للأصل من التخيير بين العن والفداء والصلب والاسترقاق وهذا موكل إلى رأي الإمام^(٢).

أدلة الرأي الثاني:

أن عقد الذمة لا ينتقض بالتجسس ما لم يشترط انتفاضه به، فإذا لم يشترط الكف عن التجسس وكل ما فيه ضرر على المسلمين في العقد لم ينتقض عهدهم، وذلك لبقاء ما يقتضي استمرار العقد من دفع الجزية والتزام الأحكام والكف عن القتال، وأما إذا شرط عليهم الكف عن ذلك في عقد الذمة ففيه وجهان^(٣).

(١) أبو يعلى الحسين الفراء الحنبلي (ت: ٤٥٨ هـ) الأحكام السلطانية، ط ١، (١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٨ م)، ص ١٥٨، ١٥٩. انظر: تقي الدين الشافعي: كفاية الأخيار، ط ٢، ج ٢، ص ١٣٦. تكملة المجموع شرح المذهب، ج ١٩، ص ٤٢٣. ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٦٠٨.

(٢) انظر: الدردير: الشرح الصغير، ج ٢، ص ٣١٦. الدسوقي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت: ١٢٣٠ هـ)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، طبع بدار إحياء التراث العربي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ج ٢، ص ٢٠٥. ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٦٠٩.

(٣) انظر: النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦ هـ)، روضة الطالبين، عدد الأجزاء ١٢، ج ١٠، ص ٣٢٩. تقي الدين الحصني الدمشقي الشافعي، كفاية الأخيار، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٣٧ م، ج ٢، ص ١٣٥. أبو إسحاق إبراهيم بن علي،

أحدهما: أنه لا ينتقض به العهد لأنه لا ينتقض به العهد من غير شرط فلا ينتقض به مع الشرط كإظهار الخمر والخنزير وترك الغيار.

الثاني: أنه ينتقض به العهد لما يلي:

١ - روي أن نصرانياً استكره امرأة مسلمة على الزنا فرفع إلى أبي عبيدة بن الجراح فقال: ما على هذا صالحناكم وضرب عنقه.

٢ - لأن عقوبة هذه الأفعال تستوفى عليه من غير شرط فوجب أن يكون لشرطها تأثير ولا تأثير إلا أن تكون ناقضة للعهد.

ولذلك لا ينقض عهد أهل الذمة عند بعض الشافعية والحنفية إلا بالامتناع عن دفع الجزية أو الامتناع عن التزام أحكام المسلمين أو قتالهم لأن ذلك ينافي الأمان من الجانبين الذي يقتضيه عقد الذمة.

واستدلوا أيضاً بأن التجسس لا يزول به إيمان المسلم كما يؤخذ من قصة حاطب بن أبي بلتعة إذ سمّاه الله مؤمناً قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(١)، كما سمى أبا لبابة بن عبد المنذر حين استشاره بنو قريظة مؤمناً فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا﴾^(٢)، فالتجسس إذا فعله المسلم على المسلمين لا يزول به إيمانه فكذلك إذا فعله الذمي لا يكون ناقضاً لعهد^(٣).

الفيروز آبادي الشيرازي (ت: ٤٧٦ هـ) المذهب، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ج ٢، ص ٢٥٧. تكملة المجموع شرح المذهب، ج ١٩، ص ٤٢٣، ٤٢٤. ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٦٠٨، ٦٠٩.

(١) آية رقم ١، سورة الممتحنة.

(٢) آية رقم ٢٧، سورة الأنفال.

(٣) انظر: شمس الدين السرخسي، المبسوط، دار المعرفة، الطبعة الثانية، لبنان، بيروت،

ج ١٠، ص ٨٦. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: السرخسي: المبسوط.

أبوليل: أسس العلاقات، ص ٣٥٧.

أدلة الرأي الثالث:

استدل الفريق الثالث لرأيهم بما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(١) التي نزلت بحق حاطب بن أبي بلتعة، إذ سمّاه الله مؤمناً.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ﴾^(٢).

في أبي لبابة بن المنذر حين استشاره بنو قريظة ماذا يصنع رسول الله بهم، فأشار بيده إلى عنقه أي أنه سيضرب أعناقهم، فلم يكن فعله هذا ناقضاً لإيمانه.

فإذا كان إيمان المؤمن لا ينتقض ولا يزول بالتجسس فكذلك لا يزول به أمان الذمي، ولا ينتقض عهده، ولم يفرق الحنفية في ذلك بين الشرط وعدمه لأنه يبقى في كلتا الحالتين معصية دون الكفر، والذمة تبقى مع الكفر فتبقى مع ما هو دونه^(٣).

وأما الشافعية: فالتجسس عندهم ينقض بالشرط لمكان تأثير الشرط على العقد^(٤).

٢ - أن تجسس الذمي على المسلمين يعتبر معصية من المعاصي التي ارتكبتها الذمي وهو دون الكفر في القبح والحركة، فإذا بقيت الذمة مع الكفر فبقاؤها مع المعصية أولى^(٥).

(١) آية رقم ١، سورة الممتحنة.

(٢) آية رقم ٢٧، سورة الأنفال.

(٣) انظر: السرخسي: المبسوط، ج ١٠، ص ٨٦، ٨٧. المرغيناني: الهداية، ج ٢، ص ١٦٣.

(٤) انظر: الشيرازي: المهذب، ج ٢، ص ٢٥٧. تقي الدين الشافعي: كفاية الأخيار، ١٩٣٧ م، ج ٢، ص ١٣٥. السرخسي: المبسوط، ج ١٠، ص ٨٦.

(٥) انظر: المرغيناني علي بن أبي بكر عبد الجليل الرشداني (ت: ٥٩٣ هـ)، الهداية شرح بداية =

ثم أن الذمي لو قطع الطريق وأخذ المال لا ينتقض عهده بذلك وإن كان قطع الطريق محاربة لله ورسوله بالنص قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(١)، فإذا كان عهد الذمي لا ينتقض بقطع الطريق وأخذ المال، فالأولى أن لا ينتقض عهده بالتجسس^(٢).

فلا ينتقض عهدهم إلا أن يلحقوا بدار الحرب أو يغلبوا على موضع فيحاربوننا لأنهم صاروا حرباً علينا فيعري عقد الذمة عن الفائدة وهو دفع شر الحرب^(٣).

٣ - إذا شرط على أهل الذمة ترك التجسس فإن عهدهم لا ينتقض به إذا فعلوه كإظهار الخمر والخنزير مع استمرار دفع الجزية والتزام أحكام المسلمين إذ المعتبر بشرطها عليهم هو تركها والامتناع عنها وليس انتقاض العهد بفعلها، ومثلها لا يخل بمقصود العقد^(٤).

وما دام عقد الذمي لا ينتقض بالتجسس فإن أمره يرجع إلى الإمام في تقدير العقوبة اللازمة، فإن رأى الإمام إيقاع العقوبة عليه فعل بما يحقق مصلحة المسلمين ويدفع الضرر عنهم^(٥).

المبتدي، ج ٢، ص ١٦٣. علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني (ت: ٥٨٧ هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الناشر زكريا علي يوسف، مطبعة الأهرام، القاهرة، ١٩٧٢ م، ج ٩، ص ٤٣٣٤.

(١) آية رقم ٣٣، سورة المائدة.

(٢) شمس الدين محمد بن سهل السرخسي، شرح السير الكبير، تحقيق عبدالعزيز أحمد، صلاح الدين المنجد، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، ١٩٧٢، ج ٥، ص ٢٠٤١.

(٣) المرغيناني: الهداية، ج ٢، ص ١٦٣.

(٤) انظر: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٦٠٨. الكاساني: بدائع الصنائع، ج ٩، ص ٤٣٣٤.

(٥) انظر: السرخسي: المبسوط، ج ١٠، ص ٨٥، ٨٧. علي الصعدي العدوي، حاشية

الرأي المختار: أن الذمي إن تجسس وقد شرط عليه أن لا يفعل ذلك انتقض عهده عملاً بالشرط، وإن لم تشرط عليه لا ينتقض عهده لأنه صار من أهل دار الإسلام ويخضع في ذلك لقانون الإسلام، ولا تلازم بين جريمة التجسس وذمة الذمي حتى ينقض عهده ولكن يعزر في هذه الحالة بما يراه الإمام مناسباً من نفي أو حبس أو ضرب أو قتل إذا اقتضت الضرورة كما هو مذهب أبي يوسف، ولأن الرسول ﷺ أمر بقتل فرات بن حيان، وكان ذمياً، ففيه دليل على جواز قتل الجاسوس الذمي إن رأى الإمام ذلك حتى يقضي على هذه الجريمة الخطيرة وتصان أسرار المسلمين*.

المطلب الثالث

عقوبة الجاسوس المستأمن^(١)

الرأي الأول: ذهب المالكية إلى القول بنقض أمانه بالتجسس، لأن الأمان يقتضي ألا يفعل شيئاً منه، فإذا فعله انتقض أمانه لمخالفته موجب عقده^(٢). والظاهر من مذهب الحنابلة أنهم يقولون بنفس القول وذلك قياساً على

على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد، وهي حاشية العلامة المحقق الشيخ علي الصعيدي العدوي على شرح الإمام أبي الحسن المسمى كفاية الطالب السرياني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، عدد الأجزاء ٢، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ج ٢، ص ٧. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: العدوي: حاشية. صالح عبد السمیع الأبى الأزهری، الثمر الدانی فی تقریب المعانی شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المكتبة الثقافية، بيروت، ص ٤١٤، ٤١٥. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الأبى: الثمر الداني.

* انظر: الدكتور محمود أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥٨.

(١) المستأمن: الطالب للأمان، والاستئمان طلب الأمان. انظر: مختار الصحاح، ص ٢٧. المصباح المنير، ص ٥٢٢.

(٢) انظر: أبو البركات سيدي أحمد الدردير (ت: ١٢٠١ هـ)، الشرح الكبير على مختصر خليل، مطبوع بهامش حاشية الدسوقي، ج ٣، ص ١١٩. أبو ليل: أسس العلاقات، ص ٣٥٨.

ما قالوه في الجاسوس الذمي في الأشهر عنهم، لأن أمان المستأمن ليس بأقوى من أمان الذمي^(٣). وقال الأوزاعي يكتفى بنذ العهد إليه وإخراجه من دار الإسلام^(٤).

فعلى هذا من دخل الإسلام بأمان لمدة محددة ثم تبين أنه جاسوس فإنه يقتل إلا أن يرى الإمام استرقاقه وينقض بذلك أمانه، قال بذلك أبو يوسف والأوزاعي والحنابلة في الأظهر عنهم والمالكية^(٥).

الرأي الثاني: ذهب الشافعية^(٦) والحنفية^(٧) إلى عدم انتقاض أمان

(١) أبو يعلى (ت: ٤٥٨ هـ): الأحكام السلطانية، ط ٢، (١٣٥٦ هـ/١٩٣٨ م)، ص ١٦١.

(٢) محمد عبدالله الجبوري، فقه الإمام الأوزاعي، مطبعة الإرشاد، بغداد، (١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م)، ج ٢، ص ٤٠٦.

(٣) انظر: ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق د. صبحي صالح، مطبعة جامعة دمشق، ط ١، ١٩٦١، ج ٢، ص ٨٠٩. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠)، اختلاف الفقهاء كتاب الجهاد والجزية والمحاربين، نشره يوسف شخت، ١٩٣٣ م، ص ٥٨، ٥٩. التاج الإكليل لمختصر خليل، مطبوع بهامش مواهب الجليل، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا، مصورة، ج ٣، ص ٣٥٧. أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٣١٦. أبو ليل: أسس العلاقات، ص ٣٥٨.

(٤) انظر: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، يطلب من دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م)، ص ١٤٦. النووي: روضة الطالبين، ج ١٠، ص ٣٢٩. الشافعي: الأم، ج ٤، ص ١٦٧. الرملي، شمس الدين الرملي الشافعي الصغير (ت: ١٠٠٤ هـ)، نهاية المحتاج بشرح المنهاج، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (١٣٥٧ هـ/١٩٣٨ م) ج ٨، ص ٩٩. أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٣١٦. أبو ليل: أسس العلاقات، ص ٣٥٩. تقي الدين الشافعي: كفاية الأخيار، ط ٢، ج ٢، ص ١٣٦.

(٥) انظر: حاشية ابن عابدين، دار إحياء التراث العربي، طباعة دار الطباعة المصرية، بيروت، ١٩٧٢ م، ج ٣، ص ٢٧٧. إملاء السرخسي: شرح السير الكبير، ج ٥،

المستأمن بالتجسس، وعلل الحنفية ذلك: بأنه لا ينقض إيمان المسلم بتجسسه على المسلمين، فكذا لا ينقض أمان المستأمن بالتجسس عليهم، ويكتفى بإيقاع عقوبة وتعزيره بالحبس ونحوه، فالظاهر عند الحنفية أنهم لا يجيزون قتله إلا إذا شرط عليه ذلك خلافاً لأبي يوسف^(١).

أدلة الرأي الأول:

١ - أن الأمان يقتضي الامتناع عن التجسس وأن الأمان لا يتضمن كونه عيناً ولا يستلزمه، ولو لم نجعله ناقضاً للعهد بهذا رجع إلى الاستخفاف بالمسلمين والإضرار بهم^(٢).

٢ - قياساً على ما قالته الحنابلة في الجاسوس الذمي إذ يطبق حكم الجاسوس الذمي على الجاسوس المستأمن لأن أمان المستأمن ليس بأقوى من أمان الذمي^(٣).

ولذا فلا يجوز للمستأمن أن يأوي عيناً للمشركين ولا يعاون على المسلمين بدلالة، أما الأوزاعي الذي قال بنقض عهد الذمة بالتجسس نراه يترفق في المستأمن ويكتفي بنبذ العهد إليه وإخراجه من دار الإسلام^(٤).

ص ٢٠٤٣. ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٦٠٩. السرخسي:

المبسوط، ج ١٠، ص ٨٦، ٨٧. المرغيناني: الهداية، ج ١٠، ص ١٦٣. الشافعي:

الأم، ج ٤، ص ١٦٧. أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥٩.

(١) انظر: الماوردي: الأحكام السلطانية، ط ١٩٨٢ م، ص ١٤٦. الشافعي: الأم، ج ٤،

ص ١٦٧. أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥٩.

(٢) انظر: الخرشي على مختصر خليل، ج ٣، ص ١١٩. أبادي: عون المعبود، ج ٧،

ص ٣١٦. الدسوقي: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار إحياء التراث العربي،

ج ٢، ص ١٨٢.

(٣) انظر: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ط ١، ج ٩، ص ٣٥٢.

(٤) انظر: الدكتور محمود أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥٩.

أدلة الرأي الثاني :

١ - استدل الحنفية بحديث حاطب بن أبي بلتعة إذ لم ينقض إيمانه بالتجسس، وكذلك بحديث أبي لبابة إذ لم ينقض إيمانه بالتجسس أيضاً، فإذا كان إيمان المسلم لا ينقض بالتجسس فكذلك لا ينقض أمان المستأمن بالتجسس أيضاً .

٢ - أن المستأمن لا ينقض أمانه إذا قطع الطريق وأخذ المال على الرغم من كونه محارباً لله ولرسوله . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾^(١)، فهذا أولى إلا أنه ارتكب ما لا يحل له وقصد إلحاق الضرر بالمسلمين بنقل أخبارهم وإفشاء أسرارهم لعدوهم، لذا فإنه يعاقب في جميع ذلك دون أن ينقض عهده^(٢) .

الرأي المختار: الرأي الراجح هو رأي المالكية ومن وافقهم لأن الأمان يقتضي عدم إفشاء أسرار المسلمين أو الدلالة على عوراتهم، فإذا فعله المستأمن انتقض لمخالفته موجب عقده إذ لو لم نجعله ناقضاً للعهد لأدى ذلك إلى ضياع هبة المسلمين وإغراء الأعداء بهم وتجريئهم على غزوهم مما يلحق بالمسلمين أفدح الأخطار.

فإذا ارتكب المستأمن جريمة التجسس ضد المسلمين خالف مقتضى العقد وبطل الأمان من جانبه فينقض عهده وخير فيه الإمام بين القتل والاسترقاق والمن والفداء كالأسير الحربي لأنه لا عهد ولا أمان بقي له .

(١) انظر: السرخسي: المبسوط، ج ١٠، ص ٨٦. أبو ليل: أسس العلاقات، ص ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢) آية رقم ٣٣، سورة المائدة.

(٣) إملاء السرخسي: شرح السير الكبير، ط ١٩٧٢، ج ٥، ص ٢٠٤٢.

المطلب الرابع

عقوبة الجاسوس الحربي^(١)

أولاً: حكمه:

ذهب الفقهاء ما عدا الهادوية إلى جواز قتل الجاسوس الحربي والكافر، وقال الإمام محمد أنه يصلب إلا أن تكون امرأة لأنها عورة وستر العورة أولى^(٢).

ثانياً: الأدلة على جواز قتله:

١ - عن سلمة بن الأكوع قال: غزونا مع رسول الله ﷺ هوازن فبينما نحن نتضحى مع رسول الله ﷺ جاء رجل على جمل أحمر فأناخه ثم انتزع طلقاً (العقال من جلد) من حقبة فقيده به الجمل ثم تقدم يتغدى مع القوم، وجعل ينظر وفينا ضعفة (حالة ضعف وهزال) ورقة في الظهر وبعضنا مشاة إذ خرج يشتد، فأتى جملة فأطلق قيده ثم أناخه وقعد عليه فأثاره فكنت عند ورك الناقة ثم تقدمت حتى كنت عند ورك الجمل، ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل، فأنخته فلما وضع ركبته على الأرض اخترطت سيفي (سللت من غمده) فضربت رأس الرجل فندر (سقط) ثم جث الجمل أقوده عليه رحله وسلاحه فاستقبلني

(١) الحربي: ليس معنى الحربي في اصطلاح الفقهاء من أعلن الحرب على المسلمين فكل من لا كتاب له ولا شبهة كتاب من أصناف الكفار فهو حربي عندهم، وهذا لا تقبل منه الجزية بالاتفاق، أما من له كتاب كاليهودي والنصراني، أو شبهة كتاب كالمجوسي فهو على قسمين: ذمي: وهو الذي يقبل شروط الذمة ويلتزم بها، وغير ذمي وهو الذي يمتنع عن قبول هذه الشروط وحكمه حكم الحربي. انظر: محمد جواد مغنية: فقه الإمام جعفر الصادق، ط ٢، ج ٢، ص ٢٦٩.

(٢) انظر: تكملة المجموع شرح المذهب، المكتبة السلفية، ج ١٩، ص ٣٤٢، ٣٤٣. العدوى: حاشية، دار المعرفة، ج ٢، ص ٧. أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٣٠٦. محمد جواد مغنية: فقه الإمام جعفر الصادق، ط ٢، ج ٢، ص ٢٦٩. أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥٩.

رسول الله ﷺ والناس معه، فقال: «من قتل الرجل؟» قالوا: ابن الأكوع، قال: وله سلبه أجمع (أي كله) ^(١).

هذا الحديث يدل على جواز قتل الجاسوس الحربي الكافر، إذ أن الباعث على طلبه وقتله هو اطلاعه على ضعف المسلمين ورقة ظهرهم ومحاولة نقل هذه الأخبار إلى أصحابه لينالوا من المسلمين، لذا نجد في بعض روايات الحديث قول الرسول ﷺ: «اطلبوه فاقتلوه» ^(٢)، بل إن الرسول ﷺ رغب في قتل الجاسوس الحربي إذ جعل سلبه أجمع لقاتله. وهذا يدل على خطر هذا الجاسوس على المسلمين من جهة وعلى جواز قتله من ناحية أخرى. وما دام أنه جاسوس حربي دخل بلاد المسلمين بدون أمان أو عهد فيكون حكمه حكم الحربي الذي قدرنا عليه في بلادنا، ولذا يخير فيه الإمام بين القتل والاسترقاق والمن والفداء.

وأما الهادوية فإنهم يرون قتل الجاسوس الحربي الكافر وجاسوس البغاة إذا كان قد قتل أو حصل القتل بسببه وكانت الحرب قائمة، وفي غير ذلك فإنه يحبس. لأنهم يرون أنه إذا لم يقتل أو يتسبب في قتل المسلمين يكون بمنزلة الأسير الحربي الذي يخير فيه الإمام بالقتل أو الاسترقاق أو المن أو الفداء ^(٣).

ثالثاً: الرأي المختار: أن الجاسوس الحربي الكافر يفضل أن يجعل أمره إلى الإمام، فإن رأى مصلحة المسلمين في قتله قتله وإلا يفعل ما يراه مناسباً لمصلحة دولة الإسلام.

(١) انظر: صحيح البخاري، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ١١١، وج ٥، ص ١٩٦. أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦٥٣، ٢٦٥٤ ج ٣، ص ٤٩. أبادي: عون المعبود، ج ٧، ص ٣١٦. جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي: تنوير الحوالك على موطأ مالك، عدد الأجزاء ٣، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ١٣.

(٢) أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦٥٣، ج ٣، ص ٤٨.

(٣) انظر: تكملة المجموع شرح المذهب، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، م ١٩، ج ١٩، ص ٣٤٣. أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ١١٥ وما بعدها.

الفصل الثاني

حكم كذب رجل الاستخبارات واستسلامه وقتله لنفسه
إذا أحيط به أو ظنّ الهلاك في الثبات أو الفرار

مبحث الأول: حكم استعمال رجل الاستخبارات العسكرية للكذب
في الحرب مع الأعداء:

المطلب الأول: رأي المجيزين لحقيقة الكذب في الحرب.

المطلب الثاني: رأي المانعين لحقيقة الكذب في الحرب.

المطلب الثالث: أدلة المجيزين لحقيقة الكذب في الحرب تصريحاً
وتعريضاً.

المطلب الرابع: أدلة المانعين لحقيقة الكذب في الحرب
الرأي المختار.

المبحث الثاني: حكم استسلام رجل الاستخبارات العسكرية للعدو:

المبحث الثالث: حكم قتل رجل الاستخبارات العسكرية لنفسه:

المطلب الأول: حكم قتل النفس قصداً.

المطلب الثاني: الأدلة على حرمة قتل النفس قصداً.

الفرع الأول: الأدلة من القرآن الكريم.

الفرع الثاني: الأدلة من السنة النبوية.

المبحث الأول

حكم استعمال رجل الاستخبارات العسكرية للكذب في الحرب مع الأعداء

لا خلاف في جواز الكذب في الحرب ولكن الاختلاف في المراد في الكذب المباح فهل هو حقيقة الكذب أم هو التعريض والخديعة^(١). للفقهاء في ذلك آراء.

المطلب الأول

رأي المجيزين لحقيقة الكذب في الحرب
يجوز الكذب في الحرب تصريحاً وتلويحاً^(٢).

قال النووي بجواز خداع الكفار كيفما أمكن إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز^(٣).

-
- (١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، ط ٣، ج ١٦، ص ١٥٨.
(٢) انظر: ابن حزم: المحلى، دار الفكر، ج ٧، ص ٣٠٨. إملأ السرخسي: شرح السير الكبير، ج ١، ص ١١٩. الفزالي إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٣٤. عبدالسلام محمد هارون: الألف المختارة من صحيح البخاري، ج ٤، ص ١١١. الزحيلي: العلاقات الدولية، ص ٥٩. القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥، ط ٦، ص ١٥٦. النواوي: العلاقات الدولية، ص ١٣٥. الدينوري: المختار من كتاب عيون الأخبار، ص ١٤١.
(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، ط ٣، ج ١٦، ص ١٥٧. عبدالسلام محمد هارون: الألف المختارة من صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٠٩. القسطلاني: =

قال الواقدي : وتكون الخديعة بخلف الوعد وبالتورية^(١) - التعريض - وبالكمين وذلك من المستثنى الجائز الخصوص من المحرم^(٢).

فيجوز استعمال الرأي في الحرب، بل الاحتياج إليه أكد من الشجاعة. وينقل عن ابن المنير قوله : الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها إنما هي المخادعة لا المواجهة وذلك لخطر المواجهة ولحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر^(٣).

قال ميمون بن مهران : الكذب في بعض المواطن خير من الصدق.

فالكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً فالكذب فيه حرام، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحاً، وواجب إن كان المقصود واجباً، كما أن عصمة دم المسلم واجبة، فمهما كان في الصدق سنك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب، ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه إلا بالكذب

مركز بحوث ودراسات إسلامية

= إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٥. أحمد شلبي : العلاقات الدولية، ص ٩٢. الدكتور حسن إبراهيم : العلاقات الدولية، ص ١٥٧. ابن حجر الشافعي (٨٥٢/٧٧٣ هـ)، مطبعة مصطفى البابي، (١٣٧٨/١٩٥٩)، ج ٦، ص ٤٩٩. الشوكاني : نيل الأوطار، مطبعة مصطفى البابي، ج ٧، ص ٢٩٠، ٢٩١.

(١) التورية : أن يقصد بعبارة مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذب بالنسبة إليه وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب ولو لم يقصد هذا بل أطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا الموضع.

انظر : النووي : رياض الصالحين، ط ١٩٨٠، ص ٤٣٥. سيد قطب : إسلامنا، ط ٤، ص ١٩٢.

(٢) انظر : القسطلاني : إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٥. محمد هارون : الألف المختارة من صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٠٩. أحمد شلبي : الجهاد والنظم، ص ٩٢.

(٣) انظر أحمد شلبي : الجهاد والنظم، ص ٩٢.

فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يتحرز منه ما أمكن، لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة، فيكون الكذب حراماً في الأصل إلا للضرورة^(١).

المطلب الثاني

رأي المانعين لحقيقة الكذب في الحرب

وهو رأي الإمام محمد بن الحسن الشيباني، إذ قال: والمذهب عندنا أنه ليس المراد الكذب المحض، فإن ذلك لا رخصة فيه، وإنما المراد استعمال المعارض وهو نظير ما روي أن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه كذب ثلاث كذبات^(٢)، والمراد أنه تكلم بالمعارض، إذ الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه معصومون عن الكذب المحض. وقال عمر: إن في معارضض الكلام لمندوحة

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، ط ٣، ج ١٦، ص ١٥٨. طنطاوي: الجواهر في تفسير القرآن، ط ٢، ج ٢٣، ص ٦٨. الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٣٤. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١/٦٧٦ هـ)، رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م)، ص ٤٣٤.

(٢) ثنتين في ذات الله عز وجل، قوله: اني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له أن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال أختي، فأتى سارة، فقال لها ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده، فأخذ، فقال ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية، فأخذ مثلها أو أشد، فقال ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبه فقال إنكم لم تأتونني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان، فأخذ منها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي فأوما بيده مهيا، قالت رد الله كيد الكافرين، أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر، قال أبو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء. انظر: صحيح البخاري مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ١٧١. صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، ط ٣، ج ١٦، ص ١٥٨. النووي (٦٣١/٦٧٦ هـ): رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، ص ٥١٩.

عن الكذب . وتفسير هذا ما ذكر محمد رحمه الله في كتابه : وهو أن يكلم من يبارزه بشيء وليس الأمر كما قال ، ولكنه يضمّر خلاف ما يظهره له ، كما فعل علي رضي الله عنه يوم الخندق حين بارزه عمرو بن عبد ودّ ، قال : أليس قد ضمنت لي أن لا تستعين علي بغيرك؟ فمن هؤلاء الذين دعوتهم؟ ، فالتفت كالمستبعد لذلك ، فضرب على ساقيه ضربة قطع رجله .

وكان من الخدعة أن يقول لأصحابه قولاً ليرى من سمعه أن فيه ظفراً أو أن فيه أمراً يقوّي أصحابه ، وليس الأمر كذلك حقيقة ، ولكن يتكلم على وجه لا يكون كاذباً فيه ظاهراً .

على ما روي أن علياً رضي الله عنه في حروبه كان ينظر إلى الأرض ثم يرفع رأسه إلى السماء يقول : «ما كذبت ولا كذبت» ، يرى من حضره أن النبي ﷺ أخبره بما ابتلي به ، وأمره في ذلك بما أمر به أصحابه ولعله لا يكون كذلك .

وكذلك أن يقول لعدوه مات أمامكم الأعظم وينوي إمامهم في الأزمان الماضية ، أو غداً يأتينا مدد أي طعام . فهذا ونحوه لا بأس به لأنه من المعاريض المباحة .

ومن هذا النوع أن يقيد كلامه بلعل وعسى فإن ذلك بنزلة الاستثناء ، يخرج الكلام به من أن يكون عزيمة على ما قال^(١) .

وليس من الخدع الجائزة أثناء الحرب أن يظهر لهم أنه منهم أو على دينهم أو جاء لنصحتهم ، حتى إذا وجد غفلة نال منهم فهذه خيانة لا تجوز^(٢) .

(١) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الفكر ، ط ٣ ، ج ١٦ ، ص ١٥٨ . إملاء السرخسي : شرح كتاب السير الكبير ، ج ١ ، ص ١١٩ وما بعدها . النواوي : العلاقات الدولية ، ص ١٣٥ . د . حسن إبراهيم : العلاقات الدولية ، ص ١٥٨ .

(٢) انظر : النواوي : العلاقات الدولية ، ١٣٥ .

ومن الخدع الممنوعة في الإسلام التظاهر بالتسليم أو بطلب المفاوضة، مثل رفع الراية البيضاء أو وضع علامة الهلال الأحمر بقصد التسليم أو المفاوضة وهذا نوع من الحذر أو الخداع، لأن هذا التظاهر تأمين، ولا يصح نقض الأمان في الشريعة، بل تواعد عمر بقتل خائن الأمان فقال:

والذي نفس عمر بيده، لو أن أحدكم أشار بأصبعه إلى مشرك، ثم نزل إليه ثم قتله لقتلته^(١).

المطلب الثالث

أدلة المجيزين لحقيقة الكذب في الحرب تصريحاً وتعريضاً

أولاً: ما رواه ابن شهاب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها» وهذه الرواية عن أم كلثوم أيضاً^(٢).

قال النووي: الظاهر إباحة حقيقة الكذب في الأمور الثلاثة ولكن التعريض أولى^(٣).

(١) انظر: الزحيلي: العلاقات الدولية، ص ٦٠.

(٢) صحيح مسلم، ط ١، حديث رقم ٢٦٠٥، ج ٤، ص ٢٠١١. صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، ط ٣، ج ١٦، ص ١٥٧. انظر: النووي: رياض الصالحين، ط ١٩٨٠، ص ٤٣٥.

(٣) انظر: القسطلاني: إرشاد الساري، دار صادر، ط ٦، ج ٥، ص ١٥٦. الغزالي: إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، ج ٣، ص ١٣٤. محمد هارون: الألف المختارة من صحيح البخاري، ج ٤، ص ١١١. طنطاوي: الجواهر في تفسير القرآن، ط ٢، ج ٢٣، ص ٦٩. إملاء السرخسي: شرح كتاب السير الكبير، ج ١، ص ١١٩. البردوني: المختار من كتاب عيون الأخبار، ص ١٤١.

ثانياً: عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: (من لكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله؟ قال محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله يا رسول الله؟ قال نعم. قال: فأتاه فقال: إن هذا - يعني النبي - قد عَنَّانا وسألنا الصدقة. قال: وأيضاً والله لتملنه. قال: فإننا قد اتبعناه فنكره أن ندعه حتى ننظر إلى ما يصير أمره قال: فلم يزل يكلمه حتى استمكن منه فقتله^(١)).

وفي رواية قال محمد بن مسلمة: أتحب أن أقتله يا رسول الله؟ قال: «نعم»، قال: فأذن لي، فأقول، قال: «قد فعلت»^(٢) أي أذنت لك في أن تقول من الكذب ما تراه يعينك في مهمتك.

وجه الاستدلال:

فيه جواز الكذب في الحرب تعريضاً^(٣). فالحديث قد ورد في حالة الحرب وهو وإن كان محمد بن مسلمة قد تكلم بالصدق، ولكنه استأذن أن يقول كل شيء فأذن له في كل شيء، ويدخل في الإذن جواز الكذب تصريحاً وتعريضاً^(٤).

مركز البحوث الإسلامية
بجامعة الإمام محمد سعود بن عبدالعزيز
الرياض

(١) انظر: صحيح البخاري، مطابع دار الشعب، م ٢، ج ٥، ص ١١٥. صحيح مسلم، ط ١، حديث رقم ١٨٠١، ج ٣، ص ١٤٢٥. أبو داود: سنن، دار إحياء التراث العربي، حديث رقم ٢٧٦٨، ج ٣، ص ٨٧. صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٣، ج ١٢، ص ١٦٠، ١٦١. البيهقي: سنن، ج ٧، ص ٧٩، ٨٠. اختيار محمد هارون: الألف المختارة من صحيح البخاري، ج ٤، ص ١١١. القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٦.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٣، ج ١٢، ص ١٦٠، ١٦١. النووي: العلاقات الدولية، ص ١٣٦.

(٣) انظر: اختيار محمد هارون: الألف المختارة من صحيح البخاري، ج ٤، ص ١١١. القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٦.

(٤) انظر: القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٦. محمد حسن إبراهيم: العلاقات الدولية، ص ١٦٠.

ثالثاً: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «الحرب خدعة»^{(١)(٢)}.

(١) قوله خدعه فيها أقوال وهي: أ- بفتح الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة وهي الأفصح وجزم بها أبو ذر الهروي والقزاز، وقال ثعلب بلغنا أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم. ب- بضم الخاء مع سكون الدال. ج- بضم أوله وفتح ثانية كهزمة ولزة وهي صيغة مبالغة. د- حكى المنذري خدعه بفتح الأول والثاني جمع خداع. هـ- حكى مكى وغيره خدعه بكسر أوله وسكون ثانيه. فهي خمسة. ومعنى الإسكان أنها تخدع أهلها من وصف الفاعل باسم المصدر، أو وصف للمفعول كهذا الدرهم ضرب الأمير، وعن الخطابي أنها المرة الواحدة، يعني أنه إذا خدع مرة واحدة لم تقل عثرته. ومعنى الضم مع السكون، أنها تخدع الرجال، أي هي محل الخداع وموضوعه. ومعنى فتح الدال، أي تخدع الرجال تمنيعهم الظفر ولا تفي لهم كالضحكة إذا كان يضحك بالناس. وقيل الحكمة في الإتيان بالتاء الدلالة على الوحدة، فإن الخداع إن كان من المسلمين، كأنه حضهم على ذلك ولو مرة واحدة. وإن كان من الكفار فكأنه حذرهم من مكرهم، ولو وقع مرة واحدة، فلا ينبغي التهاون بهم لما ينشأ عنه من المفسدة ولو قل.

انظر: القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٥. محمد هارون: الألف المختارة من صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٠٩. إملاء السرخسي: شرح السير الكبير، ج ١، ص ١١٩. محمد علي حسن: العلاقات الدولية، ط ٢، ص ١٥٦. ظاهر القاسمي: الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام، ص ٤٠٦. أحمد عبد الكريم: المبادئ الأساسية للعقيدة العسكرية السوفياتية، ص ١١٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٧٧، ٧٨. صحيح مسلم، ط ١، حديث رقم ١٧٤٠، ج ٣، ص ١٣٦٢. أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦٣٦، ج ٣، ص ٤٣. صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٣، ج ١٢، ص ٤٥. أبو داود بشرح عون المعبود، ط ٢، ج ٧، ص ٢٩٩. ابن ماجه، مطبعة البابي، ج ٢، ص ٩٤٥. البيهقي: سنن، ط ١، ج ٩، ص ١٥٠. محمد هارون: الألف المختارة من صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٠٩. القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٥. محمد فؤاد: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج ٢، ص ٢٠١. القسطلاني: فتح الباري، الأجزاء ١٣، ط ٢، ١٤٠٢، ج ٦، ص ١١٩. منصور ناصف: كتاب التاج، دار الفكر، ط ٤، ١٩٧٥، ج ٤، ص ٣٧٢. أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ج ٩١.

وجه الاستدلال:

هذا الحديث (الحرب خدعة) قاله النبي ﷺ في غزوة الخندق عندما بعث نعيم بن مسعود ليخذل بين قريش وغطفان واليهود ويكون ذلك بالتورية ويخلف الوعد وبالكمين وذلك من المستثنى الجائر المخصوص من المحرم^(١).

وفي الحديث تحريض على أخذ الحذر في الحرب والندب إلى خداع الكفار، وإن من لم يتيقظ لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه، فالخدعة معناها الأمر باستعمال الحيلة ما أمكن، وإن الإنسان إذا خدع مرة واحدة لم تقل عشرته، واستعمال اسم المرة لبيان أن المسلمين ينبغي أن يقوموا بالخداع ولو مرة واحدة وأن يحذروا أن يخدعهم الكفار ولو مرة واحدة، فلا ينبغي التهاون بذلك لما ينشأ عنه من المفسدة^(٢).

رابعاً: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة عن الوليد بن جميع حدثنا أبو الطفيل، حدثنا حذيفة بن اليمان، قال: ما منعتني أن أشهد بدرأ إلا أنني خرجت أنا وأبي حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمداً. فقلنا ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم^(٣).

وجه الاستدلال:

في هذا الحديث جواز الكذب في الحرب، وإذا أمكن التعريض في الحرب فهور أولى ومع هذا يجوز الكذب في الحرب، وفيه الوفاء بالعهد، وأما قضية حذيفة وأبيه، فإن الكفار استحلّفوهما لا يقاتلان مع النبي ﷺ في غزوة

(١) انظر: القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٥. محمد هارون: الألف المختارة، ج ٤، ص ١٠٩.

(٢) الشوكاني: نيل الأوطار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ج ٧، ص ٢٩٠، ٢٩١.

(٣) صحيح مسلم، بشرح النووي، ط ٣، ج ١٢، ص ١٤٤.

بدر، فأمرهما النبي بالوفاء، وليس هذا للإيجاب، فإنه لا يجب الوفاء بترك
الجهاد مع الإمام ونائبه، لكن أراد النبي ﷺ أن لا يشيع عن أصحابه نقض
العهد^(١).

المطلب الرابع

أدلة المانعين لحقيقة الكذب في الحرب

جاء رجل إلى النبي ﷺ يوم الخندق واسم هذا الرجل نعيم بن مسعود
الثقفي، فقال: يا رسول الله إن بني قريظة قد غدرت وبايعت أبا سفيان
وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: فلعلنا نحن أمرناهم بهذا فرجع إلى أبي سفيان
وقال: زعم محمد أنه أمر بني قريظة بهذا فقال: أنت سمعته يقول هذا؟ قال:
نعم. قال فوالله ما كذب.

وتمام هذه القصة ورد في المغازي من وجهين.

أحدهما^(٢):

(أن بني قريظة كانوا في عهد رسول الله ﷺ إلى أن جاء الأحزاب ومعهم
يحيى بن أخطب رأس بني النضير، فما زال بكعب بن الأشرف وبني قريظة حتى
نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ وبايعوا أبا سفيان. على أن يغيروا على
المدينة والأحزاب يقاتلون رسول الله ﷺ وأصحابه، فاشتد الأمر على المسلمين

(١) مسلم، بشرح النووي، ط ٣، ج ١٢، ص ١٤٤.

(٢) انظر: إملاء السرخسي: شرح السير الكبير، ج ١، ص ١٢١. صحيح البخاري،
ج ٤، ص ٦٥، ٧٧. إذ قال الرسول لنعيم «إنما أنت رجل واحد فخذ عنا ما استطعت»
القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٦، ١٥٧. وليد الأعظمي: الرسول في
قلوب أصحابه، ص ١١٩، ١٢٢. بسام العلي: فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين
والأمويين، ط ١، ص ٣٥. محمود شيت خطاب: دروس في الكتمان من الرسول القائد،
ص ٢٧، ٢٨، ٢٩. محمد علي الحسن: العلاقات الدولية، ص ١٥٨.

لذلك كما قال الله تعالى : ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾^(١) فجاء نعيم بن مسعود يخبر رسول الله ﷺ بهذه المبالغة، وكان مشركاً يومئذ، فقال رسول الله ﷺ : «فلعلنا أمرناهم بذلك» يريد أن هذا مواطاة بيننا وبينهم حتى نحيط بالأحزاب من كل جانب فلما خرج من عنده قال له عمر : يا رسول الله أمر بني قريظة أهون من أن يؤثر عنك شيء من أجل صنيعهم . فقال ﷺ : «الحرب خدعة يا عمر» . كانت تلك الكلمة سبب تفرقهم وتفرق كلمتهم وانهزامهم).

الثاني :

(إنهم بعد هذه المبايعة، قالوا ليحيى بن أخطب، لا نأمن أن يطول الأمر وتذهب الأحزاب ونبقى مع محمد فيحاصرنا ويخرجنا من ديارنا كما فعل بك وبأصحابك فقال يحيى بن أخطب : أنا أطلب منهم أن يبعثوا سبعين من أبناء كبرائهم إليكم ليكونوا رهنا في حصنكم، وكان نعيم بن مسعود عندهم حين جرت هذه المحاورة فحثهم على ذلك، فقالوا هو الرأي . ثم جاء إلى الرسول الله ﷺ وأخبره بما جرى، فقال ﷺ : «فلعلنا أمرناهم بذلك» فجاء إلى أبي سفيان فوجد عنده رسول بني قريظة يسأله عن الرهن . فقال له : هل علمت أن محمداً لم يكذب قط؟ قال : نعم . فقال : إني سمعته الآن يقول كذا، وهذا مواطاة بينه وبين بني قريظة، ليأخذوا سبعين منكم فيدفعوهم إليه ليقتلهم، وقد ضمن لهم على ذلك إصلاح جناحهم، يعني رد بني النضير إلى ديارهم، فقالوا : هو كما قلت واللات والعزى . وكان ذلك يوم الجمعة . فبعث إلى بني قريظة أن اخرجوا على تلك المبايعة التي بيننا فقد طال الأمر . فقالوا : غداً يوم السبت، ونحن لا نكر السبت . ومع ذلك لا نخرج حتى تعطونا الرهن . فقال أبو سفيان : هو كما أخبرنا به نعيم . وقذف الله الرعب في قلوبهم فانهزموا في تلك الليلة .

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(٢)

(١) آية رقم ١٠، سورة الأحزاب .

(٢) آية رقم ٢٥، سورة الأحزاب .

قال محمد بن الحسن رحمه الله : فهذا ونحوه من مكاييد الحرب فلا بأس به^(١).

الرأي المختار

يتضح مما سبق أن الإمام محمد بن الحسن لا يجيز الكذب في الحرب - كما يلاحظ في الروايات التي استشهد بها - وإنما يجيز المعاريض والتمويه وهو محجوج بالأحاديث الصحيحة والصريحة التي أجازت الكذب والخداع في الحرب.

فالإسلام يحرم الكذب، ويجعله من أقبح الذنوب وأفحشها، لكنه مع ذلك يستثني بعض الحالات من هذه القاعدة، كأن يتحقق من الكذب مصلحة كالكذب في الحرب.

فإن الحرب خدعة وبمجرد إعلانها ينتهي التفاهم بين المتحاربين، وفي خداع العدو التفرير به والكذب عليه كسر شوكته، وتحطيم قوته، وفي ذلك مصلحة كبرى تعلو على كثير من المصالح.

فراجع أن الكذب في الحروب أمر جائز، لأن المتبع لكلام عدوه هو الذي يخدع نفسه وقد قرر تشرشل ما قرره الرسول ﷺ قبل ثلاثة عشر قرناً فقد قال - في اجتماع مع روزفلت وستالين لبحث أمر الحرب ومستقبل ألمانيا -.

في منتهى الصراحة إن الحقيقة في الحرب ثمينة إلى حد أنه لا بد من المحافظة عليها بحرس كامل من الأكاذيب.

فنختار جواز الكذب في الحرب تصريحاً وتعريضاً وإن كان التعريض أولى إن أمكن لقوة المجيزين.

(١) إملاء السرخسي: شرح السير الكبير، ط ج ١، ص ١٢٢.

انظر: صحيح البخاري، ج ٤، ص ٧٧، القسطلاني: إرشاد الساري، ج ٥، ص ١٥٦، ١٥٧. وليد الأعظمي: الرسول في قلوب أصحابه، ص ١١٩، ١٢٢. بسام العسلي: فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين، ط ١، ص ٣٥. محمود شيت خطاب: دروس في الكتمان من الرسول القائد، ص ٢٧، ٢٩. محمد علي الحسن: العلاقات الدولية، ص ١٥٩.

المبحث الثاني

حكم استسلام رجل الاستخبارات للعدو

إذا أحيط برجل الاستخبارات وظن الهلاك في الثبات أو الفرار فالأولى له أن يقاتل حتى يقتل، ولا يسلم نفسه للأسر، لأنه يفوز بثواب الشهداء، ويسلم من تحكم الكفار عليه بالتعذيب والاستخدام والفتنة، وإن استأسر جاز^(١).

قال الإمام أحمد بن حنبل: ما يعجبني أن يستأسر، يقاتل أحب إليّ، الأسر شديد، ولا بد من الموت، وروي عن أحمد أنه يلزمه القتال إذا ظن الهلاك بالفرار والثبات وهو ظاهر كلام الخرقى.

وذكر الشيخ تقي الدين: أنه يسن انغماسه في العدو لمنفعة المسلمين، وإلا نهى عنه وهو من التهلكة^(٢).

والذي يظهر أن رجل الاستخبارات إذا ظن الهلاك في الفرار وفي الثبات، فالأولى له القتال من غير إيجاب، لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ بعث عشرة عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فنفرت إليهم هذيل بقريب من مائة رجل رام، فلما أحسن عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدغد، فقالوا لهم انزلوا فاعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصماً في سبعة معه، ونزل إليهم ثلاثة

(١) انظر: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٥٣. تقي الدين الشافعي:

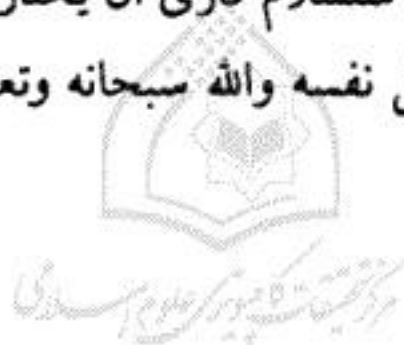
كفاية الأخيار، ط ٢، ج ٢، ص ١٢٠.

(٢) المرداوي: الإنصاف، ج ٤، ص ١٢٤، ١٢٥.

على العهد والميثاق، منهم خبيب وزيد أخذاً بالرخصة^(١) وكلهم محمود غير مذموم ولا ملوم^(٢). وهذا هو رأي الشافعية إذ لا يجوز الاستسلام لكافر في القتل، وإن جَوَزَ الأسر والقتل فله أن يدفع^(٣).

وإذا ألقى الكفار ناراً في سفينة فيها مسلمون فاشتعلت فيها فما غلب على ظنهم السلامة فيه من بقائهم في مركبهم أو إلقاء نفوسهم في الماء فالأولى لهم فعله، وإن استوى عندهم الأمران، فقال أحمد كيف شاء يصنع، قال الأوزاعي هما موتان فاختر أيسرهما، وقال أبو الخطاب، فيه رواية أخرى أنهم يلزمهم المقام لأنهم إذا رموا نفوسهم في الماء كان موتهم بفعلهم، وإن أقاموا فموتهم بفعل غيرهم^(٤).

من هذا النص أرى أن رجل الاستخبارات إذا رأى الهلاك في الثبات وفي الفرار من العدو لم يختار الاستسلام فأرى أن يختار ما فيه الهلاك بفعل العدو لا أن يختار ما فيه الهلاك بفعل نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم.



-
- (١) انظر: صحيح البخاري، مطابع دار الشعب، ج ٤، ص ٨٢.
(٢) انظر: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٥٣. صحيح البخاري الأجزاء ٦، مطابع دار الشعب، م ٢، ج ٥، ص ١٣٢، ١٣٣. ابن هشام: سيرة الأجزاء ٤، دار الفكر، ج ٢، ص ١٦١.
(٣) انظر: الرمي: نهاية المحتاج، ج ٨، ص ٥٥.
(٤) انظر: ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٤٤. المرداوي: الإنصاف، ج ٤، ص ١٢٥، ١٢٤.

المبحث الثالث

حكم قتل رجل الاستخبارات لنفسه قصداً

المطلب الأول

حكم قتل النفس قصداً

إذا أحيط برجل الاستخبارات العسكرية من قبل الأعداء وظن الهلاك في الثبات أو الفرار ولم يختار الاستسلام فالأولى له أن يقاتل حتى يقتل ولا يجوز له أن يقتل نفسه قصداً إطلاقاً^(١) لورود النصوص الناهية عن ذلك، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أن من قتل نفسه حرمت عليه الجنة واستحق دخول النار والخلود فيها^(٢).

مركز البحوث الإسلامية
بجامعة الإمام محمد سعود
الرياض

(١) انظر: تقي الدين الشافعي: كفاية الأخيار، ط ٢، ج ٢، ص ١٢٠. الشربيني: مغني المحتاج، دار الفكر، ط ١٩٧٨ م، ج ٤، ص ١٩٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري، مطابع دار الشعب م، ج ٥، ص ١٦٨، ١٦٩. صحيح مسلم، ط ١، حديث رقم ١٠٩، ١١٣، ج ١، ص ١٠٤، ١٠٧. صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، ج ٢، ص ١٢٥. الشوكاني: نيل الأوطار، دار الجيل، م ٤، ج ٧، ص ١٩٨، ص ٢٠٢.

المطلب الثاني

الأدلة على حرمة قتل النفس

الفرع الأول

الدليل من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَجِيماً * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١).

إن من جملة المراد بهذه الآية أن يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل، وقد ورد الوعيد على قتل النفس، وهذا يدل على حرمة قتل النفس عن قصد للقتل^(٢).

الفرع الثاني

الأدلة من السنة النبوية الشريفة

أولاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ^(٣) بها في بطنه في نار جهنم مخلداً فيها أبداً ومن قتل نفسه بسمّ فسّمه في يده يتحساه في نار جهنم مخلداً فيها أبداً، ومن

(١) آية رقم ٢٩، ٣٠، سورة النساء.

(٢) انظر: القرطبي: الجامع بأحكام القرآن، م ٣، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧ م، ج ٥، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٣) يتوجأ: يضرب بها نفسه، ومنه أيضاً الوجاء وهو رض عروق البيضتين حتى تنفضخا من غير إخراج فيكون شبيهاً بالخصاء لأنه يكسر الشهوة. انظر: المصباح المنير: ج ٢، ص ٦٥٠. صحيح مسلم، ط ١، ج ١، ص ١٠٤.

تردى من جبل فقتل نفسه فهو مترد في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»^(١).

قوله في نار جهنم خالداً فيها أبداً فيه أقوال^(٢).

أحدهما: أنه محمول على من فعل ذلك مستحلاً مع علمه بالتحريم فهذا كافر وهذه عقوبته.

الثاني: أن المراد بالخلود طول المدة والإقامة المتطاولة لا حقيقة الدوام كما يقال خلد الله ملك السلطان.

الثالث: أن هذا جزاؤه ولكن تكرم الله سبحانه وتعالى فأخبر أنه لا يخلد في النار من مات مسلماً.

وقال القاضي عياض رحمه الله في قوله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه»، فيه دليل على أن القصاص من المقاتل لنفسه يكون بما قتل به محدداً أو غيره اقتداء بعقاب الله تعالى لقاتل نفسه.

ثانياً: روي عن رسول الله ﷺ: «أن رجلاً ممن كان قبلكم خرجت به قرحة فلما أذته انتزع سهماً من كنانته فنكأها فلم يرقأ الدم»^(٣) حتى مات. قال ربكم: قد حرمت عليه الجنة»^(٤).

(١) رواه مسلم في صحيحه، ط ١، حديث رقم ١٠٩، ج ١، ص ١٠٤.

انظر: الشوكاني: نيل الأوطار، دار الجليل، م ٤، ج ٧، ص ١٩٨. صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، ج ٢، ص ١٢٥.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، ج ٢، ص ١٢٥.

(٣) رقا الدم: انقطع بعد جريانه، والرقوء مثل رسول: اسم منه وعليه قوله لا تسبوا الإبل فإن منهارقوء الدم، أي حقنه، لأنها تدفع في الديات، فيعرض صاحب الثار عن طلبه فيحقن دم القاتل.

انظر: المصباح المنير، ج ١، ص ٢٣٦. صحيح مسلم، ط ١، ج ١، ص ١٠٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، ط ١، حديث رقم ١١٣، ج ١، ص ١٠٧.

انظر: الشوكاني: نيل الأوطار، دار الجليل، م ٤، ج ٧، ص ١٩٨.

ثالثاً: عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار» فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال، وكثرت به الجراح، فأثبتته، فجاء رجل من أصحاب النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أرايت الذي تحدثت أنه من أهل النار؟ قد قاتل في سبيل الله من أشد القتال فكثرت به الجراح. فقال النبي ﷺ: «أما أنه من أهل النار» فكاد بعض المسلمين يرتاب فينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح، فأهوى بيده إلى كنانته فانتزع منها سهماً، فانتحربها، فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله حديثك صدق الله حديثك. قد انتحرب فلان فقتل نفسه فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال: قم فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأن الله ليؤيد هذا الدين بالفاجر»^(١).

وفي رواية أخرى عن سهل بن سعد أن رجلاً من أعظم المسلمين في غزوة غزاها مع النبي ﷺ نظر إليه النبي فقال: «من أحب أن ينظر إلى الرجل من أهل النار فلينظر إلى هذا»، فاتبعه رجل من القوم، وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين، حتى جرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه^(٢) بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه، فأقبل الرجل إلى النبي ﷺ مسرعاً فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: وما ذاك؟ قال: قلت لفلان: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه، وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين، فعرفت أنه لا يموت

(١) رواه مسلم في صحيحه، ط ١، حديث رقم ١١١، ج ١، ص ١٠٥. البخاري في صحيحه، مطابع دار الشعب، م ٢، ج ٥، ص ١٦٨، ١٦٩. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، م ١، ج ٢، ص ١٢٢. الشوكاني: نيل الأوطار، دار الجليل، م ٤، ج ٧، ص ٢٠٢.

(٢) ذباب السيف: طرفه الأسفل الذي يضرب به. انظر: صحيح مسلم، ط ١، ج ١، ص ١٠٦.

على ذلك، فلما جرح استعجل الموت فقال النبي ﷺ عند ذلك: إن العبد ليعمل عمل أهل النار وأنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وأنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم^(١).

رابعاً: (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحق بن إبراهيم جميعاً عن سليمان. قال أبو بكر: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن حجاج الصواف، عن أبي الزبير عن جابر، أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! هل لك في حصن حصين^١ ومنعة^٢؟ (قال حصن كان لدوس في الجاهلية) فأبى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم والذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه، فاجتوا^٣ المدينة، فمرض، فجزع، فأخذ مشاقص^٤ له فقطع بها براجمه^٥، فشخبت^٦ يده حتى مات.

فراه الطفيل بن عمرو في منامه، فراه وهيئته حسنة، وراه مغطياً يده فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: ما لي أراك مغطياً يديك؟ قال قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت. فقصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم! وليديه فاغفر»^(٢) ^(٣).

(١) انظر: صحيح البخاري، م ٢، ج ٥، ص ١٦٨. صحيح مسلم، ط ١، حديث رقم ١١٢، ج ١، ص ١٠٦. صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٣، ج ٢، ص ١٢٤.
(٢) أ - يعني أرض دوس. ب - المنعة: جمع مانع كظلمة وظالم أي جماعة يمنعوك ممن يقصدك بمكروه. ج - فاجتوا المدينة: معناه كرهوا المقام بها لضجر ونوع من سقم، يقال اجتويت البلد إذا كرهت المقام به، وإن كنت في نعمة، وقيل أصله من الجوى، وهو داء يصيب الجوف. د - مشاقص: جمع مشقص، وهو سهم فيه نصل عريض. ه - براجمة: الراجم مقاصل الأصابع واحدها برجة. و - فشخبت يده: سال دمها، وقيل سال بقوة. انظر معاني هذه الكلمات: صحيح مسلم، ط ١، ج ١، ص ١٠٩. صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، ج ٢، ص ١٣٠، ١٣٢.

هذا الحديث يدل على أن من قتل نفسه ومات من غير توبة فهو آثم وليس
إبكافر ولا يقطع له بالنار بل هو في حكم المشيئة الإلهية^(١).

وبعد استعراض هذه الأدلة من القرآن والسنة أرى أن قتل رجل
الاستخبارات لنفسه إذا أحيط به من العدو حرام، وإن جزاءه في الآخرة مرده إلى
مشيئة الله تعالى إن شاء أخلده في النار، وإن شاء عذبه بما قتل به نفسه، وإن
شاء عفا عنه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا
عذب به يوم القيامة»^(٢). ولقوله صلى الله عليه وسلم: «ومن ذبح نفسه بشيء
ذبح به يوم القيامة»^(٣).

وأما الخلود في النار لمن قتل نفسه فقد يراد به طول المدة وغلظ التحريم
لا حقيقة الدوام والله سبحانه وتعالى أعلم.



-
- (٣) صحيح مسلم، ط ١، ج ١، ص ١٠٨، ١٠٩. حديث رقم ١١٦. صحيح مسلم
بشرح النووي، دار الفكر، م ١، ج ٢، ص ١٣٠، ١٣١.
(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، م ١، ج ٢، ص ١٣١، ١٣٢.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، ط ١، م ١، ج ١، ص ١٠٤. حديث رقم ١١٠.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، ط ١، م ١، ج ١، ص ١٠٥.

البَابُ الرَّابِعُ

وَسَائِلُ جَمْعِ الْمَعْلُومَاتِ الْإِسْتِخْبَارِيَّةِ



الفصل الأول: التجسس

الفصل الثاني: الوسائل الأخرى لجمع المعلومات

الفصل الأول

التجسس

المبحث الأول: تعريف التجسس لغة.

المبحث الثاني: تعريف التجسس اصطلاحاً.

المطلب الأول: تعريف الجاسوس.

المطلب الثاني: تعريف الجاسوسية.

المطلب الثالث: تعريف عام بطبيعة التجسس.

المطلب الرابع: تعريف عام بمجالات التجسس.

الفصل الأول

التجسس

يطلق على الذين يمارسون التجسس الاسم النوعي والذي يعتبر إلى حد ما ماساً بالكرامة، ولكن لما كان من معاني التجسس تتبع أخبار العدو واستطلاع ومقاومة تجسسه، أحيينا أن نذكر هنا معاني التجسس والجاسوس والجاسوسية.

إن تتبع واستطلاع أخبار العدو الذي غالباً ما يكون بواسطة الاستطلاع والعيون في الإسلام قد تحدثنا عنه في سياق حكم معرفة أخبار العدو، ولا نقصد بهذا البحث بيان حكم التجسس المؤدي إلى الوقوف على عورات الناس لأن ذلك محرم بالإجماع وله أحكامه الخاصة.

المبحث الأول

تعريف التجسس لغة

الجس: اللمس باليد كالاجتساس^(١) وموضعه المجسة وتفحص الأخبار والبحث عنها كالتجسس^(٢).

(١) أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، مطابع دار صادر، دار مكتبة الحياة، بيروت، (١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م)، م ١، ج ١، ص ٥٢٧.

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م)، م ٦، ص ٣٨. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: ابن منظور: لسان العرب.

والجسّ: مس العرق وتعرف نبضه للحكم على الصحة والسقم ومنه اشتق لفظ الجاسوس^(١).

وجسه بيده يجسه جساً واجتسه أي مسه ولمسه^(٢).

وجس الشيء بيده يجسه جساً مسه بيده ليتعرفه^(٣).

وجس الشخص بعينه أحد النظر إليه ليستبينه^(٤)، قال الشاعر^(٥):

محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، م ٤، ج ٢، ص ١١٩.

عبدالفتاح الصعيدي ورفقائه، الإفصاح في فقه اللغة، دار الفكر العربي، مطبعة المدني، الطبعة الثانية، ج ١، ص ٢٣٥، ٢٣٨. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: الصعيدي: الإفصاح.

سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، الطبعة اليسوعية، بيروت، ١٨٨٩، ص ١٢٣. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: الخوري، أقرب الموارد.

رينهارت دروزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة الدكتور محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة، بغداد، (١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م)، ج ٢، ص ٢٠٩. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: رينهارت: تكملة المعاجم.

(٢) الزبيدي: تاج العروس، ج ٤، ص ١١٩.

(١) سعيد أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر، الطبعة الأولى، سورة، دمشق، (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)، ص ٦٢. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: أبو حبيب: القاموس الفقهي.

(٢) رينهارت: تكملة المعاجم، ج ٢، ص ٢٠٩.

(٣) عبدالله البستاني اللبناني، فاكهة البستان، المطبعة الأميركية، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٣٠ م، ص ٢١٢. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيها بعد هكذا: البستاني: فاكهة البستان.

(٤) أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، ج ١، ص ٥٢٧.

الزبيدي: تاج العروس، ج ٤، ص ١١٩.

البستاني: فاكهة البستان، ص ٢١٢.

وقيسة كالذباب الطلس قلت لهم إني أرى شبحاً قد زالا أو حالا
فاعصو صبوا ثم جسوه بأعينهم ثم اختفوه وقرن الشمس قد زالا
والرواية بالحاء، يقال حسه وأحسه بمعنى، والبيتان لعبيد بن أيوب
العنبري والرواية^(١).

فاهز وزعوا ثم حسوه بأعينهم ثم اختفوه وقرن الشمس قد زالا
وجس الأرض، جساً: وطئها (وطأها). ومنه سمي الأسد جساساً^(٢).
وجس الخبر: تفحصه ويبحث عنه^(٣).

وجس: أرسله إرسالاً على غير رؤية^(٤).

اجتسه: اجتسه له ومسه بيده^(٥)، واجتست الإبل الكلاً: رعته بمجاسها -
أحناكها - اجتس الرجل أمر القوم التمسه^(٦).
تجسس:

مكتبة جامعة طهران

رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ج ٢، ص ٢٠٩.

(٥) الزبيدي: تاج العروس، ج ٤، ص ١١٩.

(١) الزبيدي: تاج العروس، ج ٤، ص ١١٩. رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ج ٢،
ص ٢٠٩.

(٢) إبراهيم مصطفى ورفقائه: المعجم الوسيط، المكتبة العلمية، طهران، ج ١، ص ٢٠٩.

(٣) إبراهيم مصطفى ورفقائه: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٢٣.

الخوري: أقرب الموارد، ص ١٢٣. رينهارت: تكملة المعاجم، ج ٢، ص ٢٠٩.

أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، ج ١، ص ٥٢٧.

(٤) أبو حبيب: القاموس الفقهي، ص ٦٢، ٦٣.

(٥) أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، ج ١، ص ٥٢٧. الزبيدي: تاج العروس،

ج ٤، ص ١٢٠.

الخوري: أقرب الموارد، ص ١٤٣.

(٦) البستاني: فاكهة البستان، ص ٢١٢. الخوري: أقرب الموارد، ص ١٢٣.

تجسس الخبر بحث عنه وفحص^(١) تجسس فلاناً تفحص وفتش عنه^(٢)
تجسس الأخبار: فتش عن بواطن الأمور، وتطلب معرفة الأخبار، وأكثر ما يقال
في الشر^(٣) وتجسس: بحث عن العورات^(٤).

والتجسس بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور، وقيل التجسس بالجيم أن
يطلبه لغيره، وبالحاء أن يطلبه لنفسه، وقيل بالجيم: البحث عن العورات،
وبالحاء الاستماع لحديث القوم وطلب خبرهم في الخبر.

حسن الرجل الشيء وبه يحسنه حساً وحسباً وأحسّه علمه وتحسن من
القوم تتبع أخبارهم، وتحسن للقوم، سعى في جمع الأخبار لهم^(٥)، وقيل إن
تجسس وتحسن معناهما واحد في تطلب معرفة الأخبار^(٦).

(١) الصعيدي: الإفصاح، ج ١، ص ٢٣٨. البستاني، فاكهة البستان، ص ٢١٢.
عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي: تفسير النسفي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت،
٤، ص ١٧٢. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: النسفي: تفسير. أبو
العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت: ٩٢٣ هـ)، إرشاد الساري لشرح
صحيح البخاري، وبهامشه صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق
مصر المحمية، دار صادر، الطبعة السادسة سنة ١٣٠٤ هـ، ج ٥، ص ١٤١. سيشار
لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: القسطلاني: إرشاد الساري.

(٢) أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، ج ١، ص ٥٢٧.

(٣) الخوري: أقرب الموارد، ص ١٢٣. أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، ج ١،
ص ٥٢٧. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن،
تفسير الخازن المسمى لباب التنزيل في معاني التنزيل، دار الفكر، ج ٤، ص ١٧١.
سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الخازن: تفسير.

(٤) أبو حبيب: القاموس الفقهي، ص ٦٣. رينهارت: تكملة المعاجم، ج ٢، ص ٢٠٩.
الزبيدي: تاج العروس، ج ٤، ص ١٢٠. أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية،
ج ١، ص ٥٢٧.

(٥) الصعيدي: الإفصاح، ج ١، ص ٢٣٥، ٢٣٨.
صديق حسن خان (ت: ١٣٠٧)، فتح البيان في مقاصد القرآن، عبدالمحي علي محفوظ، =

الجواس:

الجواس: الحواس الخمس: اليدان، العينان، الفم، الشم، السمع،
واحدة جاسة^(١) ويقال بالحاء^(٢) وهي في غير اليد مجاز^(٣).

الجاسوس:

-
- دار صادر، مطبعة العاصمة، القاهرة، ج ٥، ص ٤٠. سيشار لهذا المصدر عند وروده
فيما بعد هكذا: خان: فتح البيان.
- محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠ هـ)، فتح القدير، الناشر دار المعرفة للطباعة
والنشر، بيروت، ج ٣، ص ٤٩. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا:
الشوكاني: فتح القدير. محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩١ هـ/١٩٧٢ م)، ج ١١،
ص ٢٣٤. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: الطبطبائي: الميزان.
- محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة للطباعة
والنشر، الطبعة الثانية، (١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م)، ج ١٣، ص ٣٢.
- أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠ هـ): أحكام القرآن، دار
الكتاب العربي، بيروت، ج ٣، ص ٤٠٦. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد
هكذا: الجصاص: أحكام القرآن.
- (٦) عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، طبع بدار إحياء
الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وأولاده، ج ٤، ص ٢١٣. سيشار لهذا المصدر عند
وروده فيما بعد هكذا: ابن كثير: تفسير.
- تنوير المقياس في تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢٦، ص ٤٣٦،
٤٣٧.
- الخازن: تفسير، ج ٤، ص ١٧٠.
- الزبيدي: تاج العروس، ج ٤، ص ١١٩.
- البستاني: فاكهة البستان، ص ٢١٢. رينهارت: تكملة المعاجم، ج ٢، ص ٢٩.
- (١) أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، م ١، ج ١، ص ٥٢٧.
- البستاني: فاكهة البستان، ص ٢١٢.
- (٢) ابن منظور: لسان العرب: م ٦، ص ٣٨.
- (٣) أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، م ١، ج ١، ص ٥٢٧.

والجمع جواسيس، وهو الجسس والجمع أجسة^(١)، كشحيح وأشحة وعزيز وأعزة^(٢)، وهو العين الذي يتجسس الأخبار ثم يأتي بها^(٣) فالعين هو الجاسوس، تقول عان القوم ولهم عيانة صار عيناً لهم، وصار عيناً عليهم، كان عيناً عليهم^(٤).

والجاسوس، صاحب سر الشر ضد الناموس وهو صاحب سر الخير^(٥) وسمي عمله الجاسوسية^(٦).

المجس:

المجس والمجسة: الجمع مجاس، وفي المثل (أحناكها مجاسها) إنما

(١) إبراهيم مصطفى ورفقائه: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٢٣.
البتاني: فاكهة البستان، ص ٢١٢.

أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، م ١، ج ١، ص ٥٢٧.
(٢) الخوري: أقرب الموارد، ص ١٢٣.

أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، م ١، ج ١، ص ٥٢٧.

(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣/٨٥٢)، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة السلفية، ج ٦، ص ١٤٣.
البتاني: فاكهة البستان، ص ٢١٢.

رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ج ٢، ص ٢٠٩.
إبراهيم مصطفى ورفقائه: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٢٣.

(٤) الصعيدي: الإفصاح، ج ١، ص ٢٣٨، ٢٣٥.

(٥) الصعيدي: الإفصاح، ج ١، ص ٢٣٨، ٢٣٥.

أبو حبيب: القاموس الفقهي، ص ٦٣.

الزبيدي: تاج العروس، ج ٤، ص ١١٩.

رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ج ٢، ص ٢٠٩.

الخرشي على مختصر سيدي خليل، ج ٣، ص ١١٩.

صحيح مسلم (٢٠٦/٢٦١ هـ)، ط ٢، ١٩٧٢، حديث رقم ٢٥٦٣، ج ٤، ص ١٩٨٥.

(٦) أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، م ١، ج ١، ص ٥٢٧.

قيل ذلك لأن الإبل إذا أحسنت الأكل اكتفى الناظر بذلك في معرفة سمها من أن يجسها، وهو يضرب في شواهد الأشياء الظاهرة المعربة عن بواطنها^(١).

والمجس الموضع الذي تجسه بيدك^(٢)، والمجسة الموضع الذي تقع عليه يده إذا جسّه^(٣). والعرب تقول: فلان ضيق المجس إذا لم يكن واسع السرب ولم يكن رحب الصدر^(٤). ويقال في مجسك ضيق أي رحيب^(٥). والمجسة: آلة الجس والجمع مجاس ومجسات^(٦).

الجساس:

على وزن فعال، مبالغة الجاس، والجساس: الأسد المؤثر في الفريسة برأته فكأنه قد جسها، ومنه قول أبي ذؤيب في صفة الأسد.

صعب البديهة مشبوب أظافره مواسب أهرت الشديق جساس^(٧)

الجساسة:

مؤنث الجساس، والجساسة دابة يزعمون أنها في الجزائر تحس الأخبار فتأتي بها الدجال^(٨)، وقيل هي في جزائر البحر تجس الأخبار^(٩) وإنما سميت بذلك لأنها تجس الأخبار للدجال^(١٠).

(١) البستاني: فاكهة البستان، ص ٢١٢.

إبراهيم مصطفى ورفقائه: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٢٣.

(٢) أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، م ١، ج ١، ص ٢٥٧.

(٣) رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ج ٢، ص ٢٠٩.

(٤) إبراهيم مصطفى ورفقائه: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٢٣.

(٥) أحمد رضا: معجم متن اللغة العربية، م ١، ج ١، ص ٥٢٧.

(٦) البستاني: فاكهة البستان، ص ٢١٢.

إبراهيم مصطفى ورفقائه: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٢٣.

(٧) الخوري: أقرب الموارد، ص ١٢٣.

البستاني: فاكهة البستان، ص ٢١٢.

(٨) الزبيدي: تاج العروس، ج ١، ص ١١٩. البستاني: فاكهة البستان، ص ٢١٢.

(٩) البستاني: فاكهة البستان، ص ٢١٢.

(١٠) ابن منظور: لسان العرب، م ٦، ص ٣٨.

المبحث الثاني

تعريف التجسس اصطلاحاً

المطلب الأول

تعريف الجاسوس

من واجب القائد لكي يضع خطة سليمة للظفر بعدوه والأمن من غائلته أن يتعرف الكثير عن تحصيناته ومواقعه وتنظيماته العسكرية، ومبلغ قوته، وحركاته المقبلة وما إلى ذلك وما لا يسع القواد جهله قديماً وحديثاً، ولذلك كان لكل جيش استخباراته وجواسيسه في أعداد كبيرة وتنظيم محكم، وبين الدول في ذلك سباق لاهث بعيد المدى^(١)، ولقد وردت تعاريف عدة للجاسوس، نذكر منها ما وفقنا في الاطلاع عليه: الجاسوس هو:

١ - عنصر الاستخبارات المعادية أو الأجنبية الذي يمارس نشاطه الاستخباري ضد بلادنا^(٢).

٢ - الجاسوس هو من يرسله الكفار سراً يتجسس على المسلمين ويتعرف أمورهم ويبلغها الكفار^(٣).

٣ - الجاسوس هو الشخص الذي يعمل في الخفاء أو تحت ستار كاذب فيحصل

(١) النواوي: العلاقات الدولية، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٢) الفريق الركن محمد فتحي أمين، قاموس المصطلحات العسكرية، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٢ م، ص ١٤١.

(٣) منصور علي ناصف: التاج، ج ٤، ص ٤٠١.

أو يحاول الحصول على معلومات في منطقة الحركات العسكرية لأحد المحاربين بغية إبلاغها للخصم^(١).

٤ - الجاسوس هو العين والجمع عيون، ويسمى عين لأن عمله بعينه^(٢).

٥ - الجاسوس والجسيس الذي يتبحث أخبار الناس للحكام^(٣).

ولا شك أن تاريخ الاستخبارات، والحصول على معلومات منفصلة عن أعمال الاستطلاع العسكري في الميدان لهو قصة العملاء والجواسيس، ومن الصعب وضع معنى دقيق لكلمة جاسوس، فالكلمة تحمل أكثر من معنى بالنسبة للدولة، وبالنسبة للظروف المحيطة، عند العمل بالاستخبارات، فالشخص الذي يحاول الحصول على معلومات وهو يرتدي كسوته العسكرية ليس جاسوساً ولا عميلاً بل هو كشاف أو رجل استطلاع ويمنحه القانون الدولي حصانة توجب معاملته معاملة أسرى الحرب، أما الشخص الذي يكون دوره هو الحصول على معلومات سرية بواسطة وسائل سرية خفية مع ارتدائه ثياباً مدنية فإنه يصبح جاسوساً أو عميلاً ويتعرض في أغلب البلاد إلى الحكم بالإعدام إذا قبض عليه. وبالإضافة إلى ذلك فإن الشخص يكون خائناً كما يكون جاسوساً أو عميلاً إذا كان يعمل في خدمة دولة أجنبية ضد بلاده، ولقد أثرت الصعاب في محاولة تفسير التعاريف في حالة القوات غير النظامية التي يرتدي أفرادها ملابس عسكرية أو أكسية متعارف عليها يمكن تمييزها بسهولة ويسر^(٤).

ولا يعد من الجواسيس الجنود الذين يقبض عليهم في مناطق الأعداء ما

(١) الزحيلي: العلاقات الدولية، ص ٦١.

(٢) النواوي: العلاقات الدولية، ص ١٢٩. منصور علي ناصيف: التاج، ج ٤، ص ٤٠١.

(٣) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، دار الفكر، بيروت، ج ٣، ص ١٠٦.

(٤) انظر: صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٣. رئيس التحرير المقدم الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٢٥٢.

داموا لا يخفون شخصياتهم ولو كانوا يحاولون الاستيلاء على معلومات، أو المدنيون والجنود الذين يقبض عليهم وهم يعملون في نقل التعليمات أو المراسلات، أو الذين يهبطون بالمظلات.

أما في زمن السلم، فيعد جاسوساً كل من يحاول الاستيلاء على معلومات خاصة، بالقوات المسلحة أو الذخائر أو التحصينات أو وسائل الدفاع بقصد توصيلها إلى دولة أخرى^(١).

ولكن التمييز الواضح بين الأمن الداخلي (البوليس أو التجسس المضاد) وبين العمل الاستخباري الخارجي لم يظهر في الواقع إلا بعد حلول القرن الثامن عشر، ويعزى ذلك إلى التطور السياسي الذي كان من حصيلة ظهور فكرة الولاء للدولة بدلاً من فكرة الولاء للحاكم، كنتيجة مباشرة لذلك بدأ الحكام يولون عناية متزايدة لمعرفة الرأي الخارجي ونشأت بالتالي الحاجة إلى وجود سياسة دبلوماسية وضرورات استخبارية جديدة^(٢).

المطلب الثاني

تعريف الجاسوسية

عندما يطلب من الاستخبارات استخدام وسائلها السرية للحصول على معلومات معينة فإن ذلك يعني أنه لم يعد من الممكن الحصول على هذه المعلومات من المصادر العلنية أو بالوسائل الدبلوماسية، وإن السبب في ذلك هو التيقن من وجود عراقيل وعوائق لها وزنها، جعلت الحصول على هذه المعلومات أمراً يصعب تحقيقه إلا بوسائل تهتم الجاسوسية باستخدامها^(٣).

(١) انظر: أحمد عطية الله: القاموس السياسي، دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٦٨ م، ص ٢٦٦.

(٢) انظر: الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٢٥٢.

(٣) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٧٢.

والجاسوسية نوع من أنواع العمل الاستخباري هدفه البحث والحصول على المعلومات المتعلقة بدولة ما ونقلها بطرق سرية خاصة من مكانها إلى مكان آخر بواسطة عملاء دولة أخرى. والتجسس بهذا المعنى يعني أنواعاً مختلفة من النشاطات المتعلقة بالأمن القومي والسياسة الخارجية التي تمارسها الدولة، وتنبع أهميته من أن كافة القرارات تتخذ بناء على توافر معلومات معينة^(١).

وقيل في تعريفها: هي ذلك الجزء من مجهود الاستخبارات الشامل الذي يهدف إلى التفتيش السري على مجهودات الدول الأخرى، لتحقيق من قوتها وتحركاتها، وهي المجهود للكشف بواسطة طرق خفية عن أسرار الآخرين، وبسبب الظروف والمصاعب التي تكتنف الجاسوسية فهي واجب مستقل قائم بذاته على أنها في تحليلها النهائي لا تزال تعتبر جزءاً لا يتجزأ من التخطيط الإجمالي الشامل للاستخبارات^(٢).

وقيل هي: استطلاع أخبار العدو في الحرب وفي السلم واستطلاع حركاته ومعداته بقصد إيصال أنبائها إلى الدولة أو الجيش للاحتياط لها أو الالتقاء منها أو لمعرفة نقط الضعف عند العدو للاستفادة منها والهجوم عليه منها، أو بغية معرفة سلاحه لمقاومته بمثله أو للالتقاء منه بسلاح مضاد^(٣).

وذكر أن التجسس أو التجسس هو أن تتبع أو تبغى عيب أخيك لتطلع على سره^(٤).

(١) الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٢٥٠.

(٢) صلاح نصر: الحرب الخفية، ص ١٢. أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٧٢.

(٣) محمد المعراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٢٤.

(٤) انظر: الطبري في تفسير القرآن ج ٢٦، ص ٨٦.

انظر: طنطاوي جوهرى، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى، بابي الحلبي وأولاده، مصر، ج ٢١، ص ١٤٢.

الجاسوسية : محاولة للحصول بطريقة سرية أو بوسائل ادعائية مزيفة على معلومات عن حكومة ما من أجل حكومة أخرى، وأن الكثير من الحكومات تستخدم جواسيس ومخربين وعملاء سرّيين لكي يزودوا الهيئات التي تستخدمهم بالمعلومات والأموال والأنشطة والآراء والعلاقات التي تسود أهل البلد الذي يعملون فيه^(١).

الجاسوسية : هي العمل سرّاً وبادعاء كاذب ليستولي شخص أو ليحاول الاستيلاء على معلومات حيوية لغرض توصيلها إلى الأعداء^(٢).

الجاسوسية : تتبع أخبار العدو، والفحص عن بواطن الأمور^(٣).

المطلب الثالث

تعريف عام بطبيعة التجسس

وتختلف طبيعة التجسس باختلاف طبيعة المعلومات المطلوبة. فتحتاج وزارة الحربية مثلاً إلى معلومات عسكرية عن العدو والأرض، وتحتاج وكالة

= محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، المطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٠ م، ٧ ص، ١٢٠.

الطباطبائي: الميزان، ج ١١، ص ٢٣٤.

محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المؤسسة العربية العامة للنشر والتأليف، الناشر دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٦٧ م، ج ١٦، ص ٢٣٠ - ٣٣٤.

سيد قطب: في ظلال القرآن، الطبعة ٧، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ج ٢٦، ص ٥٣٤.

(١) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٧٢.

(٢) أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ٢٦٦.

(٣) انظر: وهبة الزحيلي: العلاقات الدولية، ٦١.

الخطيب الشربيني: تفسير القرآن الكريم، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثاني، ج ٤، ص ٧٠.

المراغي: تفسير ج ١٦، ص ١٣٨.

الطاقة إلى معلومات علمية، وتحتاج وزارة الخارجية إلى معلومات سياسية، أما رئيس الدولة فإنه يحتاج إلى مزيج من هذه المعلومات جميعها بالإضافة إلى المعلومات الاقتصادية والنفسية ويختلف نوع التجسس ونوع وسيلة جمع المعلومات تبعاً لذلك^(١). فهناك «التجسس العسكري» وهدفه الحصول على المعلومات المتعلقة بالقدرات العسكرية لدولة، ويتم الحصول على قدر كبير منها بواسطة الملحقين العسكريين في السفارات، ومن الملاحظ أن الحصول على المعلومات العسكرية يكون أكثر صعوبة في زمن السلم منه في زمن الحرب ففي الحرب يمكن الحصول على المعلومات المطلوبة بتحريك مجموعات الاستطلاع العسكرية وعن طريق أسرى قوات العدو ومعداته، ومن أهم المعلومات العسكرية التي تسعى أجهزة التجسس للحصول عليها المعلومات الخاصة بتنظيم المؤسسة العسكرية لدولة ما، وإجراءاتها وتحصيناتها، وانتشارها، وتدابيرها الاحتياطية والأمنية ومعداتها وعدد وحداتها ومجموع أفرادها ومستوى تدريبهم ومعنوياتهم وروحهم القتالية^(٢).

وهناك التجسس السياسي، ولقد كانت البعثات الدبلوماسية ولا تزال الوسيلة الرئيسية لجمع المعلومات السياسية من مصادرها العلنية، وتدعمها في ذلك أجهزة الاستخبارات المتخصصة بواسطة عملاء سريين يقومون بالتجسس لحسابها.

وهناك التجسس الاقتصادي. إذ تهتم أجهزة التجسس بتجميع المعلومات المتعلقة بالنشاط التجاري والمالي للدول الأخرى.

ولا تقتصر أنواع التجسس على الأنواع الثلاثة التي سبق ذكرها، فقد ولد التقدم التكنولوجي العالمي سباقاً بين القدرات العسكرية والإجراءات الدفاعية

(١) الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٢٥٠.

(٢) الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٢٥١.

وبين الأساليب الحديثة لجمع المعلومات الاستخبارية والأساليب الحديثة لجمع المعلومات السرية، وأخيراً فإننا نجد أجهزة الاستخبارات والتجسس تعكف بشكل متواصل على تجميع المعلومات المتعلقة بمجالات متعددة^(١).

المطلب الرابع

تعريف عام بمجالات التجسس

ويصنف التجسس بحسب مجالاته إلى فئات ثلاث:

- أولاًها: التجسس الاستراتيجي (ويسمى أحياناً بالتجسس القومي) وهو أوسعها مجالاً إذ يغطي المعلومات المتعلقة بقدرات الدول الأخرى ونواياها^(٢).
- ثانياً: التجسس التكتيكي (ويسمى أحياناً بالتجسس القتالي)، ويغطي المعلومات التي يحتاجها القائد الميداني^(٣).

(١) صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ٨٠، ٨١، ١٧٢.

أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ١١٦٢.

عبد الوهاب الكيالي ورفقائه: موسوعة السياسة، ج ١، ص ١٦٩.

الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ط ١، ج ١، ١٩٧٧ م.

حافظ إبراهيم خير الله: عالم الاستخبارات، ص ٢١٣.

(٢) عبد الوهاب الكيالي ورفقائه: موسوعة السياسة، ج ١، ص ١٦٩، ١٧١.

توفيق حسين: التجسس والنفط والحرب، ص ١٥، ١٦.

محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٦.

الهيثم الأيوبي ورفقائه: الوجيز في الحرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٧٠.

أكرم ديردي: آراء في الحرب الاستراتيجية وطريقة القيادة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨١، ص ١٣، ١٤.

الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٢٥١.

(٣) الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٢٥١.

أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٢٦ - ٢٨.

ثالثها: التجسس المضاد وهو عبارة عن مجموعة الإجراءات البوليسية المضادة التي تتخذها إحدى الدول للمحافظة على المعلومات السرية التي تملكها، ومنع عملاء العدو من الوصول إليها، والحفاظ على سرية عملياتها التجسسية واكتشاف نوايا وعمليات العدو المماثلة^(١).

وأياً كان نوع العمل التجسسي فهو عمل شاق ومنظم يهدف إلى جمع المعلومات من مصادرها ويمر هذا العمل بعدة مراحل هي:

أ - مرحلة تحديد ماهية المعلومات المطلوبة، أو بعبارة أخرى وضع خطة الاحتياجات من المعلومات المطلوبة، خوفاً من قيام جهاز التجسس بتجميع المعلومات بشكل عشوائي يترك صانع القرار في النهاية بدون المعلومات التي تساعد في اتخاذ القرار.

ب - مرحلة نقل المعلومات من مكانها إلى حيث يمكن تناولها بالتحليل.

ج - مرحلة دراسة المعلومات المجمعة وتحليلها وتقديرها. وتهدف هذه المرحلة إلى وضع المعلومات في قالب عملي ليتسنى التصرف بها أو حفظها للمستقبل، وتنبع أهمية تقدير المعلومات من تعدد مصادرها واختلاف درجة الثقة بهذه المصادر، لذلك نجد أجهزة التجسس تقوم بوضع مقاييس خاصة بها تحدد درجة الثقة بمصادر المعلومات، ومدى دقة هذه المعلومات، وتهدف هذه المرحلة إلى تجنب اتخاذ قرارات مبنية على معلومات خاطئة أو غير كافية، إذ أن هذه القرارات تكون مجلبة للكوارث على الدوام.

محمود شيت خطاب: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٦.

(١) محمد جمال الدين محفوظ: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص ١٥٧.

صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٣٠.

الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٢٥١.

محمود شيت خطاب: اقتباس النظام العسكري، ص ١٧٤.

د - وضع المعلومات تحت تصرف واضع القرار في الوقت المناسب . إذ لا يعني كون المعلومات صحيحة أنها تؤدي بالضرورة إلى قرارات نهائية صائبة، ولا يكفي أن تحتوي ملفات الدولة على معلومات صحيحة، وإنما ينبغي استخدامها في حينها، وقبل فوات الأوان^(١).

والجاسوسية مثل الاستخبارات تتحرك على مستويات مختلفة، منها الاستراتيجية والتكتيكية والسياسية والعسكرية والصناعية وغيرها.

ويوجد فارق واضح بين الجاسوسية الإيجابية التي تدار في صورة هجومية للحصول على أسرار الدول الأجنبية وبين الجاسوسية المضادة والمقصود بها حماية أسرار الدولة والقبض على أولئك الذين يحاولون الكشف عنها لمصلحة دولة أجنبية^(٢).

ويطلق على كل أولئك الذين يمارسون الجاسوسية الإسم النوعي الذي يعتبر إلى حد ما ماساً بالكرامة وهو الجاسوس.



-
- (١) محمد جمال محفوظ: المدخل إلى العقيدة الاستراتيجية الإسلامية، ط ١٩٧٦، ص ١٤٩.
محمود شيت خطاب: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٥، ١٦٦.
الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية، ط ١، ج ١، ص ٢٥١.
(٢) أحمد هاني: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، ص ٧٢.
صلاح نصر: حرب العقل والمعرفة، ص ١٢٨.
الهيثم الأيوبي: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٢٥١.
محمد جمال محفوظ: المدخل إلى العقيدة الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص ١٤٩.
عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج ١، ص ١٦٩، ١٧١.
أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ص ١١٦٣.
حافظ إبراهيم خير الله: عالم الاستخبارات، ص ٢٣.

الفصل الثاني

الوسائل الأخرى لجمع المعلومات

المبحث الأول: أسرى الحرب.

- المطلب الأول: حكم استجواب الأسير وضربه وتوثيقه.
- المطلب الثاني: حكم قتل الأسير إذا رفض الإدلاء بالمعلومات.
- المطلب الثالث: حكم فداء الأسير مقابل إخبار المسلمين عن أعدائهم.

المبحث الثاني: الأدلاء والعملاء.

- المطلب الأول: حكم اتخاذ الأدلاء ودليل اتخاذهم.
- الفرع الأول: حكم اتخاذ الأدلاء.
- الفرع الثاني: دليل اتخاذ الأدلاء.
- المطلب الثاني: العملاء.

المبحث الثالث: الاستطلاع، تعريفه وأقسامه.

- المطلب الأول: تعريفه.
- المطلب الثاني: أقسامه.
- الفرع الأول: أقسام الاستطلاع نظراً لأهميته.
- الاستطلاع البري.
- الاستطلاع البحري.
- الاستطلاع الإلكتروني.
- الفرع الثاني: أقسام الاستطلاع من الناحية العملية.

- أولاً: الاستطلاع التكتيكي .
- ثانياً: الاستطلاع العملياتي .
- ثالثاً: الاستطلاع الاستراتيجي .

- المبحث الرابع: من السكان والسياح والضالين .
- المبحث الخامس: من تنقلات العدو وتحركاته .
- المبحث السادس: العيون والسرايا .
- المبحث السابع: الإذاعة والتلفزيون .



المبحث الأول

أسرى الحرب

المطلب الأول

حكم استجواب الأسير وضربه وتوثيقه

أجاز الفقهاء استجواب الأسير وضربه واستدلوا بما رواه مسلم في صحيحه حيث قال:

(حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عباد فقال: إيانا تريد؟ يا رسول الله! والذي نفسي بيده! لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها^(١)، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها^(٢) إلى برك الغماد^(٣) لفعلنا. قال: فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدرأ، ووردت عليهم روايا قريش^(٤) وفيهم غلام أسود لبني الحجاج، فأخذوه، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أبي سفيان،

(١) أن نخيضها البحر لأخضناها: يعني الخيل.

(٢) أن نضرب أكبادها: كناية عن ركضها. فإن الفارس إذا أراد ركض مركوبه يحرك رجله من جانبيه ضارباً على موضع كبده.

(٣) برك الغماد: موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل، وقيل بلدتان.

(٤) روايا قريش: أي إبلهم التي كانوا يستقون عليها، فهي الإبل الحوامل للماء، وأحدثها رواية.

وأصحابه؟ فيقول: ما لي علم بأبي سفيان، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربه، فقال نعم، أنا أخبركم، هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه قال: ما لي بآبن سفيان علم، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس، فإذا قال هذا أيضاً ضربه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي! فلما رأى ذلك انصرف، قال: «والذي نفسي بيده! لتضربوه إذا صدقكم، وتتركوه إذا كذبكم». قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا مصرع فلان» قال: ويضع يده على الأرض ههنا وههنا. قال: فما ماط أحدهم^(١) عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

يستدل بهذا الحديث على أمور^(٣):

- ١ - جواز استجواب الأسير من أجل الحصول منه على معلومات.
- ٢ - جواز ضرب الكافر الذي لا عهد له وإن كان أسيراً حتى يصرح بما يعرفه من أخبار ومعلومات عن الأعداء أو حتى يرى فيه الإمام رأيه.

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد، أنه سمع أبا هريرة يقول: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ماذا عندك يا

(١) فما ماط أحدهم: أي تباعد.

انظر: معاني كلمات (٧٥٩ - ٧٦٣): صحيح مسلم، ط ١، ج ٣، ص ١٤٠٤. صحيح مسلم بشرح النووي، م ٦، ج ١٢، ص ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، ط ١، حديث رقم ١٧٧٩، ج ٣، ص ١٤٠٤. رواه البيهقي: سنن، ج ٩، ص ١٤٨.

أبو داود: سنن، دار إحياء التراث العربي، حديث رقم ٢٦٨١، ج ٣، ص ٥٨.

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، م ٦، ج ١٢، ص ١٢٦.

صحيح مسلم، ط ١، حديث رقم ١٧٧٩، ج ٣، ص ١٤٠٤.

ثمامة؟» فقال: عندي، يا محمد! خير، إن تقتل تقتل ذا دم^(١) وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك؟ يا ثمامة!» قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكرك وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من الغد، فقال: «ماذا عندك؟ يا ثمامة!» فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكرك وإن تقتل تقتل ذام دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أطلقوا ثمامة» فانطلق إلى نخل^(٢) قريب من المسجد، فاغتسل. ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد! والله! ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، والله! ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، والله! ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال به قائل: أصبوت^(٣) فقال: لا، ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله! لا يأتاكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤).

(١) إن تقتل تقتل ذا دم: إن تقتل تقتل صاحب دم، لدمه موقع يشتهي بقتله قاتله، ويدرك قاتله به ثأره، أي لرياسته وفضيلته، وقيل معناه تقتل من عليه دم مطلوب به، وهو مستحق عليه، فلا عتب عليك في قتله. انظر: صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٣٨٦.

صحيح مسلم بشرح النووي، م ٦، ج ١٢، ص ٨٨.

(٢) فانطلق إلى نخل: تقديره انطلق إلى نخل فيه ماء فاغتسل منه.

انظر: صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٣٨٦. صحيح مسلم بشرح النووي، م ٦، ج ١٢، ص ٨٨، ٨٩.

(٣) أصبوت: أخرجت من دينك. انظر: صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٣٨٧.

صحيح مسلم بشرح النووي، م ٦، ج ١٢، ص ٨٩، ٩٠.

وجه الاستدلال في هذا الحديث^(١):

١ - قوله: «فجاء رجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد». في هذا دليل على جواز ربط الأسير وحبسه حتى يدلي بمعلومات عن الأعداء أو يحصل منه على ما يريده قائد المسلمين.

٢ - قوله ﷺ: «أطلقوا ثمامة» فيه دليل على جواز المن على الأسير.

٣ - قوله ﷺ: «ما عندك يا ثمامة» كرر ذلك ثلاثة أيام. هذا من تأليف القلوب وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير.

وجاء في كتاب زاد المعاد: أن الدورية التي بعثها النبي ﷺ قبيل بدر أتت بغلامين لقريش فتولى الرسول ﷺ استجواب الغلامين، فعلم منهما أن قريشاً وراء الكتيب بالعدوة القصوى، ولما أجابا بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش سألهما كم ينحرون من الجزر - أي من الإبل - في كل يوم؟ فقالا: يوماً تسعة ويوماً عشرة، فاستنبط الرسول ﷺ من ذلك أنهم بين التسعمائة والألف، لأن العرب عادتهم يخصصون بغيراً لكل مائة، وكذلك عرف الرسول من خلال استجواب الأسيرين أن أشراف قريش خرجوا لقتاله^(٢).

(٤) انظر: صحيح مسلم، ط ١، حديث رقم ١٧٦٤، ج ٣، ص ١٣٨٦.

صحيح مسلم بشرح النووي، م ٦، ج ١٢، ص ٨٧.

منصور علي ناصر: التاج، ج ٤، ص ٣٩٣.

أبو داود: سنن، دار إحياء التراث العربي، حديث رقم ٢٦٧٩، ج ٣، ص ٥٧.

البيهقي: سنن، ج ٩، ص ٨٨.

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، م ٦، ج ١٢، ص ٨٧ - ٨٩.

منصور علي ناصر: التاج، ج ٤، ص ٣٩٣ - ٣٩٥.

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ط ١، ج ٣، ص ١٧٥. ابن هشام: سيرة، دار

الفكر، ج ٢، ص ٢٥٦ - ٢٦٨. أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ١١٤. عون، الفن

الحربي، ص ٢١٦. محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٥.

وفي فتح قيسارية^(١) قتل جنود عمرو بن العاص جاسوساً رومانياً وقع أسيراً بين أيديهم فغضب عمرو لذلك، وقال لهم: هلا أتيتموني به لاستخبره؟ فكم عين تكون علينا ثم تصير لنا^(٢). واستطاع سعد بن أبي وقاص أن يعرف من أسرى الروم مقاتل الفيلة التي أزعجتهم في القادسية^(٣).

المطلب الثاني

حكم قتل الأسير إذا رفض الإدلاء بالمعلومات

في حالة اليأس من الأسير وعدم الانتفاع به، فإنه يجوز قتله خشية أن يصل إلى أصحابه بما وصل معه من أسرار.

فقد رأى الرسول ﷺ في غزوة حنين عيناً للمشركين هارباً بعد أن اطلع على رقة وضعف المسلمين فأحل الرسول دمه وقال: «اطلبوه فاقتلوه»^(٤) فلحق به سلمة بن الأكوع وأمسكه أسيراً ثم قتله.

وفي غزوة بني المصطلق ألقى المسلمون القبض على أحد الجواسيس، فصار أسيراً، فاستجوبه النبي ﷺ عن قومه فلم يذكر شيئاً، فعرض عليه الإسلام فأبى، فأمر عمر أن يضرب عنقه ففعل^(٥).

(١) قيسارية: مدينة قديمة بناها هيرودس الكبير ٤٠ - ٤٠ ق.م بين حيفا ويافا، مركز إقامة الحكام الرومان، وكرسي أسقي كانت له الرئاسة في فلسطين احتلها المسلمون ٦٣٣ هـ، لم يبق منها اليوم إلا أنقاض. انظر: الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٢١. المنجد في اللغة والاعلام، ص ٥٦٠.

(٢) انظر: عبدالروؤف عون: الفن الحربي، ص ٢١٦. أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ١١٤.

(٣) الطبري: تاريخ، عدد الأجزاء ١١، بدران، ج ٣، ص ٥٥٥.

(٤) انظر: أبو داود: سنن، دار إحياء التراث العربي، حديث رقم ٢٦٥٣، ٢٦٥٤، ج ٣، ص ٤٩.

(٥) انظر: سيد سابق: فقه السنة الأجزاء ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، م ٢، ص ٦٨٦.

وأوصى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص: ولا تؤتى بأسير ليس له عهد إلا ضربت عنقه لترهب بذلك عدو الله وعدوك^(١).

المطلب الثالث

حكم فداء الأسير مقابل إخبار المسلمين بعورة أعدائهم

بعد غزوة بدر من الرسول ﷺ على بعض الأسرى كأبي عزة الشاعر، وفادى أكثرهم بمال، واكتفى من الباقيين بتقديم خدمات للمسلمين كتعليم صبيان المدينة، إما لأنهم لا يملكون أموالاً وإما لأن رسول الله أراد أن يستفيد من خدماتهم وخبراتهم، وعلى أية حال فقد قبل الرسول ﷺ الفداء مقابل خدمات، وانطلاقاً من هذا المفهوم يمكننا القول أننا في هذا الزمان حيث أن الحروب تحتاج إلى مزيد من الخبرات كما تحتاج إلى معرفة أكثر أسرار الأسلحة الحديثة، يمكننا القول أن لرئيس الدولة الأمر في فداء بعض الأسرى مقابل خدمات يؤدونها إلينا، كأن يفيدونا من معلوماتهم العسكرية أو الهندسية أو الطبية أو نحو ذلك من العلوم المستحدثة^(٢).

مركزية كيمياء علوم إسلامية

أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ج ٢، ١٩٧٤، ص ١١٥. عون: الفن الحربي، ص ٢١٦.

(١) انظر: ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، دار الفكر، ط ١، ص ٩٣.

(٢) انظر: المرغيناني: الهداية، ج ٢، ص ١٤٢. الشربيني: مغني المحتاج، دار الفكر،

ج ٤، ص ٢٢٨. صحيح مسلم بشرح النووي، م ٦، ج ١٢، ص ٦٩.

منصور علي ناصيف: التاج، دار الفكر، ج ٥٤، ص ٣٩٥. الصنعاني: سبل السلام،

ط ٤، ج ٤، ص ٥٥. عون: الفن الحربي، ص ٢١٦. محمد علي الحسن: العلاقات

الدولية، ط ٢، ١٩٨٢، ص ٢٠٠ - ٢٠١. الجزائري: منهاج المسلم، ط ٨، ١٩٧٦،

ص ٣١١.

المبحث الثاني

الأدلاء والعملاء

المطلب الأول

حكم اتخاذ الأدلاء ودليل اتخاذهم

الفرع الأول: حكم اتخاذ الأدلاء:

يجوز اتخاذ الأدلاء من المسلمين ومن غيرهم إذا اضطر إلى غير المسلم في الدلالة وبهذا قال أبو حنيفة وأصحابه: «إذ قالوا غير المسلم يرضخ له ولا يسهم له من الغنيمة» والشافعية: «إذ قالوا يرضخ لغير المسلم إذا لم يكن مستأجر»، وبعض الحنابلة والظاهرية والهادوية^(١).

الفرع الثاني: دليل اتخاذ الأدلاء:

(١) انظر: المرغيناني: (ت: ٥٩٣)، الهداية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج ٢، ص ١٤٧، ١٤٨.

الشربيني: مغني المحتاج، دار الفكر، ج ٢٢٩، تكملة المجموع شرح المذهب، ج ١٩، ص ٣٤٩. تقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني الدمشقي الشافعي، كفاية الأخيار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، ج ٢، ص ١٣١. ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٤١٤. ابن حزم: المحلى، دار الفكر، فقرة ٩٥٤، ج ٧، ص ٣٣٥. البوطي: فقه السيرة، دار الفكر، ص ٣٩٢. البيهقي: سنن، ج ٩، ص ٣٧.

محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير (١٠٥٩ م - ١٩٨٢ م)، سبل السلام، ٤، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠، ج ٤، ص ٥٤٩ - ٥٠. منصور علي ناصف: التاج، دار الفكر، ج ٤، ص ٣٥٩.

١ - في الهجرة اتخذ الرسول ﷺ عبدالله بن أريقط^(١) دليلاً يدلّه على المسالك وكان مشركاً وكان خبيراً بالأرض أو مسالك الطرق المؤدية إليها^(٢).

استعمل الرسول ﷺ في غزوة خيبر حسيل بن خارجة وعبدالله بن نعيم من قبيلة أشجع النجدية التي يرتاد رجالها دائماً في الجاهلية منطقة خيبر، وكان هؤلاء يعرفون طبيعة الأرض وتضاريسها وكان لهم خبرة بها^(٣).

وصاة النبي ﷺ أسامة بن زيد حينما ولّاه الجيش المتجه لغزو الروم، ومن وصاته الإغارة على أبناء وان يتخذ معه الأدلاء وأن يقدم أمامه العيون والطلائع^(٤).

وأوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد أن يسير بالأدلاء عندما بعثه لحروب الردة^(٥). واهتم المسلمون باستخدام النجوم في الدلالة أثناء

(١) عبدالله بن أريقط الليثي من بني الدليل بن بكر وأمه من بني سهم، كان دليلاً للنبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة، جزم عبدالغني أنه لم يعرف له إسلاماً.
انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، م ٢، ج ٤، ص ٣٠٩، ٣١٠. علي برهان الدين الشافعي: السيرة الحلبية، بيروت، ج ٢، ص ٤١.

(٢) انظر: ابن حزم، دار الفكر، فقرة ٩٥٤، ج ٧، ص ٣٣٥. ابن هشام: سيرة، دار الفكر، ج ٢، ص ١٠٤. برهان الدين الشافعي: السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٤١.
البوطي: فقه السيرة، دار الفكر، ص ١٨٠. محمد الخضري: نور اليقين، مؤسسة علوم القرآن، ص ٨٩. محمد الغزالي: فقه السيرة، ط ٧، ص ١٧١. عبدالسلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ط ٨، ص ١١٥. محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ٢٥٩.

(٣) محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ٢٥٩.

(٤) انظر: أبو داود: سنن، حديث رقم ٢٦١٦، ج ٣، ص ٣٨.

أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الحنفي السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١ هـ / ١١٤ - ١١٨٥ م)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ٤، دار المعرفة للطباعة والنشر، طبعة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ج ٤، ص ٢٤٦. ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، ج ٢، ص ١٩٠.

(٥) انظر: ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج ١، ص ٩٢.

السير فالرسول ﷺ بين فيما رواه ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١) أن المراد الجدي يهتدى به وعليه قبة المسلمين^(٢).

المطلب الثاني

العملاء

يجوز استعمال العملاء والاستعانة بهم في جمع المعلومات، وقد اهتم الرسول ﷺ بذلك وكان عمه العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه في مكة يبعث له بأخبار ونوايا قريش^(٣). وقد قسم صن تزو في كتابه فن حرب العملاء إلى خمسة أقسام^(٤):

١ - العملاء المحليون: وهم مواطنون في دولة العدو تقوم باستخدامهم.

٢ - العملاء الداخليون: هم رجال رسميون في دولة العدو تقوم باستخدامهم.

٣ - العملاء المزدوجون: هم جواسيس العدو الذين تقوم باستخدامهم.

يقول الهرثمي^(٥): «ذكرُوا عَنْ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فِي الْحَرْبِ أَنَّهُ كَانَ يَصِيرُ جَاسُوسٌ عَدُوهُ جَاسُوساً لَهُ، عَلَى أَنْ يَصْدُقَهُ وَيَصْدُقَ عَنْهُ، وَيُعْطِيَهُ عَنْ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطِيهِ عَدُوَّهُ».

وجاء في صبح الأعشى^(٦): اعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك

(١) آية رقم ١٦، سورة النحل.

(٢) أحمد بن حنبل: مسند وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ٦، دار صادر للطباعة والنشر، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، م ٣، ج ٣، ص ١٥٧.

(٣) محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٦٩. محمود أبو ليل: أسس العلاقات، ص ٣٥١. أحمد شلبي: الجهاد والنظم، ص ٨٨.

(٤) صن تزو: فن الحرب، ص ١٥١، ١٥٢.

(٥) الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، ص ٢٤.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٠، ص ٢١٤.

وربما غشوك، وربما كانوا لك وعليك، فنصحوا لك وغشوا عدوك، وغشوك
ونصحوا عدوك، وكثيراً ما يصدقونك ويصدقونه.

٤ - العملاء الهالكون: هم جزء من جواسيسنا الذين تزودهم بشك متعمد
بمعلومات غير صحيحة، إذ نقوم بتسريب معلومات كاذبة ونسمح لعملائنا
بمعرفتها، وعندما يلقي العدو القبض على هؤلاء العملاء الذين يعملون داخل
أراضيه فمن المؤكد أنهم سيعترفون له بهذه المعلومات الكاذبة، فإذا صدقهم
العدو فإنه يجري استعداداته على هذا الأساس، لكن تحركاتنا لن تنسجم مع
ذلك بالطبع.

٥ - العملاء الفعالون: هم العملاء الأذكياء القادرين على بناء صداقات مع
رجال العدو القريبين من الحكم ومن النبلاء وبهذا يستطيعون مراقبة ومعرفة
وضع العدو الحقيقي.



المبحث الثالث

الاستطلاع تعريفه وأقسامه

المطلب الأول

تعريفه

هو مجموعة التدابير المتخذة لجمع المعلومات الدقيقة عن تحركات العدو واكتشاف مواقعه المتقدمة والخفية بغية مساعدة القائد على اتخاذ قرار سليم بناء على معلومات دقيقة ما أمكن، ومساعدة القوات الصديقة على تجنب المفاجآت العدوانية.

إن استطلاع أخبار العدو جائز شرعاً لم يختلف فيه بين الفقهاء فقد قال بجوازه كل من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية^(١).

(١) انظر: العدوي: حاشية، دار المعرفة، ج ٢، ص ٦، ٧.

البحيري: حاشية، ديار أبي بكر، ج ٤، ص ٢٥٢. الكشناوي: أسهل المدارك، ج ٢، ص ٥. قليوبي وعميرة: حاشية، ص ٢٢٧. أبو يحيى الشافعي: شرح روض الطالبين، المكتبة الإسلامية ج ٧، ص ١٨٨. ابن قدامة: المقنع، ج ١، ص ٤٩٣. ابن قدامة: الشرح الكبير على متن الإقناع، ج ٥، ص ٥٢٥. الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٤٣. ابن حزم المحلي، فقرة ٩٥٦، ج ٧، ص ٣٤٠. ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، ج ٢، ص ٨٥، صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٢، ج ١٢، ص ١٤٥، ١٤٦. البيهقي: سنن، دار الفكر، ج ٩، ص ١٤٨. علي ناصف: التاج ط ٣، ج ٤، ص ٤٠. محمود أبو ليل: أسس العلاقات الدولية، ص ٣٥١. الزحيلي: العلاقات الدولية، ص ٦٣. محمد المراوي: شريعة الحرب في الإسلام، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

المطلب الثاني

أقسامه

الفرع الأول: أقسام الاستطلاع نظراً لأهميته:

ونظراً لأهمية الاستطلاع أصبح ينقسم إلى استطلاع بري واستطلاع بحري واستطلاع أليكتروني^(١).

الفرع الثاني: أقسام الاستطلاع من الناحية العملية:

ويقسم الاستطلاع من الناحية العملية إلى استطلاع تكتيكي واستطلاع عملياتي واستطلاع استراتيجي^(٢).

أولاً: الاستطلاع التكتيكي: ويستهدف الاستطلاع التكتيكي جمع المعلومات الدقيقة عن تحركات ومواقع العدو قبل التماس معه أو قبل بدء المعركة وبصورة تخدم المعركة مباشرة، ضمن إطار العمق التكتيكي، وتشمل المعلومات معرفة حجم القوات، ومراكز تجمعها ونوعية الأسلحة وخطوط الفصل ونقاط التموين والقواعد الجوية المتقدمة وما إلى ذلك ويتم هذا الاستطلاع عادة ببداهة قادة القطعات المواجهة للعدو، ويستخدم الدوريات الراجلة والآلية والرصد الجوي.

ثانياً: الاستطلاع العملياتي: الاستطلاع العملياتي: ويستهدف جمع المعلومات عن العدو في العمق العملياتي بغية كشف تحركاته وتقدير نواياه

(١) الهيثم الأيوبي: الموسوعة العسكرية، ج ١، ص ٧١. انظر: البيهقي: سنن، ج ٩،

ص ١٤٨. محمد رضا: محمد ﷺ، ص ٢٣٢. صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢،

ص ١٤٦. منير شفيق: علم الحرب، المهرثمي: مختصر سياسة الحروب، ص ٣٤.

(٢) الهيثم الأيوبي: الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج ١،

ص ٧١، ٧٢. انظر: البيهقي: سنن، ج ٩، ص ١٤٨.

المقبلة خلال سير العمليات، وتشمل هذه المعلومات معرفة أماكن حشد احتياطه العملياتي وقواعده الجوية الخلفية وطرق الإمداد ومراكز التموين وغيرها. ويتم هذا الاستطلاع ببداية قادة الوحدات المشتبكة مع العدو أو بتوجيه صادر عن قادة الجيوش ودوريات الاستطلاع الهندسي والكيمياوي الجرثومي المرافقة للدوريات الآلية.

ثالثاً: الاستطلاع الاستراتيجي: هذا الفرع من الاستطلاع يستهدف جمع المعلومات عن أهداف العدو الحيوية الاقتصادية والعسكرية في العمق الاستراتيجي، وتشمل هذه المعلومات العسكرية الرئيسية، ومناطق الحشد الاستراتيجي والمطارات والمصانع الحربية وطرق المواصلات البرية والبحرية والنهرية ومحطات الرادارات وغيرها.

ويستخدم لهذا الاستطلاع الرصد الجوي وبقوارب الإنزال والوسائل المختلفة.



المبحث الرابع

من السكان والسياح والضالين

حيث استطاع النبي ﷺ معرفة نوايا قريش ومواقعهم من شيخ وجده عندما خرج مع أبي بكر رضي الله عنه للكشف.

ففي بدر أسرع هو وأبو بكر يجمعان المعلومات عن قريش فوقفا على شيخ كبير يقال له سفيان، وسأله الرسول ﷺ عن قريش وعن محمد - منكراً نفسه - فقال له بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا في يوم كذا فإن صدق الذي أخبرني به فهو اليوم بمكان كذا، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا، فإن صدق الذي أخبرني به فهم اليوم بمكان كذا، ولما كان الموقع الذي قال عنه الشيخ أن محمداً به صحيحاً، فقد علم الرسول ﷺ أين توجد قريش من كلام الشيخ^(١).

وكذلك معرفة خالد بن الوليد لعدد الروم ونواياهم من روماس عندما بارزه، وأقنعه بالإسلام، وكان قد درس في الكتب المقدسة أخبار نبي يرسل في آخر الزمان، في وقعة بصرى الشام، وبصرى في منطقة حوران فتحها خالد بن الوليد سنة ١٣ هـ / ٦٣٤ م^(٢).

(١) انظر: هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ط ٨، ص ١٤٠، ١٤١. ابن هشام: سيرة، دار الفكر، ج ٢، ص ٢٥٤، ٢٥٥. محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ٢٥٧.

(٢) انظر: الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٣٠. أحمد عادل كمال: الطريق إلى دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٢، ص ٢٦٠.

المبحث الخامس

من تنقلات العدو وتحركاته

استطاع النبي ﷺ معرفة خطة العدو في غزوة الأحزاب، من تجمع قوات العدو وتحركاتها، حيث حدّد المنطقة التي سيتمركز بها جيش العدو، واستطاع مفاجأتهم بحفر الخندق في المنطقة التي ستواجههم، مما سبب إحباط مخططاتهم^(١).

المبحث السادس

العيون والسرايا

كان من مصادر جمع المعلومات المتعلقة بقوات العدو وتنظيمه وتسليحه وقدراته القتالية الدوريات الكاشفة والعيون، فقد أرسل النبي ﷺ دورية استطلاعية بقيادة عمر بن الخطاب إلى تربة^(٢) من بلاد هوازن إذ تمكن من استطلاع الأرض والطرق والحصول على المعلومات ومعرفة نوايا العدو^(٣). وهكذا كان اهتمام الرسول ﷺ بإرسال الدوريات والعيون، ولقد اتبع الصحابة وقادة الإسلام نهج قائدهم محمد ﷺ^(٤).

(١) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، الأجزاء ٤، دار الكتب العلمية، ج ٢، ص ١١٧.

(٢) تربة: واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها يصب في بستان ابن عامر، يسكنه بنو هلال. انظر: الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٢.

(٣) انظر: ابن هشام: سيرة، تحقيق مصطفى السقا، عدد الأجزاء ٤، دار القلم، بيروت، ج ٣، ص ٣٦٥. محمد الخضري: نور اليقين، ص ٢٣٢.

(٤) انظر: صحيح البخاري: مطابع دار الشعب، ج ٥، ص ١٤٢. صحيح مسلم: ط ١، =

المبحث السابع

الإذاعة والتلفزيون^(١)

تلعب الإذاعة والتلفزيون دوراً رئيسياً في دعم اتجاهات الجبهة الداخلية وتعزيز الشعور بالقوة والإيمان بالنصر، على حين تقوم الإذاعات الموجهة ضد الأعداء والإعلام المدروس لخلق جو التوتر والشك بين القادة والشعب وبين الضباط والجنود، وبين العسكريين والمدنيين.

وقد تذهب بعض الدول الكبرى إلى تجنيد استخباراتها لتوجيه أجهزتها الإعلامية، وقد تستخدم الإذاعة والتلفزيون كوسيلة من وسائل الحرب النفسية، لأن الحرب النفسية شكل من أشكال التأثير الدعائي يرمي به العدو إلى الكف عن المقاومة وإشاعة الرعب والخوف والبلبلة، وعن طريق تحليل الأخبار الإذاعية والتلفزيونية ودراستها يمكن التوصل إلى معلومات مفيدة عن خطط العدو واتجاهاته.

حديث رقم ١٧٨٨، ج ٣، ص ١٤١٤. البيهقي: سنن، ج ٩، ص ١٤٨.
جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت: ١٩ جمادى الأولى سنة ٩١١ م)، الحاوي للفتاوي، عدد الأجزاء ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣، ١٩٨٢، ج ١، ص ٢٤٦. ابن هشام: سيرة، دار المعرفة، ج ٣، ص ١٨.
السهيبي: الروض الأنف، ج ٣، ص ٢٢. ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ١، ص ٢٢٧. محمود شيت خطاب: اقتباس النظام العسكري، ص ٢٥٤، ٢٥٦.

(١) انظر: الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، تأليف إبراهيم إمام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٥ إبريل سنة ١٩٧٩ م، ص ٣٢ - ٣٥.

محمود شيت خطاب ورفقائه: اقتباس النظام العسكري، ص ١٧٣.

فكما أن الإذاعة والتلفزيون تعتبر من وسائل إثارة الفرقة والبلبله بين صفوف العدو، تعتبر أيضاً وسيلة لنقل الأخبار وتسقطها.

يتضح مما تقدم أن النبي ﷺ كان يقوم بعملية الاستخبار العسكري عن حالة العدو حتى يكون على بينة من الأمر بمعرفة عدوه وعدده وطرقه التي يسلكها، وقد كان يستقصي ذلك بإرسال العيون من المسلمين، واستقبال العيون والأخبار من الكفار، واستقصي ذلك عن طريق التحقيق، ولا شك أن هذا العمل في عصرنا الحاضر أمر لا يستغنى عنه أبداً لمعرفة العدو، لأن معرفة العدو على حقيقته لا يقل أهمية عن إعداد العدة، فإعداد العدة ومعرفة العدو ركنان رئيسيان من أركان المعارك في مختلف العصور والأمكنة.



الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
وبعد:

توخياً لبلوغ الهدف وإتماماً للفائدة وبعد استعراضى لجوانب هذا الموضوع أرى أن الحاجة ماسة لتكريس الجهاد لإيجاد استخبارات عسكرية إسلامية مؤمنة وأمينه وصادقة، لذلك لا بد من ذكر جملة الحقائق التالية عن الاستخبارات العسكرية في الإسلام:

١ - إن الاستخبارات العسكرية تحتاج إلى توجيه وإرشاد مستمر حتى يكون منبعها الأول من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٢ - إن الاستخبارات العسكرية التي ننشدها يجب أن تنطلق من أخلاق المسلمين ومروءتهم.

٣ - نظراً لأهمية الاستخبارات العسكرية في هذه الأيام أرى أن تولي الدولة الإسلامية عناية خاصة بذلك حتى تتجنب المفاجآت العدوانية، وقد كتب صن تزو مشيراً لأهمية ذلك:

«إذا عرفت العدو وعرفت نفسك فليس هناك ما يدعوك إلى أن تخاف نتائج مئة معركة، وإذا عرفت نفسك ولم تعرف العدو فإنك تقاسي من هزيمة مقابل كل انتصار وإذا لم تعرف نفسك ولم تعرف العدو فإنك سوف تواجه الهزيمة في كل معركة».

٤ - نظراً لأهمية الحرب النفسية وخطرها علينا أن نبذل جهداً أكبر في تعريف الجند بمعناها وأثرها وخطرها وكيفية مقاومتها.

يقول مونتجمري :

ما من قائد عصري يستطيع النجاح في قيادته إذا أخفق في فهم العوامل البشرية في الحرب، فينبغي أن يكون دارساً للطبيعة البشرية مدركاً حق الإدراك الحقيقة القائلة:

«إن المعارك تكسب في قلوب الرجال أولاً» .
هذا وبالله التوفيق

الباحث



فهرس الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات القرآنية .
ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
ثالثاً : فهرس الأعلام .
رابعاً : فهرس الأماكن .
خامساً : فهرس المصطلحات العسكرية وغيرها .
سادساً : فهرس الغزوات والحروب .
سابعاً : فهرس المراجع .
- ١ - كتب القرآن الكريم وعلومه .
٢ - كتب الحديث الشريف وعلومه .
٣ - كتب الفقه .
أ - كتب الفقه الحنفي .
ب - كتب الفقه المالكي .
ج - كتب الفقه الشافعي .
د - كتب الفقه الحنبلي .
هـ - كتب الفقه الأخرى .
٤ - كتب السيرة والتاريخ .
٥ - كتب التراجم .
٦ - كتب المعاجم .
٧ - كتب متنوعة .
٨ - المجلات والصحف .
ثامناً : الخلاصة باللغة الإنجليزية .

أولاً فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقمها	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة...﴾	١٩٥	١٣٠
﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد...﴾	٢٠٥	١٣١ - ١٤٣
سورة آل عمران		
﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا...﴾	١٠٠	١٧٨
﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً...﴾	١٠٣	١٧٨
﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا...﴾	٢٠٠	١٢٩
سورة النساء		
﴿ولا تقتلوا أنفسكم...﴾	٢٩ - ٣٠	٢٦٩
﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله...﴾	٥٩	١٩١
﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم...﴾	٧١	١٢٩
﴿ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك...﴾	٨١	١٨٤
﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو...﴾	٨٣	١٣٠
﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم...﴾	١٠٢	١٢٩
سورة المائدة		
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله...﴾	٣٥	٢١٦
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا...﴾	٥١	٢٢٤
﴿يا أيها الذين آمنوا من یرتد منکم...﴾	٥٣ - ٥٦	٢١٦

٢٤٦ - ٢٤٢	٣٣	﴿إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ...﴾
١٢٩	٩٢	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾

سورة الأعراف

١٤٢	٧٤	﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ...﴾
-----	----	---

سورة الأنفال

٢٤١ - ٢٤٠ - ٢٢٤	٢٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا...﴾
١٥٠	٦٠	﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...﴾

سورة التوبة

١٣٨	٥	﴿وَاخْذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا...﴾
١٩٣	٢٤	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ...﴾
١٧٠	٤١	﴿وَجَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ...﴾
١٨٣	٤٧	﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا...﴾
١٧٨	٨٣ - ٨١	﴿فَرِحَ الْمَخْلُفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ...﴾
١٧٠ ، ١٦٥ ، ١٥٠ ، ١٣٨	١٢٠	﴿وَلَا يَطْثُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ...﴾
١٢٨	١٢٢	﴿وَلْيَنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ...﴾

سورة يونس

١٩٣	٦١	﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا...﴾
-----	----	--

سورة يوسف

١٠٦	٨٧	﴿يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا...﴾
-----	----	---

سورة النحل

٣٠١	١٦	﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ...﴾
-----	----	-------------------------------------

سورة النمل

١٠٧	٢٢	﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ...﴾
١٠٩ ، ١٠٧	١٧	﴿وَحَشَرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ...﴾
١٠٨	٢٢	﴿وَجِثَّتْ مِنْ سَبَا بَنَاءٌ يَقِينٌ...﴾

١٠٨	٢٧	﴿قال سننظر أصدقت...﴾
١٠٨	٢٨	﴿اذهب بكتابي هذا...﴾
١٠٩	٢٣ - ٢٤	﴿إني وجدت امرأة تملكهم...﴾
١٠٩	٣٥	﴿وإني مرسله إليهم بهدية...﴾

سورة القصص

١١٢ - ١١١ - ١١٠	١١	﴿وقالت لاخته قصيه...﴾
١١٢	١٢	﴿فقال هل أدلكم على...﴾

سورة الأحزاب

١٨٤	١٢	﴿وإذ يقول المنافقون...﴾
١٨٤	١٣ - ١٤	﴿ويقولون إن بيوتنا عورة...﴾

سورة محمد

١٩١	٢٠	﴿ويقول الذين آمنوا لولا...﴾
-----	----	-----------------------------

سورة الحجرات

٢٢٤	١٢	﴿ولا تجسوا...﴾
-----	----	----------------

سورة الحشر

١٣٨	٢	﴿يخربون بيوتهم بأيديهم...﴾
١٤٤ ، ١٤٠ ، ١٣٦	٥	﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها...﴾

سورة الممتحنة

٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٤	١	﴿يا أيها الذين آمنوا...﴾
-----------------------	---	--------------------------

ثانياً

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
«اطلبوه فاقتلوه»	٤١
«اللهم أیده بروح القدس»	١٦٦
«اهجهم أوهاجهم وجبريل معك»	١٦٧
«اهجوا قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل»	١٦٧
«إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن رسول الله»	١٦٨
«اذهب فأتني بخبر القوم ولا تدعهم علي»	١٩٢
«إني والله ما آمن يهودي على كتابي»	٢١٣
«إن رجلاً ممن كان قبلكم خرجت به...»	٢٦٦
«إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة...»	٢٦٨
«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأستكم»	١٦٦
«فإن الحرب خدعة»	١٧٢ ، ١٩٦ ، ٢٥٧
«من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله...»	١٧٦
«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»	٢٠٢
«ماذا عندك يا ثمامة...»	٢٩٤
«من قتل نفسه بحديده...»	٢٦٥
«نصرت بالرعب مسيرة شهر»	١٦٩
«والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم...»	٢٩٤
«لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها...»	١٦٨
«لا يحل قتل مسلم إلا في إحدى ثلاث خصال...»	٢٣٢
«لا يدخل الجنة إلا مؤمن...»	٢٦٧

ثالثاً فهرس الأعلام

رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة	الاسم
١١٤	بسيسة	٢٠	الحيشيون
٤٣	ترك	٤١	المهرثمي
١٦٣	تشرشل	٤٤	أبو داود
٤٧	جنكيزخان	٤٥	الواقدي
٣٦	حذيفة بن اليمان	٦٧	أبو جعفر المنصور
٣٩	حي بن أخطب النضري	١١٥	أبو سفيان
١٢٤	حاطب بن أبي بلتعة	١١٦	الزبير بن العوام
١٤٥	حسان بن ثابت	١١٧	أبو بكر الصديق
٢٧	خزاعة	١١٨	البيهقي
٤٠	خالد بن الوليد	١٢٧	أبو يوسف
١٦٢	ديجول	١٣٦	الرملي
١٦٢	روميل	١٣٩	الأوزاعي
٣٢	زيد بن ثابت الأنصاري	١٤١	الزهري
١٥٣	زيد بن حارثة	١٤١	أسامة بن زيد
١٨٥	زيد بن أرقم بن مالك	١٤٥	البخاري
٣٣	سعد بن أبي وقاص	١٥٤	الأوس
٤٤	سلمة بن الأكوع	١٥٥	الخزرج
٢١٥	سعد بن معاذ	١٧٥	أبو دجانة
٢١٥	سعد بن عباد	١٣٦	ابن حجر
٣٤	صلاح الدين الأيوبي	٢٢٧	ابن أبي رافع
٢٨	عبدالله بن جدعان	٢٢٧	المقداد بن الأسود

١٧٢ غطفان
 ٢٣٧ فرات بن حيان
 ٣٦ قریش بن بدر بن النضر
 ٣٩ كعب بن مالك
 ١٥٣ كعب بن الأشرف
 ١١٠ مريم بنت عمران
 ١٥٤ محمد بن سلمة
 ١٩٧ معاوية بن أبي سفيان
 ٢٠٧ مالك بن عوف
 ١٨٦ مالك بن الحارث الأشثري
 نعيم بن مسعود بن
 ١٧٢ عامر الأشجعي
 ١٧ هوميروس
 ٤٦ هرقل
 ٢٠٧ هوازن
 ٨٩ لاديسلاس فاراجو
 ١٤٣ يزيد بن أبي سفيان

٣٨ عائشة بنت أبوبكر
 عمر بن عبدالعزيز بن
 ٣٧ مروان القرشي
 ٣٧ عمر بن الخطاب
 ٣٨ عمرو بن العاص
 ١١٣ عبدالله بن جحش
 ١١٦ علي بن أبي طالب
 ١٤٦ عروه بن الزبير بن العوام
 ١٥٣ عبدالله بن رواحه
 ١٥٤ عباد بن بشر
 ١٥٥ عبدالله بن كعب
 ١٥٥ عبدالله بن عتيك
 ١٧٣ عكرمة بن أبي جهل
 ١٩٦ عمرو بن عبدود
 ١٨٥ عبدالله بن أبي
 ٣٩ عبدالله بن أبي الحقيق
 ٣٠٠ عبدالله بن اريقط

رابعاً
فهرس الأماكن والبلدان

رقم الصفحة	البلد أو المكان	رقم الصفحة	البلد أو المكان
١٢٣	خاخ	٣١	الحنديق
١٤٠	خيبر	٤٥	القادسية
٣٤	دمشق	٤٦	إيلياء
٢٣	سبأ	١٢٣	المدينة
٢١	سوريا	١٣٧	البويره
٢٥	صين	١٤١	ابني أو أبناء
٢٤	صقيلية	١٤٣	الطائف
١٧	طروادة	٣١	بدر
٢١	فلسطين	٤٣	برذعة
٢١	قادش	٢٠٣	تبوك
٣٠١	قيسارية	٣٠٧	تربه
١٢٣	مكة	٣٤	حطين

خامساً

فهرس المصطلحات العسكرية وغيرها

المصطلح	رقم الصفحة	المصطلح	رقم الصفحة
الشيفرة أو الشفرة	٢٩ ، ٢١٤	دبلوماسية	٤٨
الاستطلاع	٣٨	ذمي	٢٣٥
المستأمن	٢٤٥	روضة	١٢٣
تمويه	١٩٥	سفير	٢٤
توريه	٢٥٢	شرف	٤٥
حواري	١١٨	طلبة	١١٨ ، ٤١
حصار	١٣٨	ظعينة	٢٢٧
حربي	٢٤٧	عبر	١١٥
خدعة	١٩٥ ، ٢٥٧	عينا	٢٣٧ ، ١١٤
دليل	٢٩	قصبة	١١٠

سادساً فهرس الحروب والغزوات

رقم الصفحة	اسم الغزوة أو الحرب
٤٥	القادسية
١٧١ ، ١٢٢ ، ٣١	الخنديق
٥١	الحرب العالمية الأولى
٤٨	الحروب الصليبية
٣١	بدر
٥٢	حرب عالمية ثانية
١٨٥	غزوة بني المصطلق



سابعاً: فهرس المراجع

كتب القرآن الكريم وعلومه

أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠ هـ).
أحكام القرآن: دار الكتاب العربي، بيروت.
الخطيب الشربيني.

تفسير القرآن العظيم: ط. ثانية، دار المعرفة، بيروت.
أحمد مصطفى المراغي.

تفسير المراغي: ط. ثانية ١٣٧٣ هـ/١٩٥٣ م، مكتبة مصطفى البابي وأولاده، مصر.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ).
جامع البيان في تفسير القرآن: ط. ثانية ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م، ٣ ج. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

تنوير المقياس من تفسير ابن عباس: دار الكتب العلمية، بيروت ط. ثانية، ٨ ج.
جلال الدين السيوطي.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ط. ثانية، ٨ ج. دار المعرفة، بيروت.
سيد قطب.

في ظلال القرآن، الطبعة السابعة ١٩٧١ م، ٩ ج. بيروت.
شهاب الدين محمود الألوسي (ت: ١٢٧٠ هـ).

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
صديق حسن خان (ت: ١٣٠٧ هـ).

فتح البيان في مقاصد القرآن: دار الأنصار، القاهرة.
طنطاوي جوهري.

الجواهر في تفسير القرآن: ط. ثانية ١٣٥٠ هـ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر.

- علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨ هـ).
- أسباب النزول: ط. ثلاثة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م، ١ ج. شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر.
- عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤ هـ).
- تفسير القرآن العظيم: ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م، ٤ ج. دار المعرفة، بيروت، دار إحياء الكتب العربية.
- عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي.
- تفسير النسفي: ٣ ج. دار الكتاب العربي، بيروت.
- علاء الدين محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن.
- تفسير الخازن المسمى لباب التنزيل في معاني التنزيل: دار الفكر.
- محمد جواد مغنية.
- التفسير الكاشف: ط. أولى ١٩٧٠ م، دار العلم للملايين، بيروت.
- محمد عزة دروزة.
- التفسير الحديث: ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م، مطبعة عيسى البابي وشركاه.
- محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م) و (١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م).
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: ط. ثانية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، دار الفكر، بيروت.
- محمد أحمد جاد المولى.
- قصص القرآن: المكتبة الأموية، بيروت.
- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١ هـ).
- الجامع لأحكام القرآن الكريم: ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
- محمد حسين الطبطبائي.
- الميزان في تفسير القرآن: ط. ثانية ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠ هـ).
- فتح القدير: ٥ ج. دار المعرفة، بيروت.
- محمد محمود حجازي.

- التفسير الواضح : ط. رابعة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، مطبعة الاستقلال الكبرى .
كتب الحديث وعلومه .
أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي .
السنن الكبرى : ١ ج . دار الفكر ، بيروت .
أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي .
سنن أبي داود : ٤ ج . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
البخاري .
الأدب المفرد البخاري : ط. ثانية .
البخاري بشرح الكرمانلي : مؤسسة المطبوعات الإسلامية .
الحاكم النيسابوري .
المستدرک : مكتبة المطبوعات الإسلامية ، دمشق ، بيروت .
النسائي .
سنن النسائي : ط. أولى ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠ م ، ٨ ج . دار الفكر ، بيروت .
شرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي :
أحمد بن حنبل .
مسند وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : ط. سادسة ، ٦ ج دار صادر ،
بيروت .
أبو زكريا يحيى بن شرف النووي .
رياض الصالحين : ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
بدر الدين محمود بن أحمد العيني .
عمدة القاري شرح صحيح البخاري : ١١ ج . إدارة الطباعة المنيرية ، محمد أمين
دمج ، بيروت .
جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي .
تنوير الحوالك على موطأ مالك : ٣ ج المكتبة الثقافية ، بيروت .
خليل أحمد السهارنفوري .
بذل المجهود في حل أبي داود : دار الكتب العلمية ، بيروت .
زكي الدين عبدالعظيم المنذري (ت : ٦٥٦ هـ) .
الترغيب والترهيب : ٤ ج . دار الاتحاد العربي .

شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ).
فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ط. سادسة ١٤٠٢ هـ، ١٤ ج. دار إحياء
التراث العربي، بيروت.

شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت: ٩٢٣ هـ).
إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ط. سادسة ١٣٠٤ هـ، دار صادر،
بيروت.

عبد السلام هارون.
الألف المختارة من صحيح البخاري: ١٩٦٠، دار المعارف، مصر.
محمد شمس الحق العظيم آبادي.

عون المعبود: ط. ثانية ١٩٦٨ م، ١٨ ج. المدينة المنورة.
منصور علي ناصر.

التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول.
ط. ثالثة ١٩٦٢ م، ٥ ج. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٠٦ - ٢٦١ هـ).
صحيح مسلم: ط. أولى ١٩٥٦ م، ٥ ج. دار إحياء التراث العربي.

نحمد بن علي بن محمد الشوكاني.
نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: ط. أخيرة ١٩٧٣ م، ٨ ج. شركة مكتبة مصطفى
البابي وأولاده، مصر.

محمد بن إسماعيل البخاري.
صحيح البخاري: ٢ م. دار الشعب. دار الجليل، بيروت.
محمد فؤاد عبد الباقي.

اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.
محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني المعروف بالأمير.
سبل السلام: ط. رابعة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠ م، ٢ م. دار إحياء التراث العربي.

كتب الفقه

أ - كتب الفقه الحنفي

أحمد الطحطاوي الحنفي .

حاشية الطحطاوي على الدر المختار: دار المعرفة، بيروت .

أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم .

الخراج: ط. ثانية ١٣٥٢ هـ / ط. رابعة ١٣٩٢ هـ، المطبعة السلفية .

ابن عابدين .

حاشية ابن عابدين: ١٩٧٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

شمس الدين السرخسي .

المبسوط: ط. ثانية، ٣٠ ج. دار المعرفة، بيروت .

شمس الدين محمد بن سهل السرخسي .

شرح السير الكبير: ١٩٧٢، ٤ ج. مطبعة شركة الإعلانات الشرقية .

علي بن أبي بكر عبد الجليل الرشداني المرغيناني (ت: ٥٩٣ هـ) .

الهداية شرح بداية المبتدي: ط. أخيرة، ٤ ج. شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي

وأولاده، مصر .

علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي الملقب بملك العلماء (ت: ٥٨٧ هـ) .

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: ط. - ثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ط. ١٩٧٢،

٧ ج. دار الكتب العربي، بيروت .

ب - كتب الفقه المالكي

أبو بكر الكشناوي .

أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في فقه الإمام مالك: ط. ثانية، دار الفكر .

أحمد بن محمد بن أحمد الدردير .

الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك وبهامشه: ٤ ج. دار

المعارف، القاهرة .

حاشية أحمد بن محمد الصاوي المالكي :

- الخطاب: أبو عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الطرابلسي المغربي .
 مواهب الجليل: ٦ ج .
 أبو إسحاق بن إبراهيم بن علي بن فرحون (ت: ٧٩٩ هـ) .
 تبصرة الحكام في أصول الأقضية والأحكام مطبوع بهامش فتح العلي المالك: ط .
 أخيرة ١٩٥٨ .
 تاج الإكليل لمختصر خليل: مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا، مصورة .
 صالح عبدالسميع الأب الأزهري .
 جواهر الإكليل شرح مختصر في مذهب الإمام مالك: ٢ ج . دار الفكر، بيروت .
 محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي .
 بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ٢ ج . المكتبة التجارية الكبرى، مصر .
 محمد عlish .
 شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل وبهامشه تسهيل منح الجليل: ٤ ج .
 مكتبة النجاح، طرابلس، بيروت .
 مالك بن أنس الأصبحي .
 المدونة الكبرى رواية الإمام سحنون التنوخي عن الإمام عبدالرحمن بن قاسم ومعها
 مقدمات ابن رشد: ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ٤ ج . دار الفكر العربي، بيروت .
 محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت: ١٢٣٠ هـ) .
 حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: دار إحياء التراث العربي، مصر .
 الخرشني على مختصر سيدي خليل وبهامشه: ٨ ج . دار صادر، بيروت .
 علي الصعيدي .
 حاشية الشيخ العدوي :
 حاشية العدوي على شرح أبي الحسن بن أبي زيد وهي حاشية العلامة المحقق الشيخ
 علي الصعيدي على شرح الإمام أبي الحسن المسمى كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي
 زيد القيرواني: ٢ ج . دار المعرفة، بيروت .

ج - كتب الفقه الشافعي

- أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي .
 الأم وبهامشه اختلاف الحديث برواية الربيع: ١٩٦٨ ، ٧ ج .

أبو إسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي (ت: ٤٧٦ هـ).
المهذب في فقه الإمام الشافعي: ط. ثانية ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م، دار المعرفة،
بيروت.

أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦ هـ).
روضة الطالبين: ١٢ ج.

أحمد بن حجر الهيتمي.

حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج: ١٠ ج. دار
صادر، بيروت.

أبو يحيى الشافعي.

شرح روضة الطالبين: المكتبة الإسلامية لصاحبها رياض الشيخ.
تقي الدين الشافعي.

كفاية الأخيار: ط. ثانية ١٩٣٧ م، ٤ ج.

شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي المنوفي المصري
الأنصاري الشهير بالشافعي الصغير (ت: ١٠٠٤ هـ).

نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الإمام الشافعي:
١٣٥٧ هـ/١٩٧٨ م، المكتبة الإسلامية. بيروت.
على بن محمد البغدادي الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ).

الأحكام السلطانية والولايات الدينية: ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م، دار الكتب العلمية،
بيروت.

محمد الخطيب الشربيني.

مغني المحتاج: ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م، ٤ ج. دار الفكر.

محمد أزدمير.

حاشية البجيرمي على شرح منهاج الطلاب: المكتبة الإسلامية ديار أبي بكر، تركيا.

د - كتب الفقه الحنبلي

أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت: ٤٥٨ هـ).

الأحكام السلطانية: ط. أولى ١٣٥٦ هـ/١٩٣٨ م. ط. ثانية ١ ج.

شمس الدين أبي الفرج. عبدالرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي. الشرح الكبير على متن الإقناع: جامعة محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، الرياض.

شمس الدين عبدالله بن أبي بكر بن قيم الجوزية. زاد المعاد في هدي خير العباد

ط. أولى، ٥ ج. مؤسسة الرسالة، الكويت.

شمس الدين بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ).

أحكام أهل الذمة: ط. أولى ١٩٦١، مطبعة جامعة دمشق.

عبدالغني بن عبدالواحد بن سرور المقدسي (ت: ٦٠٠ هـ).

العدة شرح العمدة: ط. ثانية ١٣٨٢ هـ.

علاء الدين علي بن سليمان الحنبلي.

الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: ط. ثانية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م، دار إحياء

التراث العربي، بيروت.

منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (ت: ١٠٥١ هـ).

كشاف القناع على متن الإقناع: ٦ ج. مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمود بن قدامة (ت: ٦٣٠ هـ).

المغني والشرح الكبير على مختصر الإمام أبي القاسم عمر بن عبدالله بن أحمد الخرقي

المتوفى سنة ٣٣٤ هـ.

موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي.

المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل: ١٩٨٠ م، ٣ ج. مكتبة الرياض الحديثة،

الرياض.

هـ - كتب الفقه المتنوعة

أحمد بن يحيى المرتضى (ت: ٩٥٧ هـ).

البحر الزخار لجمع لمذاهب علماء الأمصار: ط. ثانية ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٥ م، ٦ ج.

مؤسسة الرسالة، بيروت.

الجزائري.

منهاج المسلم: ط. ثامنة ١٩٧٦، ١ ج.

جلال الدين عبدالرحمن السيوطي.
الحاوي للفتاوي: ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣، ٢ ج. دار الكتب العلمية بيروت.
سيد سابق.

فقه السنة: ٣ ج. دار الكتاب العربي، بيروت.
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦ هـ).
المحلى: ١١ ج. دار الفكر.
محمد عبدالله الجبوري.
فقه الإمام الأوزاعي: ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، مطبعة الإرشاد، بغداد.
محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠).
اختلاف الفقهاء: طبعة ليدن ١٩٣٣ م، يوسف شخت.
كتاب الجهاد والجزية والمحاربين:
محمد جواد مغنية.

فقه الإمام جعفر الصادق: ط. ثانية ١٩٧٧، بيروت.

كتب السيرة والتاريخ

إسماعيل بن كثير.
البداية والنهاية في التاريخ: ط. أولى ١٣٥١ هـ، مطبعة السعادة، مصر.
أبو الفرج الأصفهاني.
الأغاني: مؤسسة عبدالساتر إخوان، بيروت.
أبو عبدالله بن عمر الواقدي.
فتوح الشام: ١ ج. دار الجيل للنشر.
أحمد بن يحيى البلاذري.
فتوح البلدان: ١٩٧٨، ١ ج. دار الكتب العلمية، بيروت.
أحمد الشستناوي ورفقائه.
دائرة المعارف الإسلامية: ١٣٤٩، مطبعة السعادة، مصر.
ابن خلدون.
مقدمة ابن خلدون: ط. رابعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
ابن عبد ربه الأندلسي.

- العقد الفريد: ط. ثانية، ٨ ج. دار الفكر.
- الخطيب البغدادي.
- تاريخ بغداد:
- ابن سيد الناس.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير: ط. ثانية ١٩٧٤، دار الجليل، بيروت.
- جواد علي.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ط. أولى ١٩٧٠، دار العلم للملايين، بيروت.
- حسن إبراهيم حسن.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: ط. سابعة ١٩٦٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- شمس الدين محمد بن أحمد السرخسي.
- شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني: ١٩٧١، شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة.
- عبد الملك بن هشام المعافري (ت: ٢١٣ هـ).
- السيرة النبوية: ٤ ج. دار القلم ودار الجليل، بيروت.
- عبدالرحمن بن أحمد السهيلي (ت: ٥٠٨ - ٥٨١).
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، دار المعرفة.
- عبدالرحمن بن خلدون.
- تاريخ ابن خلدون: ١٩٧١، ٦ ج. مؤسسة الأعلمي للطبوعات.
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.
- عيون الأخبار: ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.
- عبدالسلام هارون.
- تهذيب سيرة ابن هشام: ط. ثامنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- عبدالحميد جودة السحار.
- السيرة النبوية غزوة أحد وغزوة الخندق: ١ ج. دار مصر.
- علي بن الحسين بن علي المسعودي.

مروج الذهب ومعادن الجوهر: ١٩٧٣، ١ ج. دار الأندلس، بيروت.

علي برهان الدين الشافعي.

السيرة الحلبية: ٣ ج. المكتبة الإسلامية، بيروت.

محمد بن جرير الطبري.

تاريخ الأمم والملوك: ط. ثانية ١٩٦٩، ١٣ ج، دار المعارف، القاهرة دار القلم،

بيروت.

محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير.

الكامل في التاريخ، ١٣٩٩ هـ، ١٣ ج. دار صادر، بيروت.

محمد سعيد رمضان البوطي.

فقه السيرة: ط. ثامنة ١٤٠٠ هـ، ١ ج. دار الفكر.

محمد الخضري.

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: ط. ثالثة ١٩٨٣ م، ١ / مؤسسة علوم القرآن،

دمشق، بيروت.

محمد الغزالي.

فقه السيرة: السابعة، ١ ج.



كتب التراجم

ابن سعد.

الطبقات الكبرى: ٩ ج. دار صادر، بيروت.

أحمد بن عبد الله الأصبهاني.

حلية الأولياء: ١٩٣٢ م، ١٠ ج. مطبعة السعادة، مصر.

أحمد بن حجر العسقلاني.

تهذيب التهذيب: ط. أولى ١٩٠٩ م، ١٢ ج. دائرة المعارف، الهند.

أحمد بن خلكان.

وفيات الأعيان وأنباء الزمان: ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ٨ ج. دار الثقافة، دار صادر،

بيروت.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

- الإصابة في تمييز الصحابة: ط. أوى ١٣٢٨ هـ، ٥ ج. مصطفى البابي، مطبعة السعادة، مصر.
أحمد عطية الله.
- القاموس السياسي: ط. ثالثة.
شمس الدين الذهبي.
- تذكرة الحفاظ: ط. ثالثة ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م، دائرة المعارف، الهند.
ابن الأثير.
- أسد الغابة في معرفة أخبار الصحابة: ٥ ج. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
المنجد في اللغة والأعلام: ط. ثانية، دار المشرق، بيروت.
خير الدين الزركلي.
- الأعلام: ط. سادسة ١٩٨٤، ٩ ج. دار العلم للملايين، بيروت.
شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي.
معجم البلدان: ١٩٥٧، ٥ ج. دار صادر، بيروت.
عبد الوهاب الكيالي ورفقائه.
- موسوعة السياسة: ط. أولى ١٩٧٩ م، ١ ج. المؤسسة العربية للنشر.
محمد بن أحمد الذهبي.
- سير أعلام النبلاء: ط. أولى ١٩٨١ م، ١٥ ج. مؤسسة الرسالة، بيروت.
يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي المالكي.
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب: ١٣٢٨، ٤ ج. دار الكتاب العربي، مصر.

كتب المعاجم

- الهيثم الأيوبي ورفقائه.
- الموسوعة العسكرية: ط. أولى ١٩٧٧، ٢ ج. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
أحمد عطية الله.
- القاموس السياسي: ط. ثالثة ١٩٦٨، دار النهضة العربية، القاهرة.
المنجد في اللغة والأعلام: ط. ثانية، دار المشرق، بيروت.
إسماعيل بن حماد الجوهري.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: دار الكتاب العربي، مصر.
- الحسن بن محمد الصنعاني.
- التكملة والذيل والصلة بكتاب تاج اللغة والصحاح: ١٩٧١، دار الكتب، القاهرة.
- أحمد الزاوي.
- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: ط. ثلاثة، دار الفكر.
- أحمد رضا.
- معجم متن اللغة العربية: ١٩٥٨، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- موسوعة لغوية حديثة.
- أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت: ٧٧٠ هـ).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: ٢ ج. المكتبة العلمية، بيروت.
- إبراهيم مصطفى ورفقائه.
- المعجم الوسيط: المكتبة العلمية، طهران.
- بطرس البستاني.
- قطر المحيط.
- جمال الدين الفيروز أبادي.
- القاموس المحيط: مؤسسة فن الطباعة، مصر.
- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري.
- لسان العرب: ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م، ١٥ ج. دار صادر، بيروت.
- رينهات روزي.
- تكملة المعاجم العربية: ١٩٨١، دار الرشيد للنشر، العراق.
- سعيد أبو حبيب.
- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: ط. أولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، دار الفكر، دمشق.
- سعيد الخوري الشرتوني اللبناني.
- أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد: ١٨٨٩ م، مطبعة المرسلية اليسوعية، بيروت.
- شهاب الدين الحموي البغدادي.
- معجم البلدان: ١٩٥٧، ٥ ج. دار صادر، بيروت.

- عبدالله البستاني .
الوافي معجم وسيط اللغة العربية : مكتبة لبنان .
عبدالفتاح الصعيدي ورفقائه .
الإفصاح في فقه اللغة : ط. ثانية ، دار الفكر العربي .
عبدالله البستاني اللبناني .
فاكهة البستان وهو معجم لغوي : ط. أولى ١٩٣٠ ، المطبعة الأمريكية ، بيروت .
محمد شفيق غربال .
الموسوعة العربية الميسرة : ١٩٦٥ ، دار القلم ، دار الشعب ، القاهرة .
محمد مرتضى الزبيدي .
تاج العروس في جواهر القاموس : ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ، مطبعة حكومة الكويت .
محمد بن علي التهانوي .
موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون .
مجدي وهب كامل المهندس .
معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مكتبة لبنان ، بيروت .
محمد بن أحمد الأزهرى .
تهذيب اللغة : مطابع سجل العرب ، القاهرة .
محمد فريد وجدي .
دائرة المعارف القرن الرابع عشر - العشرين : ١٩١٢ م ، مطبعة الواعظ ، مصر .

كتب متنوعة

- أحمد هاني .
الجناسوسية بين الوقاية والعلاج : ١٩٧٤ ، ١ ج . الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ،
القاهرة .
أحمد أمين .
فجر الإسلام ، ط. عشرة ١٩٦٩ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
أحمد شلبي .
الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي : ط. ثانية ١٩٧٤ ، مكتبة النهضة
العربية المصرية ، القاهرة .

- أحمد عبد ربه الأندلسي المالكي .
العقد الفريد: ط. أولى ١٩٤٠ ، ٨ ج. دار الفكر.
الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب: المؤسسة المصرية العامة للنشر.
الهرثمي .
مختصر سيارة الحروب: المؤسسة المصرية العامة للنشر، القاهرة .
إبراهيم مصطفى محمود .
الحرب عند العرب: ط. رابعة ١٩٨١ ، دار الكلمة للنشر، بيروت .
أحمد بن علي القلقشندي ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م .
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ١٩٦٣ ، المؤسسة المصرية، القاهرة .
أحمد عادل كمال .
القادسية: ط. ثانية ١٩٧٧ م ، دار النفائس، بيروت .
الهيثم الأيوبي ورفقائه .
الوجيز في الحرب: ط. ثانية ١٩٨٠ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت .
الجنرال كارل فون كلاوز فيتز .
في الحرب: دار الكتاب العربي، القاهرة .
إبراهيم وهبي .
الخبر الإذاعي: ط. أولى ١٩٨٠ ، دار الفكر، القاهرة .
أحمد محمود .
أسرار العسكرية الإسرائيلية: ط. رابعة ١٩٧٨ ، دار المسيرة، بيروت .
أحمد بدر .
الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية: ط. أولى ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، دار القلم، الكويت .
أحمد نوفل .
الحرب النفسية: ط. أولى ١٩٨٥ م ، دار الفرقان .
أبو بكر الهروي .
التذكرة الهروية .
أحمد عادل .
الطريق إلى المدائن .

- أكرم ديردي .
آراء في الحرب الإستراتيجية وطريقة القيادة: ط. ثانية، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر، بيروت .
الماوردي: أبو الحسن الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) .
الوزارة: ط. أولى ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية .
الغزالي .
إحياء علوم الدين:
أحمد عادل .
الطريق إلى دمشق: ط. ثانية ١٩٨٢ .
إبراهيم إمام .
١٩٧٩، دار الفكر العربي، القاهرة .
البردوني .
المختار من كتاب عيون الأخبار .
برنارد هاتون .
مدرسة الجواسيس: ١٩٦٣ م، المؤسسة الوطنية، بيروت .
بسام العسلي .
فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين: ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م، دار الفكر .
ترجمة جبرائيل بيطار .
المظاهر العسكرية للصراع العربي الإسرائيلي: ط. ثانية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م،
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت .
توفيق حسين .
التجسس والنفط والحرب: ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م، مطبعة الفرات، بغداد .
ترجمة إيلي لاندو ورفقائه .
الموساد جهاز المخابرات الإسرائيلية السرية: ط. ثانية ١٩٨٣، دار الجيل، عمان .
تعريف المقدم أحمد عبد الكريم .
المبادئ الأساسية للعقيدة العسكرية السوفياتية: ١٩٥٧، دمشق .
حسين بكار .
سياسة تامة سير الملوك: دار القدس، بيروت .

- حافظ ابراهيم خير الله .
 ملف السبعينات في عالم الاستخبارات .
 حامد عبدالسلام زهران .
 علم النفس الإجتماعي : ط. ثلاثة ، عالم الكتب ، القاهرة .
 جمعيات الكتاب المقدس .
 الكتاب المقدس .
 سعيد حوى .
 جند الله ثقافة وأخلاقاً .
 سعيد حوى .
 الرسول : ط. أولى ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ٢ ج . دار الكتب العلمية ، بيروت .
 ط. ثلاثة
 سيد سابق .
 إسلامنا : دار الكتاب العربي ، بيروت .
 سعيد الجزائري .
 المخابرات والعالم : مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان .
 صلاح نصر .
 حرب العقل والمعرفة : ط. ثانية ١٩٨٢ م ، ١ ج . الوطن العربي للنشر والتوزيع ،
 بيروت .
 صلاح نصر .
 الحرب النفسية : ط. ثانية ١٩٦٧ .
 معركة الكلمة والمعتقد .
 صن تزو .
 فن الحرب .
 صلاح نصر .
 عملاء الخيانة .
 ظافر القاسمي .
 الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام : ط. أولى ١٩٨٢ م ، دار العلم
 للملايين ، بيروت .

- عفيف عبدالفتاح طيارة .
مع الأنبياء في القرآن الكريم : ط. حادية عشرة ١٩٨٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- عبدالرؤوف عون .
الفن الحربى فى صدر الإسلام : ١٩٦١ ، دار المعارف ، القاهرة .
- علي بن أبي بكر الهروي .
التذكرة الهروية فى الحيل : منشورات الهرثمي .
- عبدالخالق النواوي .
العلاقات الدولية والنظم القضائية فى الشريعة الإسلامية : ط. أولى ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، دار الكتاب العربى ، بيروت .
- عباس محمود العقاد .
عبقريّة خالد : المكتبة المصرية ، بيروت .
- فكتور مارشيتى وجون ماركس .
الجاناسوسية تتحكم فى مصائر الشعوب : ط. أولى ١٩٧٥ ، الدار المتحدة .
- فخري طباع .
غسل الدماغ : صيدا .
- كامل أحمد .
الاستخبارات الإسرائيلية ومكافحتها : ط. أولى ١٩٨٢ م ، منشورات فلسطين المحتلة ، بيروت .
- محمد حسنين هيكل .
حياة محمد : ط. ثانية عشرة ١٩٦٨ م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- محمد يوسف الكاندهلوي .
حياة الصحابة : دار المعرفة ، بيروت .
- محمود شيت خطاب .
عمر بن الخطاب الفاروق القائد : ط. ثانية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- الدكتور محمود أبو ليل .
أسس العلاقات الدولية فى الإسلام : ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، دار المصطفى للنسخ والطبع .

- محمد المراوي .
شريعة الحرب في الإسلام: ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م ، كلية الحقوق في الجامعة السورية .
محمد جمال محفوظ .
المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية الإسلامية: ١٩٧٦ ، مطابع الهيئة المصرية العامة
للكتاب .
عمود شيت خطاب ورفقائه .
اقتباس النظام العسكري: ١٤٠٠ هـ ، مطابع قطر الوطنية ، الدوحة .
محمد محمود الراميني .
الجهاد في الإسلام: ١٩٦٧ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
مجيد قدوري .
الحرب والسلام في الإسلام: ط. أولى ١٩٧٣ م ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت .
منير شفيق .
علم الحرب: ١٩٨٠ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
عمود شيت خطاب .
قادة فتح العراق والجزيرة: ط. ثالثة ١٣٩٧ هـ ، دار الفكر .
محمد رضا .
محمد ﷺ: ١٩٧٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
معن أبو نوار .
الدولة في السلم والحرب: ١٩٧١ .
محمد فرج .
العسكرية العسكرية في غزوات الرسول: ط. ثالثة ١٩٧٧ ، دار الفكر العربي ،
القاهرة .
عمود شيت خطاب .
قادة فتح بلاد فارس: ط. ثالثة ١٩٧٤ م ، دار الفكر .
عمود شيت خطاب .
الرسول القائد: ط. ثانية ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت .
محمد أحمد باشيل .
غزوة خيبر: ط. ثانية ١٩٧١ م ، دار الكتب .

- محمود شيت خطاب .
دروس في الکتمان من الرسول القائد : ط. ثالثة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
محمود شلبي .
حياة عثمان : ط. أولى ١٩٨١ م ، دار الجليل ، بيروت .
محمد راكان الدغمي .
التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية : ط. أولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان .
محمد صادق عفيفي .
المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية : مؤسسة الخانجي ، القاهرة .
موسوعة الحضارة والنظم الإسلامية .
مصطفى نجيب .
حماة الإسلام : ط. أولى ، ١ ج . دار الكتاب العربي .
محمود شلبي .
اشتركية عثمان : ط. ثانية ١٩٧٤ م ، دار الجليل ، بيروت .
وهبة الزحيلي .
العلاقات الدولية مقارنة مع القانون الدولي الحديث : ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
وليد الأعظمي .
الرسول في قلوب أصحابه : ط. أولى ١٩٧٩ م ، مطبعة الوطن العربي .

فهرس المجلات

- خالد الحب .
المجلة العسكرية : كفاية الاستخبارات ، مديرية المطابع العسكرية ، عمان .
عيسى إبراهيم .
مجلة الأقصى : مميزات رجال الاستخبارات ، ١٩٨٢ ، عدد ٦٢٠ ، مديرية التوجيه المعنوي ، عمان .

**In the name of Allah, The Most Merciful
The Most Compassionate**

University of Jordan.
Faculty of Sharia.
Figh and Legislation Dept.

"Military Intelligence in Islam"

Submitted

By

Abdullah Ali Al - Salameh AL - Muhammad

Supervisor

Dr. Youssef Ali Mahmoud

This thesis is submitted in Partial fulfillment of the requirements for Masters degree in Figh and its fundamentals in the Faculty of Sharia, University of Jordan.

1406 H. - 1986 A.D.

Military Intelligence In Islam

This thesis consists of four parts:

The first part covers the history of Intelligence and its importance. The first part consists of many chapters: the first chapter covers many aspects: (1) Intelligence activity is old. (2) Intelligence before Jesus Christ (B.C). (3) Arab Intelligence before Islam. (4) Islamic Intelligence.

The fourth aspect, namely Islamic Intelligence covers many items, they include:

a - The concern the prophet Muhammad and the Islamic leaders regarding Intelligence.

b - Reconnaissance Intelligence.

c - The greatness of Muslim Intelligence.

5 - Enemy Intelligence regarding Muslims.

6 - Modern Intelligence from Middle ages until our present times models or the imports modern Intelligence systems including Soviet, British, American, Israeli and Arab Intelligence systems.

The Second parts covers the importance of Intelligence and covers the following aspects:

- a - The importance of Intelligence systems.
- b - The importance of Intelligence information.
- c - The extent of the state need for Intelligence.
- d - The comprehensiveness of Intelligence.
- e - The Specialization in Intelligence fields is made of two parts: (1) Kind specialization for Intelligence (2) subjects Specialization for Intelligence.

The Second Part:

Definition of Intelligence the Judgement regarding Islamic Intelligence psychological Warfare. War of ideas this parts consists of three chapters. The first chapter: Definition of Intelligence this included two items:

- a - Definition of Intelligence in language.
- b - Definition of Intelligence terminology.

The second chapter consists of: the knowledge about the enemy's information, material destruction psychological warfare.

The Second chapter is divided into subjects knowing the enemy's information and it has many aspects:

- a - The Sharia Judgement regarding the enemy's information.
- b - Evidences that permit knowing the enemy's information and it includes parts.

First part: Evidences from the koran.

Second part: Evidence from the Sunna.

Third part: Evidence from Prophet Muhammad's Companions.

Fourth part: Evidence from the logic which inform that Intelligence is a source of strength, and gives early alert and it is essential for a lertness and a prevention from damage and defeat.

The Second Subject: Material damage and it includes manu aspects:

- a - The Judgement regarding damaging the enemy's property during Battles or in the state of war by Military Intelligence or by its agents or by cooperation with the army.

I divided the enemy's propeirts into three parts:

- 1 - Properties that must be distroyed in the Battle.
- 2 - Properties that if damaged it will affect negative the Muslims themselves.
- 3 - Properties that do not need to be damaged or leave it as it is. This part has

many opinions in regard to this kind of property:

- 1 -Evidences and opinion of Fugaha's who permit the damage this kind of property.
- 2 - Opinion and evidences Fugaha's who do not permit the damage of this kind of property.
- 3 - The better and the chosen opinion.

The Second part the Judgement regarding killing the enemy's animals and the similar things during Battle or in the state of war, by the Intelligence's agents or by military's Intelligence of the army together. This is divided into two part. First part the opinion of those who permit the killing of the enemys animals and their evidences.

Second Part: The opinions and evidences of those who prohibit it.

Third Item: The Judgement regarding the assassination of Islam's enemies from the Military and other by the Intelligence or by its agents or by Intelligence and the army together, I cited evidences that permit this act in Islam.

The Third Subject: Psychological warfare in Islam and this is divided into parts:

- 1 - The definition of psychological warfare.
- 2 - The objectives of psychological warfare.
- 3 - The importance of psychological warfare.
- 4 - Evidences of permitting the psychological warfare, this also divided into two parts:
 - a - Evidences from the koran.
 - b - Evidences from the Sunna.

The fifth part: The forms of psychological warfare, it includes, slogans and chants, discerning between the enemy and its allies, the neutralization of other forces and depriving the enemy of their alliance, shaking the enemy's confidence, fear and psychological pressure.

The Sixth part: Means of protection from psychological warfare in Islam, this consists of solid faith, awareness and knowledge of the enemy's way in psychological warfare this is done through discovering weakening trials and showing the trials for dividing the Muslims and resisting these trials. The Third Chapter:

The qualities of the Intelligence man the most important qualities are:
- Obedience and executing orders.

- The Deep commitment for work.
- Sacrifice and truthfulness.
- Knowledge of tricks.
- Experience and Skill.
- Experience in travel.
- Keen sense - loyalty and sacrifice.
- Holding the secrets & adaptation to living outside the country.
- Outside home ability of hide and disguise.
- Seeking the accuracy of information in the proper time.
- Courage and help.
- Learning the enemy's language.
- Use of codes - symbol language.
- High morals.

The Third part:

The Judgement regarding against the Islamic state and the punishment of those is Islam, the Judgement regarding lie of the intelligence man and killing himself and his surrender if surrounded by enemies. This part is divided into two chapters.

The first chapter: The Judgement regarding the Intelligence against the Islamic state and the related punishment in Islam. This Chapter contains many subjects.

- 1 - The Judgement of Intelligence against the Islamic state.
- 2 - The punishment of Intelligence against the Islamic state.

This has parts:

- a - The punishment regarding the muslim spy and there are opinions.

The first opinion holds that the spy should be killed, the second opinion holds that the spy must be killed if spying continues.

The third opinion, the chosen opinion that the Muslim spy is not killed and showing his spying is determined by the Imam.

The second part: The punishment of non - Muslim spy and there are opinion in this regard:

The first opinion. Holds that the oath will be revoked by spying.

The second opinion holds that the oath will not be revoked unless that was the condition.

The Third opinion: The oath is not revoked regardless if there were conditions or not.

I mentioned the evidences of the first, second and third opinion and the conclusion aspect of each opinion, also I commented by the chosen opinion.

The third part: The punishment regarding the spy who is safe among Muslims, there are opinions.

- 1 - The safety will be revoked by spying.
- 2 - The safety will not be revoked by spying.

I included the evidences of this first and second opinions and the conclusion aspect and I commented on that by the chosen opinion.

The Fourth part: The punishment regarding the Military spy, in this part I showed the Judgement in this regard and the evidences and the conclusion aspect, I commented on that by the chosen opinion.

The second chapter: The Judgement regarding the lie of the Intelligence man, surrender, Killing himself if surrounded by enemies and though death either in holding or escape this includes different subjects.

The first subject, the Judgement regarding using military Intelligence men for laying in wait with enemies, it contains parts.

- a - The opinion of those permitting.
- b - The opinion of those prohibiting.
- c - The evidences of the these permitting.
- d - The evidences of the these prohibiting.

The chosen opinion is also cited.

The second subject: The Judgement regarding the surrender of the Military Intelligence man.

The third subject is concerned with the Judgement of killing the Intelligence Military man Intentionally, it contains parts.

First Part: Killing the self Intentionally.

Second Part: evidences of prohibiting killing the self Intentionally.

The Second part has two items:

- a - evidences from the koran.
- b - evidences from the Sunna.

The Fourth Part:

Means of collection Intelligence information. This part includes two chapters.

The first chapter: Spying.

The first chapter deals with definition of spying in language.

The second chapter deals with definition of spying in terminology.

The second chapter includes many parts.

- a - The definition of the spy.
- b - The definition of spying.
- c - General presentation about the nature of spying.
- d - General presentation about the areas of spying.

The third subject: The Intelligence of those who try to put down the Muslims psychologically and finding the enemy's spies in the army by preventive military Intelligence.

The second chapter means of information and it includes seven subjects:

The first subject: The prisoners of war. It is divided into parts.

- a - The Judgement regarding questioning hitting tying the prisoner of war.
- b - The Judgement regarding killing the prisoner of war if he refused to provide information.
- c - The Judgement regarding the exchange of the prisoner in return of killing the Muslims about their enemies.

The second subject guides agents.

This subject includes two parts:

- a - The Judgement regarding taking guides and the evidence related.
- b - agents.

The third subject: Reconnaissance definition and its parts.

The fourth subject inhabitants, tourists and wanderers.

The fifth subject: movements of the enemy.

The sixth subject eyes and part of army.

The seventh subject: Radio and Television.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
الباب الأول التمهيدى	١١ - ٧٤
الفصل الأول: تاريخ الاستخبارات	١٣ - ٥٦
المطلب الأول: قدم نشاط الاستخبارات في الحصول على المعلومات	١٥ - ١٨
المطلب الثاني: الاستخبارات قبل الميلاد	١٩ - ٢٦
المطلب الثالث: الاستخبارات عند العرب قبل الإسلام	٢٧ - ٣٠
المطلب الرابع: الاستخبارات الاسلامية	٣١ - ٤٣
الفرع الأول: اهتمام الرسول ﷺ وقادة الاسلام بالاستخبارات	٣١ - ٣٥
الفرع الثاني: منهاج استخبارات الرسول	٣٦ - ٣٨
الفرع الثالث: استخبارات الاستكشاف «الاستطلاع»	٣٨ - ٤٢
الفرع الرابع: عظمة استخبارات المسلمين	٤٢ - ٤٣
المطلب الخامس: استخبارات الأعداء على المسلمين	٤٤ - ٤٦
المطلب السادس: الاستخبارات الحديثة (منذ العصور الوسطى إلى يومنا هذا)	٤٧ - ٥٢
نماذج لأهم الاستخبارات العالمية	٥٣
الاستخبارات السوفياتية	٥٣
الاستخبارات البريطانية	٥٣
الاستخبارات الأمريكية	٥٣
الاستخبارات الألمانية	٥٤
الاستخبارات الفرنسية	٥٤
الاستخبارات الاسرائيلية	٥٤ - ٥٥

٥٦	 الاستخبارات العربية
٧٤ - ٥٧	 الفصل الثاني : أهمية الاستخبارات
٦٢ - ٥٩	 المطلب الأول : أهمية الأجهزة الاستخبارية
٦٦ - ٦٣	 المطلب الثاني : أهمية المعلومات الاستخبارية
٦٩ - ٦٧	 المطلب الثالث : مدى حاجة الدولة إلى الاستخبارات
٧١ - ٧٠	 المطلب الرابع : شمول الاستخبارات
٧٤ - ٧٢	 المطلب الخامس : التخصص في مواضيع الاستخبارات
٧٣ - ٧٢	 الفرع الأول : التخصص النوعي للاستخبارات
٧٤	 الفرع الثاني : التخصص الموضوعي للاستخبارات
	الباب الثاني
	تعريف الاستخبارات ، حكم الاستخبارات العسكرية في الإسلام ،
٢١٧ - ٧٥	 صفات موظف الاستخبارات
٩٧ - ٧٧	 الفصل الأول : تعريف الاستخبارات
٨٣ - ٧٩	 المطلب الأول : تعريف الاستخبارات لغة
٩٧ - ٨٤	 المطلب الثاني : تعريف الاستخبارات اصطلاحاً
	الفصل الثاني : حكم الاستخبارات العسكرية الايجابية -
١٧٩ - ٩٨	 الهجومية -
١٣٠ - ١٠٣	 المبحث الأول : حكم معرفة أخبار العدو
١٠٤ - ١٠٣	 المطلب الأول : الحكم الشرعي في معرفة أخبار العدو
١٣٠ - ١٠٥	 المطلب الثاني : أدلة جواز معرفة أخبار العدو
١١٢ - ١٠٥	 الفرع الأول : الأدلة من القرآن الكريم
١٢٥ - ١١٣	 الفرع الثاني : الأدلة من السنة النبوية الشريفة
١٢٨ - ١٢٥	 الفرع الثالث : الأدلة من آثار الصحابة ومن بعدهم
١٣٠ - ١٢٨	 الفرع الرابع : الأدلة من المعقول
١٢٨	١ - الاستخبارات من أسباب القوة
١٢٨	٢ - الاستخبارات توفر الإنذار المبكر
١٢٩	٣ - الاستخبارات من مظاهر الحذر
١٢٩	٤ - الاستخبارات مطلب أساس للرباط

١٣٠ - ١٢٩	٥ - الاستخبارات وقاية من الضرر والهلاك
١٥٧ - ١٣١	المبحث الثاني: التخريب المادي
	المطلب الأول: حكم تخريب واتلاف ممتلكات العدو أثناء المعركة
١٣٢ - ١٣١	أو في حالة الحرب
١٣٣ - ١٣٢	أنواع ممتلكات العدو
١٣٢	النوع الأول: ممتلكات تدعو حاجة المعركة إلى إتلافها
	النوع الثاني: ممتلكات إذا أتلفت عاد الضرر على المسلمين
١٣٣	أنفسهم
	النوع الثالث: ممتلكات لا تدعو الحاجة الحربية إلى إتلافها ولا
١٣٣	إلى الإبقاء عليها، وهذا النوع فيه آراء
١٣٤	الفرع الأول: رأي المجيزين وأدلتهم
١٣٦ - ١٣٤	أولاً: رأي المجيزين
١٤١ - ١٣٦	ثانياً: أدلة المجيزين
١٤٢	الفرع الثاني: رأي المانعين وأدلتهم
١٤٢	أولاً: رأي المانعين
١٤٧ - ١٤٢	ثانياً: أدلة المانعين
١٤٨ - ١٤٧	الفرع الثالث: الرأي الراجع
	المطلب الثاني: حكم قتل وذبح حيوانات العدو وما في حكمها
	أثناء المعركة أو في حالة الحرب من قبل الاستخبارات العسكرية أو من
١٤٨	قبل عملائها أو بالتعاون مع الجيش
١٤٨	الفرع الأول: رأي المجيزين وأدلتهم
١٤٨	أولاً: رأي المجيزين
١٤٩	ثانياً: أدلة المجيزين
١٥٠	الفرع الثاني: رأي المانعين وأدلتهم
١٥١ - ١٥٠	أولاً: رأي المانعين
١٥٢ - ١٥١	ثانياً: أدلة المانعين
	المطلب الثالث: حكم أعمال الاغتيال لأعداء الإسلام من

	الحربين وغيرهم من قبل الاستخبارات العسكرية أو بواسطة
١٥٢	الاستخبارات والجيش معاً
١٥٣	أدلة جواز ذلك
١٥٣ - ١٥٥	الدليل الأول: حديث «من لي بابن الأشرف»
١٥٦ - ١٥٥	الدليل الثاني: قتل ابن أبي رافع
١٥٦	الدليل الثالث: حديث «اطلبوه فاقتلوه»
	الدليل الرابع: عهد النبي ﷺ إلى أسامة الإغارة على أبناء
١٥٧ - ١٥٦	صباحاً ثم يحرق
١٧٩ - ١٥٨	المبحث الثالث: الحرب النفسية «حرب الأفكار» أو التخريب الفكري
١٦٠ - ١٥٨	المطلب الأول: تعريف الحرب النفسية ومصطلحاتها
١٦١ - ١٦٠	المطلب الثاني: أهداف الحرب النفسية
١٦٥ - ١٦١	المطلب الثالث: أهمية الحرب النفسية
١٦٥	المطلب الرابع: أدلة مشروعية الحرب النفسية
١٦٦ - ١٦٥	الفرع الأول: الأدلة من القرآن الكريم
١٧١ - ١٦٦	الفرع الثاني: الأدلة من السنة النبوية الشريفة
	الدليل الأول: حديث «جاهدوا المشركين بأموالكم...
١٦٦	وألستكم»
١٦٦	الدليل الثاني: حديث «اللهم آيده بروح القدس»
١٦٧	الدليل الثالث: حديث «اهجهم وجبريل معك»
١٦٧	الدليل الرابع: كان حسان ينافح عن رسول الله ﷺ ...
١٦٩ - ١٦٧	الدليل الخامس: حديث «اهجوا قريشاً»
١٦٩	الدليل السادس: استأذن حسان النبي في هجاء المشركين
١٦٩	الدليل السابع: حديث «نصرت بالرعب مسيرة شهر» ..
١٧٧ - ١٧٠	المطلب الخامس: صور الحرب النفسية
١٧١	أولاً: الشعارات والهتافات
١٧٣ - ١٧١	ثانياً: التفريق بين العدو وحلفائه
١٧٤	ثالثاً: تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من محالفتها
١٧٥ - ١٧٤	رابعاً: زعزعة ثقة العدو في إحراز النصر

١٧٦ - ١٧٥	خامساً: التخويف والضغط النفسي
١٧٩ - ١٧٦	المطلب السادس: طرق الوقاية من الحرب النفسية في الإسلام .
١٧٦	أولاً: الإيمان وقوة العقيدة
٧٧	ثانياً: الوعي والمعرفة بأهداف العدو، وأساليبه في الحرب النفسية ويكون ذلك
١٧٧	أ - كشف محاولات التخذيل وتثبيط العزائم
١٧٩ - ١٧٨	ب - فضح محاولات التفرقة ومقاومتها
١٨٧ - ١٨١	الفصل الثالث: حكم الاستخبارات العسكرية الوقائية - المضادة - استخبار المخذلين والمبطلين ورصد جواسيس الأعداء في الجيش بواسطة الاستخبارات العسكرية الوقائية
٢١٧ - ١٨٩	الفصل الرابع: صفات موظف الاستخبارات العسكرية
١٩٢ - ١٩١	الصفة الأولى: الطاعة وتنفيذ الأوامر
١٩٣	الصفة الثانية: الشعور العميق بحب العمل وأهميته
١٩٥ - ١٩٤	الصفة الثالثة: النصيحة والصدق
١٩٧ - ١٩٥	الصفة الرابعة: الدهاء والحيل والخديعة والتعويبه
١٩٩ - ١٩٨	الصفة الخامسة: الخبرة والمهارة
١٩٩	الصفة السادسة: الصبر
٢٠٠ - ١٩٩	الصفة السابعة: أن يكون له دربة بالأسفار
٢٠١ - ٢٠٠	الصفة الثامنة: أن يكون ذو حدس صائب
٢٠٣ - ٢٠١	الصفة التاسعة: الإخلاص والتضحية
٢٠٦ - ٢٠٣	الصفة العاشرة: حفظ الأسرار وكنمان الأخبار
٢٠٨ - ٢٠٧	الصفة الحادية عشرة: إمكانية تكييف النفس لأحوال المعيشة خارج أرض الوطن
٢١٠ - ٢٠٨	الصفة الثانية عشرة: القدرة على التخفي والتنكر
٢١١ - ٢١٠	الصفة الثالثة عشرة: توخي دقة المعلومات في الوقت المناسب
٢١٢ - ٢١١	الصفة الرابعة عشرة: الشجاعة والنجدة
٢١٤ - ٢١٢	الصفة الخامسة عشرة: تعلم لغة العدو

٢١٥ - ٢١٤	الصفة السادسة عشرة: استخدام الشفرة ولغة الرموزه.....
٢١٧ - ٢١٦	الصفة السابعة عشرة: التهذيب والأخلاق.....

الباب الثالث

	حكم الاستخبار ضد دولة الإسلام وعقوبة ذلك في الإسلام، حكم كذب رجل الاستخبارات وقتله لنفسه واستسلامه إذا أحيط به من قبل الأعداء أو ظن الهلاك في الثبات أو الفرار.....
٢٦٩ - ٢١٩	الفصل الأول: حكم الاستخبار ضد دولة الإسلام وعقوبة ذلك في الإسلام.....
٢٤٨ - ٢٢١	المبحث الأول: حكم الاستخبار ضد دولة الإسلام.....
٢٢٤ - ٢٢٣	المبحث الثاني: عقوبة الاستخبار ضد دولة الإسلام.....
٢٢٥	المطلب الأول: عقوبة الجاسوس المسلم.....
٢٣٥ - ٢٢٥	الرأي الأول: يقتل إطلاقاً.....
٢٢٥	الرأي الثاني: يقتل إذا تكرر منه التجسس.....
٢٢٦	الرأي الثالث: لا يقتل وتعزيره راجع للإمام.....
٢٢٦	أدلة الرأي الأول.....
٢٣٠ - ٢٢٧	أدلة الرأي الثاني.....
٢٣١ - ٢٣٠	أدلة الرأي الثالث.....
٢٣٤ - ٢٣١	الرأي الرابع والمختار.....
٢٣٥ - ٢٣٤	المطلب الثاني: عقوبة الجاسوس الذمي.....
٢٤٤ - ٢٣٥	الرأي الأول: ينقض عهده بالتجسس.....
٢٣٥	الرأي الثاني: لا ينقض عهده بالتجسس إلا إذا شرط عليه ذلك.....
٢٣٦	الرأي الثالث: لا ينقض عهده بالتجسس سواء شرط عليه ذلك أم لا.....
٢٣٦	أدلة الرأي الأول، ووجه الاستدلال.....
٢٣٩ - ٢٣٧	أدلة الرأي الثاني.....
٢٤٠ - ٢٣٩	أدلة الرأي الثالث.....
٢٤٢ - ٢٤١	أدلة الرأي الثالث.....

٢٤٣	الرأي الراجح والمختار
٢٤٦ - ٢٤٣	المطلب الثالث: عقوبة الجاسوس المستأمن
٢٤٣	الرأي الأول: ينتقض أمان المستأمن بالتجسس
٢٤٤	الرأي الثاني: لا ينتقض أمان المستأمن بالتجسس
٢٤٥	أدلة الرأي الأول
٢٤٦	أدلة الرأي الثاني
٢٤٦	الرأي المختار
٢٤٨ - ٢٤٧	المطلب الرابع: عقوبة الجاسوس الحربي
٢٤٧	أولاً: حكمه
٢٤٨ - ٢٤٧	ثانياً: الأدلة ووجه الاستدلال
٢٤٨	ثالثاً: الرأي المختار
	الفصل الثاني: حكم كذب رجل الاستخبارات واستسلامه
٢٦٩ - ٢٤٩	وقتله لنفسه إذا أحيط به أو ظن الهلاك في الثبات أو الفرار ...
	المبحث الأول: حكم استعمال رجل الاستخبارات العسكرية
٢٤٩	للكذب في الحرب مع الأعداء
٢٥٣ - ٢٥١	المطلب الأول: رأي المجيزين لحقيقة الكذب في الحرب
٢٥٥ - ٢٥٣	المطلب الثاني: رأي المانعين لحقيقة الكذب في الحرب
	المطلب الثالث: أدلة المجيزين لحقيقة الكذب في الحرب تصريحاً
٢٥٩ - ٢٥٥	وتعريضاً
٢٦٠ - ٢٥٩	المطلب الرابع: أدلة المانعين لحقيقة الكذب في الحرب
٢٦١	الرأي المختار
٢٦٣ - ٢٦٢	المبحث الثاني: حكم استسلام رجل الاستخبارات العسكرية للعدو
٢٦٤	المبحث الثالث: حكم قتل رجل الاستخبارات العسكرية لنفسه ..
٢٦٤	المطلب الأول: حكم قتل النفس قصداً
٢٦٥	المطلب الثاني: الأدلة على حرمة قتل النفس قصداً
٢٦٥	الفرع الأول: الأدلة من القرآن الكريم
٢٦٩ - ٢٦٥	الفرع الثاني: الأدلة من السنة النبوية

الباب الرابع

٣٠٩ - ٢٧١	وسائل جمع المعلومات الاستخبارية
٢٩٠ - ٢٧٣	الفصل الأول: التجسس
٢٨١ - ٢٧٥	المبحث الأول: تعريف التجسس لغة
٢٩٠ - ٢٨٢	المبحث الثاني: تعريف التجسس اصطلاحاً
٢٨٤ - ٢٨٢	المطلب الأول: تعريف الجاسوس
٢٨٦ - ٢٨٤	المطلب الثاني: تعريف الجاسوسية
٢٨٨ - ٢٨٦	المطلب الثالث: تعريف عام بطبيعة التجسس
٢٩٠ - ٢٨٨	المطلب الرابع: تعريف عام بمجالات التجسس
٣٠٩ - ٢٩١	الفصل الثاني: الوسائل الأخرى لجمع المعلومات
٢٩٣	المبحث الأول: أسرى الحرب
٢٩٧ - ٢٩٣	المطلب الأول: حكم استجواب الأسير وضربه وتوثيقه
٢٩٧	المطلب الثاني: حكم قتل الأسير إذا رفض الإدلاء بالمعلومات ..
	المطلب الثالث: حكم فداء الأسير مقابل أخبار المسلمين عن أعدائهم
٢٩٨	المبحث الثاني: الأدلاء والعملاء
٣٠١ - ٢٩٩	المطلب الأول: حكم اتخاذ الأدلاء ودليل اتخاذهم
٢٩٩	الفرع الأول: حكم اتخاذ الأدلاء
٣٠١ - ٢٩٩	الفرع الثاني: دليل اتخاذ الأدلاء
٣٠١	المطلب الثاني: العملاء
٣٠٥ - ٣٠٣	المبحث الثالث: الاستطلاع، تعريفه وأقسامه
٣٠٣	المطلب الأول: تعريفه
٣٠٤	المطلب الثاني: أقسامه
٣٠٤	الفرع الأول: أقسام الاستطلاع نظراً لأهميته
٣٠٤	الاستطلاع البري
٣٠٤	الاستطلاع البحري
٣٠٤	الاستطلاع الإلكتروني

٣٠٤	الفرع الثاني: أقسام الاستطلاع من الناحية العملية.....
٣٠٤	أولاً: الاستطلاع التكتيكي.....
٣٠٤	ثانياً: الاستطلاع العملي.....
٣٠٥	ثالثاً: الاستطلاع الاستراتيجي.....
٣٠٦	المبحث الرابع: من السكان والسياح والضالين.....
٣٠٧	المبحث الخامس: من تنقلات العدو وتحركاته.....
٣٠٧	المبحث السادس: العيون والسرايا.....
٣٠٨ - ٣٠٩	المبحث السابع: الإذاعة والتلفزيون.....
٣١١	الخاتمة.....
٣١٣	فهرس الفهارس.....
٣٤٥	الخلاصة باللغة الإنجليزية.....

